2017

مذكرات يوسف ميخائيل

التركية والمهدية والحكم الثنائي في السودان

تقديم وتحقيق

د. أحمد إبراهيم أبو شوك





مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي



المحقق

أحمد إبراهيم أبوشوك، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بقسم العلوم الإنسانية، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر. عمل باحثاً بمركز دراسات الشرق الأوسط والعالم الإسلامي بجامعة بيرجن-النرويج (1995-1999م)، ثم أستاذاً في قسم التاريخ والحضارة (1999-2012م)، بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. وله أبحاث منشورة باللغتين العربية والإنجليزية في دوريات علميَّة، ودور نشر عالمية، ونذكر منها: الانتخابات القومية في السودان 2010م: مقاربة تحليلية في مقدماتها ونتائجها، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2012م؛ الانتخابات البرلمانية في السودان (1953-1986م): مقاربة تاريخية-تحليلية (بالإشتراك)، أمدرمان: مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، 2008م؛ السودان: السلطة والتراث: 5 أجزاء، أمدرمان: مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي: 2008م، 2009م، 2010م، 2012م، 2015م.

هذا الكتاب ....

- يلقي الضوء على الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي في كردفان قبل إندلاع الثورة المهدية في السودان، ويعكس السمات العامة لذلك المجتمع الذي ولد فيه يوسف ميخائيل، وعاش أيام صباه الأولى، ثم يتناول طبيعة العلاقة السياسية-الروحية التي نشأت بين الداعية الصوفي محمد أحمد بن عبد الله (لاحقاً المهدي)، ونفر من أعيان مدينة الأبيض وصُلحائها.
- ويقدم مشهداً حياً لأحداث الثورة المهدية في كردفان، بدءاً بهجرة المهدي إلى جبل قدير، وإنتهاءً بحصار الأبيض وتحريرها على أيدي الأنصار، ثم بعد ذلك يفصِّل لمجاهدات الأنصار وتحركاتهم السياسية والعسكرية صوب الحاضرة الخرطوم التي حُررت في يناير 1885م.
- ويوثق لفترة حكم الخليفة عبد الله التعايشي التي كانت تعج بالصراعات الداخلية بين الخليفة وخصومه السياسيين، ويتطرق أيضاً لسياسة المهدية الخارجية، والتحديات التي كانت تواجهها على الصعيدين الإقليمي والدُّولي، ويبيِّن كيف تجسدت هذه التحديات في دحر قوات المهدية في واقعة كرري عام 1898م.
- ويعطى لمحةً سريعةً عن حالة الفوضى التي شهدتها أم درمان بعد هزيمة الأنصار في واقعة كرري، وبعد ذلك يفصِّل لرحلة يوسف ميخائيل إلى مصر، ثم عودته إلى السودان، وطبيعة المهام الإدارية والتجارية التي تقلدها إلى أن استقرَّ به المقام في مدينة الأبيض.





ISBN
9 789994 263097
رقم الإيداع: 2017/886





مذكرات يوسف ميخائيل

شهادة شاهد عيان على التركية والمهدية والحكم الثنائي في السودان

التركية والمهدية والحكم الثنائي في السودان

تقديم وتحقيق

د. أحمد إبراهيم أبوشوك





مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي

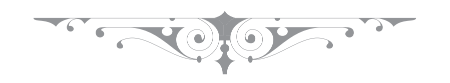


المحتويات





تصدير الطبعة الثالثة



صدرت الطبعة المحققة الأولى لمذكرات يوسف ميخائيل عن التركيَّة والمهديَّة والحُكْم الثنائي في السُّودان في القاهرة عام 2004م، تحت إشراف الراحل الأستاذ محمود صالح عثمان صالح (ت. 2014م)، مؤسس وراعي مركز عبد الكريم الثقافي بأمدرمان. وبعد خروجها إلى دائرة الضوء احتلت هذه المذكرات التاريخية مركزاً متقدماً في قائمة إصدارات مركز عبد المركز ميرغني ومبيعاته، مما شجع إدارة المركز على إصدار طبعة ثانية عام 2007م؛ لكنها نفدت في المكتبات، وبنفادها أفسحت الطريق لظهور طبعة ثالثة؛ لتكون في متناول القراء والباحثين. فلا جدال في أن تعدد الطبعات مؤشر إيجابي، يدل على حرص القراء على اقتناء هذه المذكرات، التي حظت بمراجعات وتعليقات ثلة من الأكاديميين والمهتمين بالشأن السوداني، ونذكر منهم: الأستاذ الدكتور عثمان سيدأحمد إسماعيل البيلي، والأستاذ الدكتور حسن مكي محمد أحمد، والدكتور خالد المبارك، والدكتور مصطفى محمد أحمد الصاوي، والأب فيلوثاوث فرج، والأستاذ عبد المنعم عجب الفيا، والأستاذ ماهر شنودة، ويضاف إلى هذه المراجعات، المناقشات النقدية التي تناولت المذكرات من زوايا مختلفة في بعض الوسائط الاسفيرية.

أشارت استشهادات هؤلاء العلماء والباحثين والقراء إلى أهمية المذكرات الكامنة في توثيقها الدقيق لواقع الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في كردفان في أواخر العهد التركي وبدايات المهدية، وكيف شكل ذلك الواقع منصة التأسيس التي انطلقت

منها الثورة المهدية، بأهداف مختلفة، لكنها مجتمعة حول شخصية الإمام محمد أحمد المهدي الكارزمية، واستراتيجيته الرامية إلى إسقاط الحكم التركي (1821–1881م) في السُّودان، الذي جثم على صدر البلاد وأنفاس العباد أكثر من نصف قرن. كما أنَّ المذكرات وثَّقت للصراع الجهوي والقبلي الذي أضعف الولاء الوطني للدولة المهدية، وجعل المعارضين يصفونها بدولة القبيلة، التي تحكمها تطلعات الخليفة عبد الله السياسية، وأهل عصبيته الأقربين (أخيه الأمير يعقوب، وابنه عثمان شيخ الدين). ووقفت المذكرات أيضاً عند الاستبداد السُّلطوي الذي أفرز أنماطاً من النفاق السياسي، أسهمت في تفتيت الجبهة الداخلية وأضعفت مقاومة الدولة المهدية للعدو الخارجي. ولعمري، أنَّ هذا التاريخ الاستبدادي المهدوي يُصلح خلفيةً لتحليل المشهد السياسي المعاصر، وفهم الديناميات الانتهازية المحركة للقوى السياسية المتملقة لأهل السُّلطة في السُّودان، كما يساعد في استعياب مكونات العلاقة الجدلية الجامعة بين الاستبداد السياسي وخُلق التملق السُّلطوي، وإسقاطاتهما السالبة على حوكمة أداء الدولية بجودة عالية. إلى جانب ذلك، كُتبت مذكرات يوسف ميخائيل بلهجة عربية عاميِّة كردفانية، فضلاً عن أنها تذخر ببعض المفردات الإدارية التركية والمصرية. وبهذا التداخل اللغوي تُعدُّ المذكرات مرجعاً مهماً بالنسبة للمهتمين بالدراسات اللغوية والدراسات الاجتماعية التي تستخدم اللغة أداة لتحليل التمازج الاجتماعي والثقافي، وتتبُّع الهجرات البشرية عبر الزمان والمكان. فهذا الثراء المرتبط بسردية التاريخ الشفوي دفع الدكتور مصطفى الصاوي إلى وصف مذكرات يوسف ميخائيل، بأنها «وثيقة وشهادة تاريخية أكثر من كونها تعبير عن الذات»؛ لأنها «كُتبت بحسٍ تاريخي، ضعف فيها السرد الذاتي، كما اهتمت باليومي والمعيشي؛ لذا قدمت الكثير من التفصيل في سياق التاريخ الحضاري والاجتماعي.»

لكن هذه الاشادات بمحتوى النصَّ لا تنفي أنَّ المذكرات فيها بعض القضايا الخلافية والمسائل الإشكالية، تحتاج إلى مقايسة حصيفة في ضوء الأدبيات المعاصرة لها، مثل كتابات إسماعيل عبد القادر الكردفاني، سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي / الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الحبوش، وأوراق السيِّد علي المهدي، جهاد في سبيل الله، ومذكرات الشيخ بابكر بدري، تاريخ حياتي، وأدبيات سجناء المهدية ذات النزعة الدعائية المناهضة للمهدية فكرةً ودولةً، وكذلك المصادر الأولية المحفوظة بدار الوثائق القومية بالخرطوم، التي تشكل طرفاً من التاريخ الديواني للدولة المهدية وسدنتها.

وفي ختام هذا التصدير، يطيب ليَّ أن اعبِّر عن فائق شكري وامتناني إلى كل الذين رفدوني بتعليقاتهم العلميَّة، أو مراجعاتهم الأكاديمية، أو ملحوظاتهم القيمة عن مذكرات يوسف ميخائيل نصاً وتحقيقاً، سواء كان ذلك في شكل تقرظ لمحتوي النصّ التاريخي، أو جرحٍ وتعديلٍ في أهليَّة المؤلف وصدقية رواياته، بحكم أنه كان شاهد عيانٍ على معظم الأحداث والمرويات التي تطرق إليها في مذكراته، أو اشترك في صوغها. ولا أنسى في هذه الفقرة الخاتمة أن أدون جزيل عرفاني إلى مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي بأمدرمان، الذي أشرف على نشر هذه المذكرات وتوزيع طبعاتها الثلاث، كما عقد حلقة خاصة لتدشينها عام 2005م.

أحمد إبراهيم أبوشوك

الدوحة، 21 أكتوبر 2016م



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لا شك في أنَّ صناعة المذكرات ضرب من ضروب السيرة الذاتية، التي تَعْرِضُ حياة مؤلفها في نطاق المجتمع الذي عاش فيه مؤثراً، ومتأثراً بأنساق العمران البشَري التي كانت تحكم دقائق بيئاته المحلية. فالمذكرات التي تجتزئ صاحبها من واقع الحياة العامة وزخمها، وتجعله المحور الأوحد الذي تدور حوله مجريات الأحداث، وتنظر إلى كل فعل يصدر عنه نظرة مستقلة عن الواقع المعيش، هي مجرد خواطر نرجسية واهية الصلة بالتاريخ؛ لأنها منقادة للخيال المفعم بتطلعات «الأنا» والنافي لتأثير «الغير». وذلك علماً بأنَّ قيمة المذكرات الشخصية تكْمُن في طبيعة الأحداث التي عاشها المؤلف، وتجرَّد في توثيقها وفق قراءة وصْفِيِّة لطبيعة العلاقة الجدلية التي كانت تربط بينه وبين أفراد المجتمع البشري الذي عاش بين ظهرانيه من طرف، وبين ذلك المجتمع والحقائق الكونية التي أحاطت به من طرف ثان. فالمذكرات التي تُكتب بهذا العمق تترك أثراً طيِّباً في نفوس قُرائها لأنها تعكس البُعد الإنساني والتوثيقي للكاتب، اللذين يُمكِّن من خلالهما أن نتصور الواقع التاريخي تصوراً موضوعياً، يعيد قراءة حيثيات تلك المذكرات في إطار الأدبيات والمرويات المعاصرة لها.

والمذكرات من حيث تكوينها العام، وغاياتها المنشودة، يمكن أن تصنَّف إلى ثلاثة أنماط رئيسة. يمثل نمطها الأول الجانب الإخباري المحض الذي يوثق لمجموعة من

التجارب والأخبار والمشاهدات التي عاصرها الراوي أو اشترك في صوغها وتشكيل حيثياتها، كما فعل ذلك الجاحظ في كتاب «الحيوان»، وأبوحيان التوحيدي في سِفْر «غربة الذات». أما النمط الثاني فيأتي في شكل تفسير لواقع يكتنفه الشك والغموض أو لتبرير مواقف حافلة بألوان شتى من الصراعات إلا أن الرأي العام كان ذاهلاً عن مقاصدها ورافضاً لحيثياتها، ويتجلى هذا النمط الدفاعي أو الاعتذاري التبريري في ترجمة ابن خلدون الموسومة بـ «التعريف بابن خلدون في رحلته غرباً وشرقاً»[1]، التي حاول من خلالها صاحب المقدمة أن ينصف نفسه أمام التاريخ. أما النمط الثالث فهو بمثابة توثيق للصراع الروحي الذي يعتري النفس البشرية وينقلها من عالم الشك والضلال إلى عالم اليقين العقدي والتثبت المعرفي، كما فعل ذلك أبوحامد الغزالي في رسالته المشهورة بـ «المنقذ من الضلال».

ويُعَدُّ هذا الفن من الأدب التأريخي بأنماطه المختلفة حديث النشأة والتطور في السودان، لأن تاريخه يرجع إلى الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي. ومعظم الذين دونوا مذكراتهم في تلك الفترة لم يكونوا من أهلِ السودان الخُلَّص، بل كانوا صفوة من سجناء المهدية الذين لاذوا بالفرار إلى أوطانهم أو أُفرِج عنهم بعد سقوط الدولة المهدية عام 1898م. ومن ثم فقد جاءت مذكراتهم مفعمةً بكراهيتهم لتسلط الحكومة المهدية وجبروتها، ومبررةً للغزو الإنجليزي المصري بحجة أنه سيحرر أهل السودان من «ظلم الدراويش»، وينقلهم إلى رحاب الحياة المدنية التي بشَّر بها المستعمر الأوربي آنذاك، وصاغ الحجج والبراهين المؤيدة لشرعيتها السياسية والموارية لسوأتها الإمبريالية.

وأول مذكرات كُتبت في هذا الشأن هي مذكرات القسيس النمساوي الأب جوزيف أهرولدر الموسومة بـ «عشر سنوات أسر في معسكر المهدي (1882-1892م)»[2]،

(1) يُعَدُّ «التعريف بابن خلدون في رحلته غرباً وشرقاً» آخر ما ألفه صاحب المقدمة عن تاريخ حياته العامرة بالمغامرات السياسية والحافلة بالعطاء الفكري. وقد أُلحقت هذه المذكرات بالجزء السابع من «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» في بعض الطبعات الحديثة.
(2) تقرأ الطبعة الإنجليزية:

التي نقلها من أصلها الألماني إلى الإنجليزية يوسف أفندي كوزي، ثم هذَّبها وشذَّبها في صورتها النهائية رئيس قلم المخابرات المصرية آنذاك، رجنلد ونجت باشا، الذي وصفها بأنها تتسم بالدقة والتثبت في سرد المعلومات ذات الصلة بواقع الحال في المهدية. إلا أن هذا الإطراء «المغرض» لا يمنعنا من القول بأن مذكرات أهرولدر جاءت تحمل بين ثناياها كثيراً من الروايات الانطباعية، والأقوال المنقولة عن طريق السماع إلى الراوي الذي كان ينظر إلى المهدية ورموزها بعين السخط التي تبدي المساوئ وتغض الطرف عن كل المحاسن. فلا غرو أنَّ قراءة مثل هذه المذكرات تحتاج إلى تمحيص دقيقٍ وحاذقٍ يقتضي مقارنتها مع الأدبيات المعاصرة لها وتوطينها في محيط الواقع التاريخي الذي استندت إليه.

أما المذكرات التي أحدثت صدىً واسعاً في الداخل والخارج فهي مذكرات سلاطين باشا المعروفة بـ «السيف والنار في السودان»[1]، والتي دوَّنها سلاطين بعد أن هرب من أسر المهدية عام 1895م، ونقلها ونجت باشا من أصلها الألماني إلى الإنجليزية ونشرها عام 1896م. ويلتمس القارئ المتبصِّر في ثنايا «السيف والنار» سخط سلاطين وتحامله على عهد الخليفة عبدالله التعايشي بصفة خاصة، والمهدية بصفة عامة. وكما يرى محجوب التيجاني[2]، فإن الظروف التي عاشها سلاطين من حاكم صاحب سلطان، وجاه في دارفور إلى أسير وضيع يعتنق الإسلام خوفاً من سلطة الدولة المهدية، وطمعاً في الحياة الدنيا كانت من أهم العوامل التي افقدته البُعد الموضوعي في سرد بعض الوقائع التاريخية، وجعلته يركن إلى النمط الاعتذاري في تبرير مواقفه المتناقضة التي سجلها بشأن اعتناقه للإسلام، وتصالحه مع الدولة المهدية ورموزها.

Joseph Ohrwalder, Ten Years' Captivity in the Mahdi's Camp, London, 1892.

(1) تقرأ الطبعة الإنجليزية:

Rudolf C. Slatin, Fire and Sword in the Sudan, London, 1896.

صدرت الترجمة العربية الأولى والثانية في بيروت. والطبعة الثالثة عن دار الجيل ببيروت وعالم الكتب بأم درمان. 1978م.

(2) محجوب التجاني محمود. العقاب ومعاملة الجانين في الدولة المهدية (1881-1898). مخطوط. 1980. ص 12.

ومن أهم تلك المذكرات التي كُتبت بعد سقوط المهدية عام 1898م مذكرات «سجين الخليفة»[1]، شارلس نيوفلد، الذي تمَّ اعتقاله بوادي القعب في شمال السودان بواسطة قوات عبد الرحمن النجومي[2] عام 1887م، ثم بعد ذلك تم ترحيله إلى أم درمان حيث قضي معظم سنوات أسره حبيساً بسجن الساير إلى أن أفرجتْ عنه القوات الغازية عام 1898م. ولا تختلف نظرة نيوفلد (المشهور بعبد الله المسلماني في أوساط الأنصار) إلى المهدية عن نظرة غيره من الأسرى الأوربيين الذين وصفوها بالبربرية والتوحش، بل نجده قد أكَّد معظم ما جاء في مذكرات هؤلاء، وأضاف إليها ملاحظاته الخاصة. إلا أن الشئ الذي تفرَّدت به مذكرات سجين الخليفة هو محاولته اليائسة في تفنيد الاتهامات التي تعرَّض لها بسبب فشل مهمته الخاصة بتسليم صفقة من الأسلحة والذخيرة إلى ناظر الكبابيش الشيخ صالح فضل الله سالم[3] ليواصل تآمره ضد الدولة المهدية، وبسبب خيانته للذين تعاهدوا معه لانفاذ هذه المهمة الصعبة بتسليمهم إلى قوات عبد الرحمن النجومي التي قامت بإعدامهم جميعاً. ويبدو أن نيوفلد قد استهجن هذه الاتهامات وأجمل دفوعه عنها بقوله: «بالرغم من أنني نجوت من بربرية السودان المتوحشة إلا أنني وقعت فريسة لقساوة المدنية المنمقة»[4].

وبعد عامين من صدور مذكرات شارلس نيوفلد صدرت عن مطابع جريدة المؤيد بالقاهرة مذكرات إبراهيم فوزي باشا، سكرتير غردون[5] أولاً، وسجين المهدية ثانياً، تحت عنوان: «السودان بين يدي غردون وكتشنر». وتقع هذه المذكرات في جزئين رئيسين. يتناول الجزء الأول تاريخ الحكم التركي المصري في السودان، وبتركيز على حكمدارية غردون الأخيرة (1884–1885م) وحصار الخرطوم وسقوطها في يد المهدي وأنصاره.

(1) تقرأ الطبعة الإنجليزية:

Charles Neufeld, *A Prisoner of the Khaleefa*: Twelve Years' Captivity at Omdurman, London: Champer & Hall Ltd, 1899.

(2) انظر الترجمة،ص 1/117.

(3) انظر الترجمة، ص 3/20.

(4) شارلس نيوفلد، 1899، ص 1.

(5) انظر الترجمة،ص 1/7.

ويتحدث الجزء الثاني عن فترة المهدية التي يصفها المؤلف بالبربرية والتوحش، ويفصِّل لتداعياتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية علي المجتمع السوداني في الفترة التي يسميها مجازاً «السودان بين يدي غردون وكتشنر». ويعطي بعد ذلك قراءة موجزة عن قيام مؤسسات الحكم الثنائي، وكيفية تمكُّنها من إعادة الأمن والاستقرار إلى ربوع سودان وادي النيل.

وزبدة القول إنَّ معظم المعلومات السياسية التي وردت في مذكرات سجناء المهدية كانت تصب في معين الحرب الدعائية التي نظمها رئيس قلم المخابرات المصرية ونجت باشا، لكسب تأييد الرأي العام البريطاني لسياسة حكومته الإمبريالية المُعْلَنة تحت مظلة «محاربة الرق»، و«الانتقام من قتلة غردون»، و«نشر قيم الحضارة والمدنيَّة في أوساط الشعوب البدائية»[1]. وبالفعل تبلورت حصيلة هذا العمل الدعائي في تشويه صورة المهدية أمام الرأي العام الأوربي، بحجة أنها حكومة «فاشية» يجب محاربتها واستبدالها بحكومة مدنيَّة تستطيع أن «تحرر أهل السودان من ظلم الخليفة وطغيانه». ويؤكد هذا التوجه ونستون تشرشل، رئيس وزراء بريطانيا الأسبق، بقوله: «إنَّ رواية أهرولدر قد خلقت انطباعاً واسعاً وعميقاً في أوساط المثقفين في إنجلترا عن قساوة الخليفة [عبد الله التعايشي]، وزادت رواية سلاطين خوف هؤلاء وغضبهم تجاه حكم الخليفة، وبسبب هاتين الروايتين بدأ الرأي العام يتحرك صوب سياسة إعادة الاحتلال»[2].

ورغماً عن هذه التحفظات فإن مذكرات سجناء المهدية تحمل بين طياتها كثيراً من التجارب الشخصية والملاحظات المفيدة التي يمكن أن تعين القارئ المتمعن في فهم طبيعة القوى السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تحكم دفَّة الحراك

(1) انظر ب.م. هولت:

P.M. Holt, A Modern History of the Sudan, London, 1963, p. 107; "The Sources Material of the Sudanese Mahdiyya", St. Anthony's Paper No. 4, *Middle Eastern Affairs*, No. 1, London, 1958, p. 112.

Winston Churchill, *The River War*, 3rd edn., London, 1933, pp. 98-99.

(2) انظر ونستون تشرشل، حرب النهر:

Winston Churchill, *The River War*, 3rd edn., London, pp. 98-99.

السياسي في المجتمع المهدوي، وتحدد مسارات علاقاته الأفقيه بين الرعية من جهة، والرأسية بين الحاكم والمحكوم من جهة أخرى، وتوضِّح أيضاً موقف القيادة السياسية في أم درمان من الحرب الدعائية المعلنة ضدها.

مذكرات يوسف ميخائيل

يصنف بعض الباحثين «مذكرات يوسف ميخائيل» ضمن أدبيات الحرب الدعائية التي شُنَّت ضد الدولة المهدية ورموزها، إلا أن هذا التصنيف لم يكن دقيقاً وموضوعياً، وذلك للأسباب التالية: أولاً: إنَّ كاتب هذه المذكرات لم يكن سجيناً في المهدية، بل كان من المقربين للخليفة عبدالله والأمير يعقوب، ومن العارفين ببواطن الأمور السياسية الشئ الذي اكسب شهاداته نوعاً من الموثوقية. ثانياً: إنَّ يوسف ميخائيل كان شاهداً من الدرجة الأولى على معظم الحكايات والتجارب والمشاهدات التي رواها، وذلك بخلاف شهادات سجناء المهدية السماعية التي اتسمت بنوع من الضبابية في توثيق بعض القضايا التاريخية. ثالثاً: إنَّ مذكرات يوسف ميخائيل كُتبتْ في ظل الحكم الثنائي، وبتشجيع من أحد الإداريين البريطانيين الذين كانوا يهتمون بجمع أدبيات التراث السوداني وتوثيقها بعيداً عن روح الحرب الدعائية التي تدثرت بها مذكرات العقد الأخير من القرن التاسع عشر والأول من القرن العشرين للميلاد.

أما من حيث الموضوع فقد وثقت مذكرات يوسف ميخائيل لألوان طيف شتى من القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية المثيرة للجدل، التي يمكن أن نجملها في المحاور التالية:

يسلط المحور الأول (1872–1880م) الضوء على الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي في كردفان قبل إندلاع الثورة المهدية، ويعكس السمات العامة لذلك

المجتمع الذي ولد فيه يوسف ميخائيل، وعاش أيام صباه الأولى، ثم يتناول طبيعة العلاقة السياسية-الروحية التي نشأت بين الداعية الصوفي محمد أحمد بن عبد الله (لاحقاً المهدي)، ونفر من أعيان مدينة الأبيض وصُلحائها.

ويقدم المحور الثاني (1881-1883م) مشهداً حيَّاً لأحداث الثورة المهدية في كردفان، بدءاً بهجرة المهدي إلى جبل قدير، وإنتهاءً بحصار الأبيض وتحريرها على أيدي الأنصار، ثم بعد ذلك يفصِّل لمجاهدات الأنصار وتحركاتهم السياسية والعسكرية صوب الحاضرة الخرطوم التي حُررت في يناير 1885م، وبتحريرها قضى الأنصار على رمز السيادة التركية، وشيدوا على أنقاضه القواعد الأساسية لدولة المهدية، وحاضرتها في أم درمان.

ويناقش المحور الثالث (1885-1899م) فترة حكم الخليفة عبد الله التعايشي التي كانت تعج بالصراعات الداخلية بين الخليفة وخصومه السياسيين، ويتطرق أيضاً لسياسة المهدية الخارجية، والتحديات التي كانت تواجهها على الصعيدين الإقليمي والدَّولي، ويبيِّن كيف تجسدت هذه التحديات في دحر قوات المهدية في واقعة كرري عام 1898م، والقضاء على الخليفة عبد الله، وجملة من أعوانه المخلصين في واقعة أم دبيكرات عام 1899م.

ويعطى المحور الرابع (1898-1934م) لمحة سريعة عن حالة الفوضى التي شهدتها أم درمان بعد هزيمة الأنصار في واقعة كرري، وبعد ذلك يفصِّل لرحلة يوسف ميخائيل إلى مصر، ثم عودته إلى السودان، وطبيعة المهام الإدارية والتجارية التي تقلدها إلى أن استقرَّ به المقام في مدينة الأبيض حيث أضحى مسؤولاً عن إدارة عدد من مطاحن الغلال التي يمتكلها أخوه إسحاق شراكة مع الخواجة إلياس تفايه.

يوسف ميخائيل: الرجل والتجربة

ينتمي يوسف ميخائيل مليكه إلى أسرة قبطية تمتد جذورها إلى مصر. وقد قَدِم والده إلى السودان ضمن أربعين كاتباً بُعثوا من مصر لترقية الأداء الإداري في مديريات السودان المختلفة[1]. وبوصولهم إلى الخرطوم عام 1839م تمَّ توزيعهم على عدد من المراكز الإدارية، ومن ضمنها رئاسة مديرية كردفان بالأبيض حيث بدأ ميخائيل مليكه حياته العملية هناك. وحسب رواية يوسف فإن أسرة ميخائيل مليكه كانت تتكون من ثلاثة أبناء ذكور هم: جورجيوس، ومليكه، ويوسف، وعدد من الإناث. ولم يعط يوسف تاريخاً محدداً لميلاده، ولكن أَغْلَب الظن أنه قد ولد عام 1865م، لأنه يذكر في مذكراته أن عمره كان اثنى عشر عاماً عندما زار الجنرال غردون مديرية كُردفان عام 1877م. وبعد وفاة والده عاش يوسف في كنف أخيه الأكبر جورجيوس الذي أُوكلت إليه مهمة رعاية الأسرة.

بدأ الصبي يوسف حياته الباكرة تلميذاً في كُتَّاب مدينة الأبيض ليتعلم الكتابة، والقراءة، ومبادئ الحساب، وحفظ المزامير غيباً. وبعد أن أكمل تعليمه في كُتَّاب المدينة نُقل إلى رئاسة مديرية كردفان بالأبيض ليُدرَّب علي العمل الكتابي، والشؤون الحسابية. وقبل أن يحصل يوسف على وظيفة ثابتة في الميري (أي الحكومة) اندلعت الثورة المهدية في الجزيرة أبا، وأمتد أثرها إلى مديرية كردفان. وكان يوسف آنذاك من جملة سكان الأبيض الذين شغلوا أنفسهم بتحصين المدينة، وتأمين خطوطها الدفاعية في وجه الثوار المهدويين، وأنصارهم من عربان كردفان. وفي هذه الظروف الحرجة كان يوسف العائل الوحيد لشؤون أسرته، لأن أخويه جورجيوس ومليكه كانا في مأمورية لمدينة بارا التي حاصرتها قوات الأنصار. وبعد تحرير مدينة بارا وقعا في أسر المهدية، وحفاظاً على نفسيهما أعلنا ولاءهما للثورة المهدية، وبايعا الإمام المهدي في ديم الجنزارة خارج مدينة الأبيض.

(1) هؤلاء الكتبة تم إرسالهم إلي السودان حسب البرقية التي بعثها محمد علي باشا إلى عباس باشا. وفي هذا يقول الباشا: «فكتبنا من الخرطوم إلى ديوان معاونتا [...]. ولما بلغنا أسوان في طريق عودتنا إلى مصر وجدنا أكثر من 40 كاتباً قد أُوفدوا من مصر للخدمة في السودان». المصدر: دفتر 280 شورى المعاونة ملكية وثيقة رقم 21 بتاريخ 11 محرم سنة 1255هـ نقلاً عن مكي شبيكة. السودان عبر القرون. بيروت: دار الجيل. د.ن.. ص 135 .

وفي ضوء هذا التحول العقدي-السياسي عدَّل المهدي اسم جورجيوس إلى إسماعيل ومليكه إلى إسحاق، ومنحهما الأمان لأفراد أسرتهما الذين كانوا يقيمون داخل مدينة الأبيض المحاصرة. ويصف يوسف واقع الحال داخل المدينة بقوله:

وأما نحن أهل القيقر من بعد ما كنا في نعيم صرنا في جحيم بخصوص العيش من مدة أربعة شهور خلص، من شدة الحصار، الربع من بعد ما كان بعشرة ريال صار بتلاتين ريال، وتاني يصبح بخمسين ريال، وعلى هذا الحال في الشهر الخامس حصَّل مايتين ريال، وفي السادس مايتين وخمسين لغاية ما بلغ تلتماية وخمسة وعشرون ريال بمبلغ 65 جنيه خمسة وستون جنيه ذهب. والناس تأكل في الهجليج والشجر وقش الرجله الناشفه والصمغ وأولاد القرض يقلوه في الدوكه. والصمغ البعض منه يعملوا كسره والبعض يقلوه في الدوكه، ولحم الحمير الاقه خمسين ريال والحصان سبعين ريال الاقة. وجلود العناقريب أكلوها جميعها[1].

وقبيل تحرير مدينة الأبيض بثلاثة أيام فقط (أي في يوم 16 يناير 1883م) خرج يوسف بمعاونه إخوته من رحم معاناة الحصار إلى رحاب الحياة المهدوية التي كانت تمثل بالنسبة له تجربة ثرة مملؤة بالمخاطر والمفاجآت. وفي بادئ عهده بالمهدية صحب يوسف أخاه إسماعيل الذي عُين كاتباً لقبيلة الغديات في وسط كردفان، وبعد ذلك رافقت الأسرة جيوش المهدية المتوجه صوب الخرطوم، وفي هذه الأثناء عُين يوسف ملازماً للإمام المهدي، ثم كاتباً في الراية الزرقاء التي كانت تعد أقوي ألوية الجيش المهدوي من حيث العدة والعتاد.

وبعد تأسيس مدينة أم درمان حاضرة للدولة المهدي ظل يوسف كاتباً للراية الزرقاء و بيت المال العمومي. وبعد واقعة توشكي في الثالث من أغسطس 1889م قام الخليفة بتقسيم الرعايا الأجانب الذين يسكنون أم درمان إلى وحدات شبة عسكرية لكي

(1) انظر الشروحات والتعليقات الخاصة بهذا النص. ص 102-103حاشية 88-91.

يفرض عليهم رقابة أمنية صارمة. وقد شمل هذا التقسيم المغاربة والمسالمة (المسلمانية) والأقباط. وفي ضوء هذه الترتيبات الأمنية انتخب الأقباط الأمير يوسف ميخائيل مُقدَّماً لجاليتهم القبطية، وذلك بجانب مهامه الكتابية في الراية الزرقاء، وبيت المال العمومي.

ويبدو أن يوسف ميخائيل كان مُلماً بخيوط اللعبة السياسية في الدولة المهدية الشئ الذي أهله لكسب ود الأمير يعقوب الرجل الثاني في الدولة، وأضحى في نفس الوقت من المقربين للخليفة عبد الله التعايشي الذي اصطفاه كاتماً لأسراره. فلا جدال في أن هذا الدور المحوري يؤكد قدرة يوسف ميخائيل على إظهار ولائه الزائف لقيادة المهدية. ونستوثق في هذا الشأن بمشهد من مشاهد الحوار الذي دار بينه وبين الخليفة عبد الله حينما استدعاه في جلسة خاصة، وقال له: «أفهم تمام يا ولدنا يوسف أنا ما طلبتك إلا لأجل ما نعلمك أنا بحثت[1] في طريقك وفي كل مجلس أنت تكون فيه. وسألت مخصوص السيد المكي، وخلافه عنك ليس وجدت إنسان قال ليَّ في حقك كلمه، ولا تفوهت[2] لأي إنسان بكلام يكون خاص بأي مصلحة في أمر الدين. ولذلك صرت مسرور منك، وجعلتك كاتم أسراري واتخذتك [94] كمثل شيخ الدين ابني»[3]. ويرد يوسف على هذه التزكية الرفيعة بقوله: «الله يطول لنا عمرك يا سيدي أنت نورنا في الدنيا ووسيلتنا في الآخرة، إنَّ شاء الله تعالى وبنفس خليفة المهدي عليه السلام نخدم سيادتكم بكل الصداقه والأمانه».

وبعد هزيمة الأنصار في واقعة كرري عام 1898م خلع يوسف ميخائيل عن نفسه جُبة المهدية التي كان يرتديها تقيِّة، وعاد إلي ترتيب أموره الحياتية في ظل نظام الحكم الإنجليزي المصري الجديد. وفي هذه الأثناء استلم خطاباً من بطريك الكنيسة القبطية في مصر، يستفسر فيه عن أحوال الجالية القبطية في السودان، وردَّ عليه يوسف بخطاب

(1) المخطوط: بحست.
(2) المخطوط: تفوحت.
(3) لقراءة نص هذا الحوار كاملًا انظر: ص 145.

آخر مطمئناً إياه بأحوال الأقباط السودانيين. وبعد ذلك مباشرة شدَّ يوسف رحاله إلى مصر حيث قضى فترة من الزمن، أعاد فيها ولاءه للكنيسة القبطية وزار عدداً من معارفه وأصدقائه في القاهرة وغيرها من المدن المصرية، ثم قفل راجعاً إلى السودان. وبعد أن حطَّ رحاله بمدنية أم درمان أسس محلاً تجارياً لمزاولة الشراء والبيع، إلا أنه لم يدم فيه طويلاً حيث انتقل للعمل وكيلاً في منطقة النيل الأرزق للتاجر عمر الصافي الذي كان يعمل في مجال تجارة الحبوب (الذرة والسمسم)، والصمغ العربي، وسن الفيل. وبعد أن صفى يوسف ميخائيل حساباته مع السيد عمر الصافي انتقل للعمل وكيلاً لشركة استعمار السودان التي كانت تتاجر في الذرة والصمغ العربي، إلا أنه اختلف مع إدارة الشركة وعاد إلى مدينة الأبيض حيث أسس محلاً تجارياً، ثم بعد ذلك انتقل لإدارة عدد من مطاحن الغلال كان يمتلكها أخوه إسحاق شراكة مع الخواجة إلياس تفايه.

وهذه هي الفترة التي تعرَّف فيها نائب مفتش مركز وسط كردفان، السيد إ. ف. أقلن، على يوسف ميخائيل وتجاذب معه أطراف الحديث حول تاريخ مدينة الأبيض قبل الغزو الإنجليزي المصري. وفي أغسطس عام 1934م فوجئ السيد أقلن بوجود يوسف ميخائيل وزوجته فكتوريا في إحدي حراسات سجن الأبيض، بتهمة صناعة الخمور البلدية، وكانت دفوع فكتوريا تتمثل في أنها صنعت الخمر كعلاج لزوجها يوسف الذي كان يعاني من داء «الربو»، إلا أن هذه الدفوع لم تشفع لها ولزوجها الذي قرر مرافقتها في الحبس، ومن ثم حُكم عليهما بالسجن مدة شهر كامل. واستثماراً لهذا الحادث المحزن فقد حاول السيد أقلن أن يمد يوسف ميخائيل الذي كان يبدو «واهن البدن مُبْيض الشعر» بقلم رصاص ومجموعة من القراطيس ليوثق تاريخ حياته الزاخر بالتجارب والعبر. وفي ظل هذه الظروف دوَّن يوسف ميخائيل مذكراته التي أضحت فيما بعد مصدراً مهماً من مصادر تاريخ السودان الحديث.

توصيف المخطوط

يتكون مخطوط يوسف ميخائيل الذي أعده عام 1934م من 138 صفحة من القطع المتوسطة الحجم، وتقدر مساحة الصفحة الواحدة بـ 18X27 سنتمتراً مربعاً. وصفحات المخطوط مرقمة بإطراد، إلا أن الترقيم يبدو مزدوجاً، علماً بأن هناك أرقاماً مطبوعة أصلاً على أوراق المخطوط، وأخرى من صنعة المؤلف تبدأ بالرقم (1) وتنتهي بالرقم (138). والملاحظة الملفتة للنظر هي أن المؤلف يكرر الرقم (12) تكراراً طردياً ثم يتنقل إلى الرقم (13)، وحسب رأي صالح محمد نور أن هذا التكرار يدل على أن المؤلف كان من الذين يتشاءمون من الرقم (13) [1]، إلا أن هذا الزعم مردود لأن الرقم (13) يوجد في المخطوط الأصل. وتوجد بين أوراق المخطوط ورقة غير مرقمة، وتحمل العبارات التالية: «وما توفيقي إلا بالله. بمديرية كردفان. غرودن السودان. يوسف مخاييل. تحرير في 12/15/ سنة 1934م». وقد عَدها صالح محمد نور من ضمن أوراق المخطوط وأعطاها الرقم (139). وتوجد أوراق أخرى مع المخطوط وضعها صالح محمد نور في ثلاثة ملاحق منفصلة، وهي تحوي تقديم إ.ف. أقلن للمخطوط، وخريطتين عن مدينة الأبيض، والمواقع السكنية والإدارية الملحقة بها إلى عام 1882م، ويبدو أن هذه الخرائط قد صممها أقلن في ضوء المعلومات التي حصل عليها من يوسف ميخائيل، ومن موظف سوداني في مديرية كردفان يدعى عثمان أفندي عبد الله.

وقد استعمل المؤلف قلم الرصاص، وأحياناً قلم الكوبيا في تدوين صفحات المخطوط التي رسمها بخط رقعة واضح ومقروء، إلا أنه خالٍ من علامات التنوين، واصطلاحات الضبط المختلفة. ويظهر على متن المخطوط، وهوامشه بعض الكلمات الإنجليزية، التي تبين أن هناك شخصاً قد اطلع عليه، وحاول أن يترجم بعض مفرداته إلى اللغة الإنجليزية.

(1) انظر صالح محمد نور:
Salih Mohmed Nur, A Critical Edition of the Memoirs of Yusif Mikha'il with an Introduction, translation, Note, and Commentary, Ph.D. thesis, London: University of London: School of Oriental and African Studies, 1962, p. 14.

وقد جاء المخطوط دون عنوان رئيس، إلا أن المؤلف يشير إشارة ضمنية إلى عنوان المخطوط بقوله: «إنَّ محرر هذا التاريخ [هو] يوسف ابن المعلم ميخاييل مليكة القبطي السوداني»، ثم يخصص هذا الإطلاق بقوله: «أنه بعون الله وحسن توفـ [يـ]قه قد تم تاريخ حياتي على جميع الوقايع التي حصلت لي، [و] الشي الذي حصل علي يدي، والذي كان في زمن حياتي»[1]. ويذكر أيضاً على صفحة الورقة الملحقة بالمخطوط عبارة «غردون السودان». لذا فإن غياب العنوان الناشئ أصلاً من صنعة المؤلف قد جعل الذين اطلعوا على المخطوط لاحقاً يختلفون في تسميته، فيطلق عليه أقلن «السيرة الذاتية ليوسف ميخائيل»، ويسميه هولت «غردون السودان»[2]، أما صالح محمد نور فينعته بـ «مذكرات يوسف ميخائيل»، محتجاً بشمول مقترحه وموافقته مع محتويات المخطوط مقارنة مع الخيارات الأخرى[3]. وتبنت طبعة دار النصيري غير المحققة هذا المقترح وأضافتْ إليه عنواناً توضحياً آخر، ليصبح العنوان الكامل: «مذكرات يوسف ميخائيل عن أواخر العهد التركي والمهدِّية بالسودان»[4]. بالرغم من تحفظنا على مصطلح مذكرات[5] إلا أننا نجده أنسب الخيارات المتاحة، ومن ثم فإننا نستحسنه عنواناً لهذه الطبعة المحققة مع اجراء تعديل طفيف ليُقرأ هكذا: «مذكرات يوسف ميخائيل: شهادة شاهد عيانٍ على التركية، والمهدية، والحكم الثنائي في السودان».

(1) انظر النص، ص 270.

(2) انظر مسودة ترجمة هولت المودعة بدار الوثائق القومية بالخرطوم.

(3) صالح محمد نور، 1962، ص 14.

(4) مذكرات يوسف ميخائيل عن أواخر العهد أواخر العهد التركي والمهدية بالسودان. لندن: دار النصيري للنشر، د.ن.

(5) نتحفظ على مصطلح مذكرات لأن المذكرات يجب أن تستقي مشروعيتها التاريخية من المدونات والوثائق التي سجلها الكاتب عبر مراحل حياته المختلفة لكي تكون شاهداً على المواقف والتجارب والمشاهدات التي عاصرها، وأسهم في صياغة بعض منها، وذلك بخلاف الذكريات التي تعتمد على ما تعيه الذاكرة من أحداث كان لها وقعها في نفس الكاتب. لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع انظر: إحسان عباس، فن السيرة، ط 6، عَمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 1992م ص 99؛ شوقي محمد المعاملي، السيرة الذاتية في التراث، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1988م، ص 238.

لغة المخطوط

كُتب المخطوط بلهجة عربية عاميِّة تغلب عليها سمات اللسان الكردفاني. وكردفان هو أقليم في غرب السودان، مترامي الأطراف يضم بين جنباته بيئات متباينة من حيث طبيعتها الجغرافية، وتركيبتها البشرية. وقد جعله هذا الواقع البيئي موطناً خصباً لتنوع مفردات اللهجة العامية الكردفانية التي اتخذت من العربية الفصحي قاعدة لها، ثم جمعت بين دفتيها ألوان طيف شتى من اللهجات المحلية والمفردات المتنوعة بتنوع طبيعة الأنشطة البشرية، وثقافة العنصر الوافد إلى كردفان من داخل السودان وخارجه، لأنَّ كردفان في نظر أهلها وهؤلاء الوافدين كانت تُعرف بـ «كردفان الغَرَّة أم خيراً جُوَّا وبَرَّا»[1].

وتتمثل السمات العامة للغة هذا المخطوط في إبدال حروف بعض مفردات العربية الفصحى بحروف أخرى مثل إحلال المؤلف للهاء محل الحاء، والتاء محل الثاء، والسين محل الثاء، والصاد محل السين، والتاء المفتوحة محل التاء المربوطة، كما في قوله «روهنا» بدل روحنا، و«كتير» بدل كثير، و«مكس» بدل مكث، و«خصيصه» بدل خسيسة، ووظيفت بدل وظيفة. ويميل الكاتب أيضاً إلى حذف الهمزات بأنواعها المختلفة كما في قوله «الما» بدل الماء، و«المومنين» بدل المؤمنين، و«العايلات» بدل العائلات، و«ياكل» بدل يأكل. ويوجد في المخطوط أيضاً إدغام في حالات إلتقاء بعض حروف الجر مع بعض الكلمات أو أسماء الإشارة كما في قوله «عليذلك» بدل على ذلك، و«فيذلك» بدل في ذلك، و«عليد» بدل على يد، و«عليمايرام» بدل على مايرام.

(1) استشهد إندرا استياسن ومايكل كيفين في كتابهما عن كردفان بهذه المقولة. لكنها جاءت مبتورة عن النحو التالي: «كردفان الغرة أم خيراً بره». وقد انعكس ذلك على الترجمة الإنجليزية التي تقرأ هكذا:

"Kordofan the beautiful, the source of goodness"

انظر كيفين واستيانس:

Endre Stiansen and Michael Kevane, eds., Kordofan Invaded: Peripheral Incorporation and Social Transformation in Islamic Africa, Leiden: E.J. Brill, 1998, p. 1.

وهناك تحويل للحركة القصيرة إلى حركة طويلة كما في قوله «الجيهات» بدل الجهات، «، أو زيادة حرفين كما في اكام» بدل كم. أما الحذف فهو أكثر السمات شيوعاً في المخطوط كما فعل المؤلف بعض المفردات مثل «ود» بدل ولد، و»بت» بدل بنت. ولا يفرق المؤلف أيضاً بين أسماء الإشارة المذكرة والمؤنثة بل يميل في معظم الأحيان إلي التذكر دون التأنيث.

ويوجد بين ثنايا المخطوط بعض المفردات التركية مثل باشا، وباشكاتب، وأُغا، باشبوزق، وسنجك، وأفندي، وترسانة، وجبخانة، ودفترخانة، وطبرخانة، وقيقرة، وأُرطة، وطبجية؛ وبعض المفردات السودانية مثل عنقريب، وقربة، وبرمة، ودميرة، وبُتاب، وشرموط، وطابونه، وبرش، وميس، وفلقة، ومُركب، وراكوبة، وأم بايا؛ وبعض المفردات اللاتنية المُعَرَّبة مثل كنترات أو كنتراتو، ومكنه، ورمنتون، وتليان، وورشه، واسبتالية، وكل هذه المفردات ومثيلاتها تم شرحها في مواضعها.

القيمة العلمية للمخطوط

أولاً: إنَّ أهمية المخطوط تكْمُن في قراءته التفصيلية للواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي شهدته كردفان قبيل ظهور المهدية، وفي عرضه لدينامية الصراع المحلى التي أسهمت إسهاماً فاعلاً في نجاح الثورة المهدية في ذلك الإقليم. ويضاف إلى ذلك أنه يمثل رواية شاهد عيان تابع معظم أحداث ذلك المشهد السياسي عن قُرب ودوَّن حيثياته تدويناً دقيقاً لا تضاهيه إفادات الذين عاصروا جزءاً من تلك الأحداث، أو وثقوها عن طريق إفادات سماعية. وبناءً على ذلك فإن القراءة الفاحصة لمذكرات يوسف ميخائيل تقودنا إلى الخروج من دوامة التفسير الأحادي للتاريخ الذي يعزي مثلاً نجاح الثورة المهدية في كردفان إلى الدور الكارزمي الذي لعبه محمد أحمد بن عبدالله

(المهدي). إننا لا ننكر ذلك الدور، لكننا نُرجِّح الرأي أن الاعتقاد بأُحاديته فيه تجاهل واضح لدقائق البئيات المحلية التي كانت تحكم حركة المجتمع الكرفادني الذي كان يمثل أكثر المجتمعات ملاءمة لاستقبال الثورة المهدية، وتفعيل آلياتها. وأوثق شاهد يرويه لنا يوسف ميخائيل في هذا المضمار هو الصراع الذي حدث بين إلياس باشا أم برير[1]، وأحمد بك دفع الله[2] عقب تعيين الأول مديراً على مديرية كردفان، فلا شك أنه كان صراعاًن ص محكوماً بظروف محلية صرفة تتجلي في الخصومة المصلحية بين الرجلين التي أفرزها التنافس التجاري في سوق الأبيض آنذاك، ويتجلى أيضاً في الكراهية التقليدية بين الجلابة وزعماء عشائر كردفان التي يجسدها الصدام المسلح الذي نشب بين مدير مديرية كردفان إلياس باشا أم برير، والشيخ علي كنونه[3] الزعيم التقليدي لقبائل وسط كردفان، ويمكننا أيضاً أن نضيف إلى هذين البُعدين بُعداً آخر يتبلور في رفض أهالي كردفان لسلطة الحكومة التركية المركزية، وتشوقهم إلى ظهور «مهدي منتظر» يخرجهم من غياهب الظلم والجور الذي كانوا يعانون منه إلى رحاب العدالة والحرية التي يتوقعون أنهم سيتفيؤون ظلالها الوارفة بعد قيام دولة المهدية. ومحصلة القول إنَّ هذه المواقف السياسية المتباينة قد قادت إلى انشطار مجتمع كردفان إلى معسكرين: معسكر أقلية يمثله أنصار الحكومة والمستفيدون منها، ومعسكر أغلبية يتكون من الفئات المعارضة للحكم التركي، إلا أن تلك المعارضة كانت تفتقر إلى آليات توظيفها توظيفاً جماعياً يسهم في القضاء على نظام الحكم القائم آنذاك.

ثانياً: إنَّ مذكرات يوسف ميخائيل الذي عمل كاتباً في الراية الزرقاء وبيت المال العمومي، وأميناً لأسرار الخليفة عبد الله التعايشي تقدم لنا عرضاً توثيقياً لدور الصراع الجهوي والقبلي في إضعاف الانتماء الوطني للدولة المهدية، وتبيِّن كيف حوَّل ذلك الصراع سيادة الدولة المهدية إلى سيادة قبيلة تحكمها التطلعات السياسية للخليفة

(1) انظر الترجمة. ص 9-30/10
(2) انظر الترجمة. ص 30/10.
(3) انظر الترجمة. ص 51/15.

عبدالله وأخيه يعقوب وابنه عثمان شيخ الدين. وبجانب ذلك تعكس الحضور الديني (أو الغيبي) الكثيف المرتبط بفاعلية الحضرات النبوية، والرؤى المنامية، والخرافات في صناعة القرار السياسي في أم درمان، وتوضح أيضاً كيف ولَّد الاستبداد وعدم الاعتداد بالرأي الآخر نوعاً من النفاق السياسي الذي يرقى إلى درجة الخيانة الوطنية عندما واجهت الدولة المهدية عدواً خارجياً شرساً. فلا عجب في أن تلك المشاهد التاريخية قد أسهمت في تكوين العقلية السياسية السودانية في القرن التاسع عشر الميلادي، وهي أيضاً تصلح كخلفية تاريخية لتحليل المشهد السياسي المعاصر، وفهم طبيعة القوى السياسية التي تحكم عملية تنازع السلطة والولاء في السودان.

ثالثاً: إنِّ المخطوط كما ذكرنا من قبل كُتب بلهجة عربية عاميِّة يغلب عليها الطابع الكردفاني، الذي يؤكد امتزاج العناصر العربية الوافدة بالسكان الأصليين من النوبة، والفور، والقبائل النيلية، وذلك إضافة إلى المفردات الإدارية التي جاءت مصاحبة لنظام الحكم التركي المصري، ثم أصبحت تدريجياً تشكل جزءًا لا ينفصم من نسيج اللهجة العاميِّة الكردفانية. ومن هذه الزاوية فإنِّ المخطوط يُعَدُّ مرجعاً مهماً بالنسبة للمهتمين بالدراسات اللغوية والدراسات الاجتماعية التي تستخدم اللغة أداة من أدوات تحليل التمازج الاجتماعي، وتتبُّع هجرات الجماعات البشرية عبر الزمان والمكان.

رابعاً: إنَّ النظرة الشمولية للتاريخ تقضي أن نقرأ مذكرات يوسف ميخائيل القبطي قراءة نقدية مقرونة بقراءة الأدبيات المعاصرة لها، مثل كتابات إسماعيل عبد القادر الكردفاني، سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي/الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الحبوش، وأوراق السيِّد علي المهدي، جهاد في سبيل الله، ومذكرات الشيخ بابكر بدري، تاريخ حياتي، وأدبيات سجناء المهدية التي تغلب عليها السمة الدعائية المضادة للمهدية كما ذكر آنفاً، وفوق هذا وذاك يجب أن تعطى الأولية لوثائق المهدية التي نشرها محمد إبراهيم أبوسليم والتي لازالت محفوظة في أضابير دار الوثائق القومية بالخرطوم.

منهج التحقيق: تقويم النصّ

اعتمدتُ في تقويم النصّ على نسخة مصورة من أصل المخطوط توجد بدار الوثائق القومية بالخرطوم؛ واستأنست أيضاً بصورة من النسخة التي نسخها صالح محمد نور من صورة النسخة الأصلية المودعة بمكتبة مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن؛ ووقفت على طبعة المخطوط الصادرة عن دار النصيري للنشر بلندن التي يؤكد الناشر أنها طبعت من نسخة مكتبة مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية، ثم يُزيِّل لتصديره لها بقوله: «هذا الكتاب يأتي في الصورة التي جاءت عليها تلك المخطوطة انتظاراً لتحقيقه من قبل أهل العلم»[1]. وفي ضوء هذه التوطئة يمكننا أن نجمع الرأي على أنَّ أصل المخطوط واحد لا اختلاف عليه، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هي أوجه الشبه والاختلاف بين نسخة المخطوط الأصل والنسخ التي نقلت عنها؟

أولاً: إنّ نسخة صالح محمد نور تختلف عن النسخة الأصلية من حيث الترقيم، لأنها جاءت ملحقاً لأطروحته التي قدمها لنيل درجة الدكتوراه بمدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية عام 1962م، ويبدأ ترقيمها بالرقم (1) وينتهي بالرقم (130)، إضافة إلى ذلك فإنَّ صالحاً يذكر أرقام المخطوط الأصل في الهامش الأيسر، ويحذف ألف واو الجماعة الواردة في مفردات النص، ثم يصوب في الحواشي بعض المفردات التي تعرضت لإبدال، أو حذف، أو تصحيف، أو سَقْط مُخِلّ بألفاظ تلك المفردات أو معانيها. وكما ذكرنا من قبل فإنه قد ألحق ثلاثة ملاحق بالمخطوط، شملت تقديم أقلن للمخطوط، وخريطتين لمدينة الأبيض وضواحيها في عام 1882م.

ثانياً: إنّ طبعة دار النصيري يبدو أنها منقولة من نسخة صالح محمد نور، لأن الناشر نقل معظم الملاحظات اللغوية التي وضعها صالح في حواشي الملحق إلى متن النسخة المطبوعة واضعاً إياها بين أقواس. وجاء ترقيم النسخة أيضاً مختلفاً عن ترقيم

(1) انظر طبعة دار النصيري. المقدمة الواردة على صفحة الغلاف الداخلي الأيسر.

المخطوط الأصل وعن ترقيم صالح محمد نور، إذ إنه يبدأ بالرقم (1)، وينتهي بالرقم (90). ويضيف الناشر أيضاً في نهاية الكتاب نصَّ التقديم الذي كتبه إ.ف. أقلن عن المخطوط، ويكتب على الغلاف الداخلي الأيمن مقدمة تحوي بعض العبارات المقتبسة من تقديم أقلن، ثم يعرض بعض انطباعاته الشخصية عن المخطوط في الغلاف الداخلي الأيسر، إذ يقول: «على حين أنه لا تعنينا الأحكام السياسية التي حملتها مذكرات يوسف ميخائيل فنحن لا يسعنا إلا الاعتراف بطرافتها، وبكونها شهادة شخصية إن لم تدل على أحداث بعينها فهي تنهض نموذجاً على الصورة التي رأي بها يوسف ميخائيل نفسه وزمنه أو على تلك الصورة التي ارتأى تقديمها باعتبارها صورة مناسبة من ذلك الزمن. وبين هذا وذاك فنحن مأخوذون بعاميِّة الكاتب التي نرجو ألا تكون الأقواس قد أفسدت الكثير من الاستمتاع بها».

أما فيما يخص تقويم النص، فقد راجعت منشورات المهدي الأربعة التي أوردها يوسف ميخائيل في صدر المخطوط وعجزه مع نصوصها التي حققها محمد إبراهيم أبوسليم في مصنفه الموسوم بـ «الآثار الكاملة للإمام المهدي»، وكذلك ضبطت الآيات القرآنية الواردة في المنشورات، وخرَّجتها حسب ما جاء عليه رسم المصحف الشريف، على قراءة حفص عن عاصم، وصححتُ بعض الكلمات في المتن وأشرتُ إلى أصولها في الحواشي، وتركتُ بعضاً، ومعيار التصويب في هذا الشأن كان قائماً على أسس أن الإغلاب أو الإبدال أو التصحيف قد أفسد معاني بعض الكلمات، وجعل قراء بعضها غير ميسورة للقارئ غير المتفقه في العامية السودانية.

والتزمتُ في الحواشي بوضع تعريفات قصيرة للشخصيات المهمَّة التي ذكرها يوسف ميخائيل، والمواقع التاريخية، والمدن الرئيسة، والمفردات الغريبة في اللهجة العاميِّة الكردفانية، والدخيلة عليها. ثم بعد ذلك عالجت المشكلات اللغوية التي ترتبط بالإبدال، والحذف، والإقلاب، والإدغام، والتصحيف، والسقط المخل بنطق الألفاظ

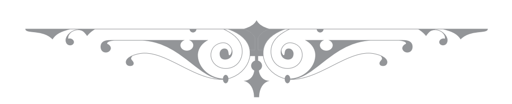
أو معانيها. وبالنسبة للقضايا الخلافية مثل حادث اغتيال غردون، وسبب وفاة المهدي، ووقائع مذبحة المتمة وتداعياتها، فقد قمتُ بعرض الرأي الآخر المخالف لرأي يوسف ميخائيل، آملاً أن يسهم هذا العرض في التثبت من صِحة الوقائع التاريخية المشار إليها وغيرها، ويفسح المجال للحوار التاريخي، وسماع الرأي، والرأي الآخر.

أما فيما يخص ترتيب المخطوط وتبويبه، فقد قسمت مادته إلى سبعة فصول، وأربعة ملاحق، ووضعت لكل فصل العنوان الذي يناسب المادة الواردة بين دفتيه، ووضعت بعض العناوين الجانبية حيث يقتضي السياق. وشملت الملاحق منشورين للإمام المهدي وضعهما يوسف ميخائيل في نهاية المخطوط، وخطاباً أصدره الخليفة لأهالي المتمة حَصلتُ عليه من مكتبة ب.م. هولت الخاصة، وتقديم السيد أقلن للمخطوط. ثم وضعت بين عاكفتين في متن النسخة المحققة رقم كل صفحة من صفحات المخطوط الأصل.

وفيما يخص تقويم النص حسب ما يقتضي السياق من حذف، أو إضافة، أو إعادة ترتيب أو تبويب، فقد التزمت بوضع علامات الترقيم التالية:

العاكفتان المتقابلتان [ ]	لحصر كلام ساقط أو حرف أو كلمة أو عبارة أضافها المحقق أو وجدها في مصدر آخر.
العاكفتان المتقابلتان وتتوسطهما علامة استفهام [؟]	لتوضيح العبارات أو المفردات غير المقروءة في المخطوط.
العاكفتان المتقابلتان وتوسطهما أسهم هكذا [<<<]	لتحويل عنوان، أو تقديم للمؤلف، أو موضوع من موضعه الأصل إلى موضع آخر.
العاكفتان المتقابلتان وتتوسطهما أسهم هكذا [>>>].	لإدخال عنوان، أو تقديم للمؤلف، أو موضوع من موضعه الأصل إلى موضع آخر.
علامتا الإقتباس ﴿ ﴾	لضبط الآيات القرآنية.
علامتا التنصيص « »	لضبط النصوص والروايات المنقوله من مصادرها على وجه التثبت.

شكر وتقدير



يسعدني في الختام أن أسدى الشكر الخالص إلى دار الوثائق القومية بالخرطوم ومدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بلندن اللتين حفظتا هذا المخطوط ضمن مقتنياتهما التاريخية، وجعلتا مادته ميسورة للباحثين في مجال الدراسات السودانية؛ والشكر أجزله إلى المرحوم الدكتور صالح محمد نور الذي ترجم هذا المخطوط من أصله العربي إلى الإنجليزية، جاعلاً مادته متاحة لنطاق أوسع من الباحثين، وإلى دار النصيري التى نشرت المخطوط في طبعة متواضعة وأوصت بتحقيقه من قِبْل ذوي العلم والدرايَّة، بحجة أنه يحمل بين جوانحه مادة علمية مهمة عن تاريخ السودان الحديث.

ويطيب لِيَّ أن أعبر عن جزيل امتناني لزملائي الأجلاء بالجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا: البروفسور حسن أحمد إبراهيم، والبروفسور أحمد عبد الرحيم نصر، والدكتور عادل الشيخ عبدالله، والدكتور صالح محجوب التنقاري، لما قدموه من ملاحظات علمية وإرشادات معرفية أثمرت في تقويم النص وعرضه بالصورة الماثلة بين يدي القارئ الكريم.

والشكر والعرفان أجزله إلى مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي بأم درمان الذي «أصبح مع مرور الأيام منبر الثقافة الرئيس للقُراء السودانين في الوطن وفي أقطار

الشتات»[1]، وإلى راعي هذا المنبر الثقافي الأستاذ محمود صالح الذي أولى اهتماماً خاصاً بنشر هذا المخطوط ليكون ضمن منشورات المركز الدوريَّة التي اشتملت على قائمة طويلة، جاءت في مقدمتها مجموعة «الوثائق البريطانية عن السودان»، وإصدارات أخرى وثَّقت لعدد من رموز الثقافة السودانية وروادها الأوائل.

أحمد إبراهيم أبوشوك

قسم التاريخ والحضارة،

الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا،

25 ديسمبر 2003م

(1) مقدمة محمد المكي إبراهيم لكتاب حسن أبشر الطيب، إطلالة في عشق الوطن، أم درمان: مركز عبد الكريم ميرغني. القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2001، ص 13.

5

بسم الله المبدي ومعيد

الحمد لله على كل حال هو مبدع الكائنات ومصدر الجود ومحيي الآمال ومنظم الموجودات

أما بعد فان محرر هذا التاريخ يوسف ابن المعلم ميخائيل [illegible] القبطي السوداني كان

والدنا حضر من مصر الى [illegible] السودان من ضمن ارباب الكتبة بمأموريتهم في

عهد افندينا محمد علي باشا والحكام [illegible] وبعد حضورهم بالخرطوم [illegible]

الكتاب على الجهات [illegible] وانا [illegible] لمديرية كردفان حضرنا بعائلة وامنا

[illegible] ذكر [illegible]

ومكث بها زمن كبير وبعد ذلك توفنا الى رحمة الله تعالى وكان مرشد العائلة

الاكبر جورجيوس [illegible] وانا ادخلني في الكتاب [illegible]

الثاني عند المعلم [illegible] وصرت نتعلم مع الاولاد

اولاد الاقباط وكان ذلك [illegible] عمري [illegible] واظنك

ومكثت مدة كبيرة وكان العريف رجل جبار يضربنا بالعصا اذا كان

نلعب وعنده فلقة خشب بها خرمان موضوع [illegible] حبل شل يشد

رجلين التلميذ الذي لا يحسن القراءة او لم يكن يحفظ [illegible]

الذي يكتب له في لوح خشب او صفيح وصرنا [illegible]

من [illegible] لشدة الخوف وذات يوم هربت [illegible]

منه بدون [illegible] لاخواني العريف يضربني [illegible]

ويضربني شديد فانا خفت وهربت منه فلما

وقال له اخذه بيده [illegible] للعريف

الى اخوي قال لي لماذا تبكي يا ولد

بدون [illegible] مع العبد وانا نحو

الضرب الشديد وان هذا [illegible]

الصفحة الأولى من مخطوط يوسف ميخائيل

بسم الله المبدي والمعيد(1)

الحمد لله على كل حال هو مبدع الكائنات مصدر الجود ومحي
الرجال ومنظم الموجودات .

اما بعد ان محرر هذا التاريخ يوسف ابن المعلم ميخا ابن مليكه
القبطي السوداني كان والدنا حضر من مصر اول فتوح السودان من ضمن
اربعين كاتب جابوهم في عهد افندينا محمد علي باشا والبشكاتب عليهم
المعلم هريدي . وبعد حضورهم بالخرطوم تفرقت الكتاب على الجهات ومن
الضمن والدنا تعين لمديرية كردفان حضر بعايلته واقام بالابيض
خدم الحكومه وخلفنا بكردفان ومنهم تلاته اخوان ذكور خمسة البنات
وحكش(2) بلا زمن كبير وبعد ذلك توفى الى رحمة الله تعالى . وكان مرشد
العايله اخونا(3) الكبير جورجيوس ربانا ونحن صغاراً وارشدنا وانا
ادخلني في الكتاب لاجل تعليم القراية(4) عند المعلم جرجس ميخا يطلقوا عليه
اسم العريف وصرت نتعلم مع التلامذه اولاد الاقباط وكان ذلك وقت
عمري سبعة(5) سنوات وقد واظبت على التعليم ومكثت مدة كبيرة وكان
رجل جبار يضربنا بالصوت(6) اذا كان وجدنا نلعب وعنده فلقة(7) خشب بها
خرمين موضوع فيها حبل تيل يشد عليه رجلين التلميذ الذي لا يرغب
القرايه ام لم يكن يحفظ على باله المزمور الذي يكتب له في لوح خشب أو
صفيح وصرنا نخاف منه خوفا شديد ونهرب من تعليمه لشدة الخوف
وذات يوم هربت للبيت وسالوني اهلي : " لماذا حضرت من بدري؟ " قلت

---

(1) MS. reads ومعيد
(2) Sic in MS. Read مكث
(3) MS. reads اخوانا
(4) Sic in MS. Read القراءة
(5) MS. reads سبعة
(6) Sic in MS. Read بالسوط
(7) Sic in MS. Read خلقة

-361-

الصفحة الأولي من نسخة صالح محمد نور

بسم الله المبدي و(المعيد) ومعيـــد

الحمدلله على كل حال هو مبدع الكاينات مصدر الجود ومحي الاثار ومنظـــم الموجودات .

أما بعد أن محرر هذا التاريخ يوسف ابن المعلمميخاييل مقيكة القبطي السوداني كـــان
والدنا حضر من مصر أول فتوح السودان من ضمن أربعين كاتب بعايلاتهم فى عهد أفندينا محمد على
باشا والبشكاتب عليهم المعلم هريون، وبعد حضورهم بالخرطوم توزعت الكتاب على الجهات مـــن
الضمن والدنا تعين لمديرية كوردفان حضر بها بعايلته وأقام بها من ضمن خدمة الحكومة وخلفنا
بكوردفان ونحن ثلاثة اخوان ذكور خلاف البنات ومكس (مكث) بها زمن كبير وبعد ذلك توفا رحمـــت
الله تعالى . وكان مرشد العايله (اخونا) اخوانا الاكبر جورجيوس ريانا ونحن صغارا وأرشدنـــا
وأنا أدخلني فى الكتاب لاجل تعليم القرايه (القراءه) عند المعلم بطرس أمينا يطلق عليه اســـم
العريف وصرت نتعلم مع التلاميذه أولاد الاقباط وكان ذاك وقتها عمرى (سبعه) سبعه ٧ سنوات وقـــد
واظبت على التعليم ومكثت مده كبيره وكان رجل جبار يضربنا بالحوت (بالسوط) اذا كان وجدنـــا
نلعب وعنده فلقه (فلقه) خشب بها خرمين موضوع عليها حبل تيل يشدو عليه رجلين التلميذ الذى
لا يحسن القرايه أو لم يكن يحفظ على باله المزمور الذى يكتب له فى لوح خشب أو صفيح وصرنـــا
نخاف منه خوفا شديد ونهرب من تعليمه لشدت الخوف وذات يوم هربت وسالونى أهلى: "لماذا حضـــرت
من بدرى؟" قلت لاخوانى :"العريف يضربنى بالسوط ويوضع الفلقه على رجلينى ويضربنى شديد فأنـــا
خفت وهربت منه". فما كان من أخونا الاكبر أمر العبد وقال له : "أخذه بيده وسلمه للعريـــف".
عند ذلك أخذنى الخوف وصرت نبكى الى الحوى قال لى: "لماذا تبكى يا ولد ؟ أنت ترفض (ترفض)
التعليم تطلع حايف (هايف) بدون تعليم؟ امشى مع العبد وأنا نحضر ونوصى عليك العريف بعـــدم
الضرب الشديد". وان هذا الكلمة التى صدرت منه لاجل تسكين روعى. فأخذنى العبد بيده وأنـــا
منقاد له كمثل الذاليل وسلمنى الى العريف وعندما وصلت عنده ونظر على وقال لى: "لماذا هربـت
من الكتاب يا كلب ؟ أمسك لوحك واقرى (اقرأ) ولازم تحفظ المزمور على يومين كمثل اخوانك علـــى
شان تطلع شاطرومتعلم لا تكون نذل (نذل) وحايف (هايف) عند ذلك أخذت لوحى وصرت نتجمع (نجتمـــع)
مع الاولاد الصغار الذين من دورى وعندما نجدو (نجد) فرصة لغياب العريف نرمو (نرمى) ألواحنـــا
ونطلعو (نطلع) خارج الكتاب لاجل اللعب ونأخذ (نأخذ) لنا بلح وفول ونخفوه (نخفيه) داخل جيوبنـــا
وعندما نعلمو (نعلم) وقت حضوره ندخلو (ندخل) الكتاب وهو يقعد قصادنا وعموم الاولاد صغار وكبـــار
صفوف أمامه والسوط بجانبه وينظر على كل واحد تلميذ سرا وأخذ (ويأخذ) كتاب بيده لاجل المطالعة
عليه وعندما نجدو (نجد) فرصه فيه نطلعو (نطلع) البلح والفول من جيوبنا وناكلو (نأكل) ســـرا
خوفا منه ونتغادو (نتغاداه) بالالواح) وهو ينظر علينا ونحن بدون علم منه وما نشعرو (نشعـــر)
الا قال لواحد تلميذ اسمه صالح مكسوس :" طلع هذا التلميذ " فيصير ذلك التلميذ الكبير يأخذ
كل واحد منا يقدمو (يقدمه) أمامه يقول:"تاكل ايه ياولد؟" يقول التلميذ " ليس عندى شئ" ينكر
خوفا منه يأمر محمد صالح بتفتيش جيبه ويطلع البلح والفول منـــــــه

الصفحة الأولي من نسخة دار النصيري

Thanks to God the Creator of all the world

The writer of this history is Yusef Mikhail Milaika the Sudanese Coptic

My father came to the Sudan from Egypt in the first days of its conquest. He was one of 40 clerks who were imported from Egypt with their families (by) Mohd Ali Pasha under the clericalship of "Er Mualim" Hafoun.

When they arrived at Khartoum, they were distributed amongst the various parts of the Sudan. My father was attached to Kordofan Province & he came to it with his family as a Government Servant. We were born in Kordofan myself & my two brothers & some sisters. After a long time my father died & our family affairs were placed in the hands of my elder brother Georgious who brought us up. He sent us to the Kuttab to learn under the tutorship of a certain (Coptic) Butros Musa who was known as the "Arif". There were many Coptic boys in the Kuttab. My age on entrance was 7 years and I stayed for many years learning. The "Arif" was very brutal and whenever he discovered us playing he used to beat us without mercy. He had a bastinado which was a terror to (especially to those) who could not read well or learn (by rote) the psalms, (or) written letters on boards or his tablets.

الصفحة الأولى من مسودة الترجمة الإنجليزية لـ: ب.م. هولت

الفصل الأول

يوسف ميخائيل وكردفان في أواخر العهد التركي



بسم الله المبدى و [الـ]معيد

الحمد لله على كل حال، هو مبدع الكاينات، [و] مصدر الجود، ومحي الآمال، ومنظم الموجودات.

أما بعد، إنَّ محرر هذا التاريخ يوسف ابن المعلم ميخاييل مليكه القبطى السوداني، كان والدنا حضر من مصر أول فتوح السودان[1]، من ضمن أربعين كاتب بعايلاتهم، في عهد أفندينا محمد علي باشا[2]، والبشكاتب[3] عليهم المعلم هريون. وبعد حضورهم بالخرطوم[4] توزعت الكُتَّاب[5] على الجهات، ومن الضمن والدنا تعين لمديرية كوردفان حضر بها بعايلته، وأقام بها من ضمن خدمة الحكومة، وخلفنا بكوردفان[6]، ونحن تلاتة

(1) إشارة إلى الغزو التركي المصري على السودان عام1820م. وكثير من المصادر التاريخية المصرية والسودانية تعتبره فتحاً. إلا أنَّ بعض المؤرخين السودانيين يصفونه بأنه غزو، لأنه قضى على السلطنات السودانية ذات السيادة المحلية، وأقام على أنقاضها حكماً تركياً متسلطاً رفضته معظم الكينونات السياسية، والدينية في السودان.

(2) إشارة إلى محمد علي باشا (ت. 1949م) والي مصر الذي أصدر قرار غزو سودان وادي النيل، وتابع حلقات السيطرة عليه. وكلمة باشا المستخدمة في هذا السياق كلمة تركية منحوت من «بادشاه الفارسية»، التي تعتبر من أرقى الألقاب التشريفية التي كانت مستخدمة في الدولة العثمانية، والتي يرادف معناها لقب سلطان أو شاه. انظر: دائرة المعارف الإسلامية، جـ 6، القاهرة: دار الشعب، د.ن.، ص 64-65.

(3) باشكاتب هو مصطلح تركي-عثماني، يطلق على رئيس قسم الكتبة.

(4) تقع مدينة الخرطوم على خطي 38: 15 شمالاً، و40: 32 شرقاً، وعند ملتقي النيلين الأزرق والأبيض، وقد تم تأسيسها عام 1825م عاصمة للسودان التركي المصري (1820-1885)، بدلاً عن مدينة ود مدني على النيل الأزرق.

(5) كان يطلق مصطلح كُتَّاب أحياناً على المدارس الابتدائية، ويقصد به المكان الذي تُدرس فيه مبادئ القراءة والكتابة بالنسبة للصبية.

(6) يرد اسم كردفان في المصادر التاريخية على ثلاث صيغ: كردفال، كوردفان، كردفان. وترى أدبيات التراث الشعبي أن أصل الكلمة يرجع إلى حاكم جبل كردفال الذي كان يُعرف بالكرد أو كلدو، ويقال إنه كان يغضب ويثور أحياناً لغير سبب معلوم، فيتطيَّر الأهلون من شرِّه، ويقولون الكرد «فار» أو كلدو «فار»، ومن ثم حُرِّف الاسم إلي كردفال أو كردفان. وفي العهد التركي أضحت كردفان مديرية قائمة بذاتها، ومتخذة من الأبيض حاضرة لها. انظر: هـ . أ. ماكمايكل، 1967م:

H. A. MacMichael, The Tribes of Northern and Central Kordofan, 2nd edn., London: Frank Cass & Co. Ltd., 1967, pp. 222-224.

إخوان ذكور خلاف البنات، ومكث[1] بها زمن كبير. وبعد ذلك توفى لرحمة[2] الله تعالى. وكان مرشد العايلة أخونا[3] الأكبر جورجيوس ربانا، ونحن صغاراً وأرشدنا، وأنا أدخلني في الكُتَّاب، لأجل تعليم القرايه[4] عند المعلم بطرس مينا، [الذي] يطلق عليه اسم العريف. وصرت نتعلم مع التلامذة أولاد الأقباط، وكان ذاك وقتها عمري سبعه سنوات، وقد واظبت على التعليم، ومكثت مدة كبيرة. وكان رجل جبار [أي المعلم بطرس] يضربنا بالسوط[5] إذا كان وجدنا نلعب، وعنده فلقة[6] خشب بها خرمين موضوع عليها حبل تيل يشدوا عليه رجلين التلميذ الذي لا يحسن القرايه، أو لم يكن يحفظ على باله المزمور[7] الذي يكتب له في لوح خشب، أو صفيح. وصرنا نخاف منه خوفاً شديداً، ونهرب من تعليمه لشدت الخوف. وذات يوم هربت، وسألوني أهلي: «لماذا حضرت من بدري؟». قلت لإخواني: «العريف يضربني بالصوة ويضع الفلقه على رجليني، ويضربني شديد فأنا خفت، وهربت منه». فما كان من أخونا الأكبر أمر العبد، وقال له: «أخذه بيده وسلمه للعريف». عند ذلك أخذني الخوف، وصرت نبكي إلى أخوي قال لي: «لماذا تبكي يا ولد؟ أنت ترفض[8] التعليم تطلع حايف[9] بدون تعليم؟ أمشي مع العبد، وأنا نحضر ونوصي عليك العريف بعدم الضرب الشديد». وإنَّ هذا الكلمة التي صدرت منه لأجل تسكين روعي. [2] فأخذني العبد بيده وأنا منقاد له كمثل الذليل، وسلمني إلى العريف. وعندما وصلت عنده ونظر عليَّ وقال لِّي: «لماذا هربت من الكُتَّاب يا كلب؟ أمسك لوحك اقرأ[10]، ولازم تحفظ المزمور على يومين

(1) المخطوط: مكس. درج المؤلف على كتابة مكث بالسين بدلًا الثاء. وهذا واحد من الأخطاء الشائعة في المخطوط.
(2) المخطوط توفا لرحمت.
(3) المخطوط: اخوانا.
(4) أي القراءة
(5) المخطوط: الصوة.
(6) المخطوط: فلفه.
(7) المزمور عبارة عن جزء من انجيل النصارى يحفظه التلامذة الذين يدرسون في الكُتَّاب. وهو يجمع على مزامير.
(8) المخطوط: ترفط.
(9) أي هايف. هكذا درج أهل كردفان على إبدال الهاء بحاء في كثير من الألفاظ العربية المتداولة في لغة العامية.
(10) المخطوط: اقرى.

كمثل إخوانك على شأن تطلع شاطر ومتعلم، لا تكون ندل وحايف. عند ذلك أخذت لوحي وصرت نتجمع مع الأولاد الصغار الذين من دوري، وعندما نجدوا فرصة لغياب العريف نرموا ألواحنا، ونطلعوا خارج الكُتَّاب لأجل اللعب، ونأخذوا لنا بلح وفول ونضعوه داخل جيوبنا، وعندما نعلموا وقت حضوره ندخلوا الكُتَّاب. وهو يقعد قصادنا، وعموم الأولاد صغار وكبار صفوف أمامه والصوة بجانبه، وينظر علي كل واحد تلميذ سراً، و [يـ]أخذ كتاب بيده لأجل المطالعة عليه، وعندما نجدوا فرصة فيه نطلِّعوا البلح والفول من جيوبنا ونأكلوا سراً خوفا منه، ونتفادوا بالألواح[1]. وهو ينظر علينا، ونحن بدون علم منه وما نشعروا إلا قال لواحد تلميذ اسمه صالح مكسموس: «طلِّع هذا التلميذ»، فيصير ذلك التلميذ الكبير يأخذ كل واحد منا يقدموا أمامه. يقول: «تأكل أيه يا ولد ؟». يقول التلميذ «ليس عندي شي»، ينكر خوفاً منه. يأمر صالح بتفتيش جيبه ويطلِّع البلح والفول منه. ويأخذ الصوة ويضرب كل واحد جلده، وأنا بالمثل، ويعطينا أمر بعدم الأكل في وقت التعليم. وعند الظهر يصرفنا لأجل الغدا في منازلنا، وعند خروجنا من الكُتَّاب نلعب في الطريق الكبير مع الكبير، والصغير مع الصغير، حتى نصلوا بيوتنا. وبعد الغدا نحضروا أمامه ونأخذوا ألواحنا لأجل القرايه، وعند الغروب يصلي بنا صلاة الغروب ويقول لنا : «تعلموا الصلا [ة] في منازلكم عند الصبح لازم تصلو، وأكتبوا المزامير في [حينه] لأجل التعليم، والذي لم نجد عنده كتاب بذلك يجلد بالصوة، والذي يكون خطه بطال يحبس بالكُتَّاب، الغدا ليس يتوجه لمنـزله». وفي ذات يوم وجد خطي بطال جلدني، وأمرني بعدم المشي للغدا، وعَرفَّت إخواني الذين بالجوار لنا يُعرفُّوا أهل بيتنا يرسلوا لي الغدا، وقد كان أرسلوا لي الغدا وفيه فجل[2]، والعريف موجود بالكُتَّاب، [3] ووضعت الغدا وصرت نأكل فيه، وجدت طرقت فجل صفره رميتها في الأرض. نظر علي فقال: «أرفعها من الأرض وأكلها». قلت له : «طرقت الفجل صفره وبطاله». قال لي: «لما تجيب من جيبك أبقا اعزل الطيب من البطال». قلت له:

(1) نتفادو بالألواح أي نحجبه عن رؤيتنا عندما نأكل في قاعة الدرس.

(2) الفجل نبات أخضر اللون له جذع أبيض. تُطبخ أوراقه الخضراء ويُؤكل جذعه الأبيض طازجاً نيئاً.

إن هذا حق إخواني». قال: «إخوانك لنفسهم، ابقا راجل متعلم كمثل إخوانك، وهات من ذراعك لما تطلع حايف بدون تعليم لا تقدر تأكل لقمة كسرة»[1]. في تلك الساعة أخذت منه هذا الكلمة مثل موعظة لي في المستقبل، وكان ذلك الرجل معلم تمام غير أنه جبار في الضرب. وكان عندما ينام ساعة الظهر نحضروا تراب من الجبانة[2] ونذروا عليه وهو نايم على شأن يتقل في النوم لا يقوم قوام لأجل اللعب، وما يقوم إلا بعد العصر من شدة النوم. وإنَّ هذا المعلم طلعت من تحت يده تلاميذ كتيره، ومتعلمين تمام، وأنا أخذني الجهل. كل يوم أحد يكون بطاله[3] لعموم التلامذه يكون ذلك اليوم كأنه يوم عيد على شأن اللعب والقنيص[4] مع أولاد الحاره، ويوم الاثنين نتوجهوا الكُتَّاب. ولما تقدم هذا العريف في السن وحصل له عيا شديد الحمى، وتوفي لرحمة[5] الله تعالى.

ومكثنا مدة كبيرة بدون معلم حتى حضر لنا واحد عريف مصري اسمه العريف سعد، واستلم زمام الكُتَّاب، وأحضرونا له وعمَّر الكُتَّاب من التلامذة. فأول الأمر خفنا منه لما مكث معنا وجدناه رجل بسيط. وفي ذلك الوقت أنا بلغت عشرة سنين وكسر، وكان معي من التلامذة الكبار قدر عشرة أو زيادة، وأما الصغار شيء كتير جداً نحو أربعين تلميذ أو زيادة. وصار أمر تلك العريف بيدنا نلعب عليه ونضحكوا على كفينا، ولا نخشوا منه كونه مصري وخواف. عند ذلك بلغنا أن في إنجليزي حاضر للسودان

(1) الكسرة هي خبز يُصنع من طحين الذرة. وشائع كطعام رئيس في السودان. يُؤكل مع أنواع مختلفة من المرق.
(2) الجُبَّانه أي المقبرة. ويقول أهل السودان المكان جبانة هايصة أي لا نظام فيها.
(3) أي عطلة. وقد كان يوم الأحد عطلة أسبوعية رسمية لكافة المؤسسات الكنسية في السودان.
(4) يقصد به صيد الحيوانات البرية.
(5) المخطوط: الحمه وتوفا لرحمت.

اسمه غوردون باشا[1]. وصرنا نترغبوا حضوره، وقد بلغنا أن الكرنيل[2] حاضر للسودان بعد أسبوع. لما قرب للحضور أمر سعادة المدير محمد سعيد باشا[3] [4] بعمل الزينه أن سعادة غوردون باشا حاضر للسوادن ويدخل بعد يومين، لما قرب اليوم المعين فيه حضوره ما نسمع إلا كل أهل البلد من الكبير والصغير يقولوا غوردون باشا حاضر اليوم، وعملوا الزينة لسعادة حكمدار عموم السودان وسواحل البحر الأحمر، عملوها أمام المديرية. قمنا نحن كافت التلامذة الكبار، وتقدمنا أمام العريف سعد، وقلنا له أعطينا الإذن نتوجه لأجل الفرجة. توقف معنا وقال: «أقعدوا بلا قلت الحيا«. اجتمعنا نحن الكبار صف واحد وقلنا: «أعطينا الإذن لأجل الفرجة على الحكمدار الإنجليزي الذي حضر من الخرطوم». قال: «لا أحد منكم يمشي». رمينا الألواح من أيد [يـ]نا وقلنا لبعض التلاميذ أمسكوه من يديه». وأخذنا الصوة وصرنا نضرب فيه بالصوة، كان بالتصادف حضر شنوده أفندي[4] ابن حنا البشكاتب، ووجدنا قابضين عليه قال:»ما هذا الخبر يا أولاد؟. قلنا له: «العريف توقف معنا بعدم المشي إلى الزينة». غمز لنا بعينه: «اضربوه». وصرنا نضرب فيه بالصوة ويصرخ «يا شنودة أفندي حصلني من أولاد السودان يقتلوني»،

---

(1) هو تشارلس جورج غردون ذو الأصول الاسكتلندية الذي ترقى في الجيش المصري إلى رتبة فريق. وعُين عام 1874م مديراً علي خط الاستواء في جنوب السودان، حيث أسس عدداً من النقاط الإدارية، وأسهم في توسيع دائرة نفوذ السلطة الخديوية في الجنوب السودان. استقال من منصبه عام 1877م، لكن أُعيد تعينه مرة أخرى حاكماً عاماً على السودان، وأوكلت إليه مهمة القضاء على تجارة الرقيق، إلا أنه واجه جملة من المشكلات الداخلية التي أفضت إلى استقالته عام 1879م. وبعد فشل الحكمدارية في القضاء على المهدية أُعيد تعينه حكمداراً عاماً للسودان، وحُصرت مهمته في إخلاء الجيوش المصرية، والعاملين الإداريين، إلا أنه دخل في صراع مكشوف مع الثوار المهدويين أودى بحياته في السادس والعشرين من يناير 1885م، وبموجب ذلك قضى المهدويون على أهم معاقل الحكومة التركية في السودان .

(2) يقصد كولونيل، وهي رتبة عسكرية رفيعة.

(3) محمد سعيد وهبي وهو ضابط تركي الأصل، يعمل في الجيش المصري، وقد عُين في الفترة ما بين 1873-1874م مديراً على مديرية كردفان، وذلك تقديراً لخدماته العسكرية في احتلال دارفور، ثم نُقل مديراً لمديرية بربر، ومنها لمديرية التاكا. وعندما رُفت إلياس باشا أم برير من إدارة مديرية كردفان عام 1879م أُعيد تعينه مديراً لمديرية كردفان، وظل في هذا المنصب حتى تحرير الأبيض، واعدامه عام 1883م بواسطة القوات المهدوية. انظر: أحمد إبراهيم أبوشوك، 1997م/ب:
Ahmed Ibrahim Abushouk, «Governors of Kordofan (1821-1956) with Biographical Lists», Sudanic Africa: A Journal of Historical Sources, vol. 8, 1997, pp. 75-76.

(4) أفندي كلمة تركية-عثمانية استعيرت من الأغريقية البيزنطية (أفنتاس) التي أُخذت من اليونانية القديمة (أثينتاس)، أي المولي أو السيِّد. وأخيراً أصبح لقب أفندي يطلق على المثقفين أو الموظفين العاملين في الحكومة. دائرة المعارف الإسلامية، جـ 4، ص 87.

ونحن نضحك عليه. أخيراً حضر شنودة أفندي ورفعنا منه. قال له: «أعطيهم الإذن». قال: «يا شنودة أفندي أنا رجل غريب غريب، وأولاد السودان أنا ليس عارف طباعهم، دول[1] أولاد أشقيا. روحوا من قدامي الله يلعن أولاد السودان وكوردفان بما فيها».

ضحكنا عليه وخرجنا، وجدنا الدنيا قايمة من الكبير إلى الصغير لمقابلة سعادة الحكمدار، رجال وأولاد صغار، والنسا بالزغاريت طالعه، ومدير المديرية ووكيل المديرية وكافت الظباط والعساكر وقفت طابور، والمدافع تضرب. نحن فرحانين لأجل الفرجة، والأهالي فرحانين لأجل راحتهم من المظالم الحاصلة لهم من جهة الحكام. وصارت المدينة أمام المديرية من كترت الخلق، والطبول تضرب، والمزيقه[2] تضرب، والزغاريت تدوي الأرض [5] بحضور سعادة الحكمدار. وركبت الفرسان على الخيول، وليس فضل إنسان في داخل المدينة، دنيا دانيه وقيامه قايمه، ومن شدة ازدحام الخلق الكبير يدوس الصغير من شدة الفرح والسرور بمقابلة الحاكم الجديد الذي لم يحضر مثله في السودان مثل هذا الزمان. وقوبل بأحسن إكرام، وقابله عموم أكابر السودان مثل إلياس باشا،[3] وأحمد بك دفع الله،[4] ومحمد بن العريق[5] سر تجار السودان وريس المجلس، وعبد

(1) المخطوط: دلو.

(2) أي الموسيقي.

(3) هو إلياس باشا أم برير جعلي نفيعابي، ويعد من أكثر تجار الأبيض ثراءً في العهد التركي-المصري. ومكافأة لخدمته الجليلة للحكومة التركية قد تم تعينه مديراً على شكا بعد احتلال دارفور عام 1874م. وفي عام 1879م عُين مديراً على مديرية كردفان إلا أنه واجه معارضة شرسة من منافسه أحمد بك دفع الله وبعض الزعماء المحليين. وفي ضوء هذه المعارضة رُفع من منصبه، وعُين محمد سعيد باشا خلفاً له. ويبدو أن هذا الحادث قد دفعه إلى الانضمام إلي المهدية والتآمر ضد أصدقاء الأمس وأعداء اليوم. ويُعَدُّ انضمامه للمهدية واحداً من الأسباب التي عجلت بسقوط الأبيض في أيدي الأنصار. وفي عهد الخليفة عبد الله التعايشي أُتهم بالتآمر ضد الحكومة المهدية فسجن وصودرت أمواله عام 1897م، وظل حبيساً بسجن الساير إلى أن وافته المنية في عام 1898م. انظر: أحمد إبراهيم أبوشوك، 1997، ص 76.

(4) هو أحمد بك دفع الله جعلي عوضابي، ويعد من أعيان مدينة الأبيض في العهد التركي-المصري. وكان في خصومة مع إلياس باشا أم برير، وهو السبب الذي دفعه إلى القَدْح في ولايته على مديرية كردفان وتأليب زعماء قبيلة الغديات ضده. وعارض المهدية وقاد قوة من الجنود النظامين في حصار الأبيض، ودافع عن المدينة ببسالة في واقعة الجمعة الشهيرة (8 سبتمبر 1882م). وبعد تحرير الأبيض نُفي إلى شكا، وتم إعدامه على يد زعيم الزريقات مادبو علي عام 1883م. انظر: رتشارد هل، 1967م:

Richard Hill, Biographical Dictionary of the Sudan, 2nd edn., London: Frank Cass & Co. Ltd., 1967, p, 31.

(5) لم أجد له تعريفاً في القواميس والمعاجم السودانية التي وقفت عليها.

الرحمن بك بان النقا[1]، والعلما وخلافهم من الزوات. ونزل بالمديرية مع كافت معيته وكتابه، واستبشروا بقدومه أهل المدينة. وبعد ذلك تفرقت الجموع.

إن هذا أول دخول سعادة غوردون باشا في مديرية كوردفان، وذاك وقتها أنا بلغت من العمر اثني عشرة سنة، وطلعت من الكُتَّاب، ودخلت في ديوان المديرية لأجل التعليم بالحسابات عند المعلم تادرس مينا لأجل التعليم في الخط والحساب، فوجدت جملة تلامذه بديوان الحسابات لأجل التعليم. وتنظيم المديرية بخلاف ديوان الحسابات بها ديوان التحريرات، والمجلس، والإدارة، والدفترخانه. وأما ديوان الظبطية[2] بجوار السوق الكبير والحسابات داخلها عدت مصالح: مصلحة ورشة المال، وريس اليومية، وريس الصنف، وريس علايف الجهادية، وريس الموازين، وريس علايف البشبزق[3]، وأما ديوان التلغراف، والبوسطة لوحدهم. وأما السوق صباح المديرية فيه كافت التجار والخواجات[4]، وكافت أرباب الحرف، وسوق المواشي شرق التجار، بجواره سوق الجزر[5] وديوان الشونه[6] بجوار المديرية فيه المعلم جرجس عبد السيد. والجبخانة[7] فيها سيد أحمد أفندي الملازم. ومدير المديرية محمد سعيد باشا بعد سفر حسن باشا الجويشر

(1) الشيخ عبد الرحمن بانقا من وجهاء الجعليين المقيمين بمدينة الأبيض، وصاحب ودّ مع قريبه إلياس باشا أم برير. واتصل به محمد أحمد المهدي في الأبيض قبل اندلاع الثورة المهدية عام 1881م. وبعد اندلاع الثورة صار من صفوة أبكار المهدية الذين أسهموا في تحرير الأبيض، وإرساء دعائم الدولة المهدية في أمدرمان. وظل عبد الرحمن بانقا وفياً للعهد الذي قطعه مع الإمام المهدي، ومن جملة المقربين في مجلس الخليفة عبد الله التعايشي إلى أن سقطت دولة المهدية عام 1898م.

(2) المخطوط: الظبيطه.

(3) البشبزق أو الباشبوزق أو باشي بوزوق هي كلمة تركية معناها الجامح أو الشاذ، وكانت في بادئها تطلق على العيَّارين الذين لا مأوى لهم، ثم على فصائل من الجند غير النظامية التي كانت تعين لمساعدة القوات النظامة في بعض المهام العسكرية والإدارية الخاصة. دائرة المعارف الإسلامية، جـ 6، ص 28-83.

(4) هي جمع منحوت من الكلمة الفارسية خوجة، وكان يُلقب بها أعيان المدن خاصة والوزراء بصفة عامة. ومنذ بداية القرن الثاني عشر الميلادي أضحت تُستعمل بمعني تاجر، وهو المعنى الذي اشتهرت به. وانتقل اللفظ إلى العامية السودانية وحُرِّف إلى خواجة، ويقصد به التجار الأقباط الوافدين من الشام ومصر، ثم أطلق مؤخراً على كل الأوربيين.

(5) المخطوط: الجيزر.

(6) الشونة هي مخزن الغلال.

(7) الجبخانة مصطلح تركي يطلق على محل السلاح، أو البارود الذي يزود به السلاح.

شركسي[1] هو الذي بنا المديرية في مدته، ونظم الاورط[2]، وحفر فولت[3] الجبخانه، فولت السنجك[4] عمَّرها لضرب الطوب، وكافت العمارات [6] بالمديرية.

ومن بعد ما أخذ الراحة سعادة الحكمدار كمثل أربعة أيام حضرت كافت الخلق الذي حاصل لهم الظلم من الحُكام، وقالوا قد حضر سعادة الحكمدار الإنجليزي لأجل رفع المظالم التي حصلت لأهل مديرية كوردفان، ربنا جابه رحمة للعباد، وحضرت جملة عربان في قدام بوابات المديرية ونحن التلامذة نطلع على العربان ونقولو[5] لهم: «ماذا ترغبوا يا عربان؟» قالوا: «قصدنا نقدموا الارضحالات[6] لسعادة الحكمدار». كل واحد منا أخذ روايته وحضر بها عند العربان، ونأخذوا أجرة العرضحال خيرية أي عشرة غروش، يدفعوا لنا بطيب خاطر، والبعض منهم يقول: «ما عندي خلاف خمسة غروش يا فندي». أيضاً نأخذوا منه الخمسة غروش. وحضر عندنا واحد تلميذ قال: «ياخوانا لا تأخذوا من العربان بخلاف عشرة غروش». قلنا له: «إنَّ هذا أيام موسم، وفيه خير كتير لنا، الله يطول لنا عمر سعادة الحكمدار، أخذ يا شيخ منهم ما تعلم في كتاب مخصوصين لأجل كتابت العرضحالات، لربما يقوم الحكمدار ويسافر إلى دارفور». وما أولاد البلد ليس يدفعوا لنا إلا خمسة غروش أو أربعة، أما العربان غشمان والذي يقول لنا: «ما عندي إلا خمسة غروش»، نقولوا له حات سبعة غروش على شان يكون العرضحال

---

(1) هو حسن باشا حلمي الجوايسر. حضر للسودان في مهمة عسكرية إبان تمرد جهادية كسلا عام 1865م. ثم عُين مديراً للأشغال العسكرية بمديرية التاكا. وقبل احتلال دارفور عام 1874م عُين مديراً لمديرية كردفان. ثم نُقل للعمل في مديرية دارفور. وبعد اندلاع الثورة المهدية نقل إلى الخرطوم حيث عُين عضواً في مجلس الحكمدارية الذي أسسه الحكمدار عبد القادر باشا حلمي لاحتواء الثورة المهدية وإعادة الأمن والاستقرار في البلاد. رتشارد هل. 1967م. ص 154-155.

(2) الأورط أو الأورطة هي كلمة تركية يقصدها بها الفرقة العسكرية.

(3) يقصد فُوله. وهي حفير تجمع فيه مياه الأمطار.

(4) السنجك في الأصل لفظ تركي معناه الراية. لكنه تدريجياً أصبح يطلق على طبقة من جنود الدولة العثمانية الذين يعرفون بالسناجك. وبمرور الزمن اصبح هذه اللقب يطلق على رجال الشرطة والإداريين. وفي السودان كثر استعماله في أوساط رجالات قبيلة الشايقية الذين لعبوا دوراً بارزاً في إدارة المؤسسات الظبطيَّة والعسكرية للدولة التركية المصرية.

(5) المخطوط: نقلو.

(6) أرضحالات أو عرض حالات هي جمع مفردها عرض حال. وهو الكتاب الذي يُرفع إلى والي الأمر للتظلم أو لاستجلاب نعمة.

مقبول عند سعادة الحكمدار». وفي ذلك الوقت كسبنا من العربان. وليس تأخر سعادة الحكمدار بكثير[1]، بل قام وتوجه إلى مديرية الفاشر[2] ومعه بصاطي بك، والياور بتاعه إبراهيم أغا، وأربعة كتاب، والعساكر التابعة له في السفر. وأن القروش التي تحصلنا عليها ما نجدها إلا في أيام الجمعية. إن هذا أول دخول سعادة غوردون باشا في أرض كوردفان. وكان قبل حضور سعادة غوردون باشا المتولى زمام الحكومة سعادة محمد سعيد باشا تركى، ووكيل المديرية علي بك شريف مصري[3]، صدر الأمر من الحكمدارية بنقل محمد سعيد باشا إلى مديرية بربر، وعلي بك شريف إلى الخرطوم، وصدر الأمر من رؤوف[4] باشا إلى إلياس أم برير بوظيفت الباشا على مديرية كوردفان، وعبد الرحمن بان النقا [7] بوظيفة بك يكون وكيل المديرية، وجميعهم من قبيلة الجعليين[5]، إلياس باشا نفعابي، وعبد الرحمن بك بان النقا رازقي. وكان حاصل خصام شديد، وتنافر ما بين إلياس باشا وأحمد بك دفع الله العوضي، أما إلياس باشا أكبر من أحمد بك في السن وأكتر منه مال . وأما أحمد بك أخذ هذه الوظيفت بوظيفت شرف، وهما الاتنين أكبر رؤوس كافت الجعليين بمديرية كوردفان.

وعندما نظر أحمد بك دفع الله أن إلياس أخذ وظيفت باشا وصار هو الحاكم على مديرية كوردفان حصل له غيظ عظيم، وكمد الدم على القيح، وصار يدبر في الأمر الذي

(1) المخطوط: بكسير.

(2) الفاشر هي عاصمة مديرية دارفور. أسسها السلطان عبد الرحمن الرشيد عاصمة لملكه وحاضرة لسلطنة الفور إبان فترة توليه عرش السلطنة. وظلت سلطنة دارفور تحت قيادة أحفاد السلطان عبد الرحمن الرشيد إلى أن سقطت عام 1874م في يد الزبير باشا وبذلك أضحت جزءاً من أملاك الدولة التركية-المصرية في السودان. نعوم شقير، تاريخ السودان وجغرافيته، ط 2، بيروت: دار الثقافة، 1967، ص 129.

(3) هو علي بك شريف الذي عمل مديراً لمديرية كردفان، ثم دارفور قبيل اندلاع الثورة المهدية. وبعد اندلاع الثورة المهدية عُين معاوناً لمحمد سعيد باشا لمساعدته في تحصين مدينة الأبيض ضد الثوار المهدويين، وبعد تحرير المدينة تمّ أسره وإعدامه في البركة بواسطة شيخ النواي، أحد مشائخ قبيلة الحوازمة في كردفان. رتشارد هل، 1967م، ص 51.

(4) المخطوط: روف. ويقصد به اللواء محمد رؤوف باشا الذي عمل في مديرية الاستوائية ويوغندا. وفي عام 1880م عُين حكمداراً على السودان خلفاً لغردون باشا، إلا أنه فشل في احتواء الثورة المهدية، ومن ثم رُفع من منصبه، وعُين عبد القادر حلمي باشاً خلفاً له عام 1882م.

(5) الجعليون هم من أفراد المجموعة الجعلية التي تدعي الانتساب إلى إبراهيم جعل الذي ينتهي نسبه إلى العباس بن عبد المطلب، ويوجد وطنهم الأصل في المنطقة الواقعة بين أبي حمد والخرطوم.

يُوقع به إلياس باشا. عندما جوَّل أفكاره قال:»ليس لها إلا علي كنونه[1] شيخ قبيلة الغديات هو سلطان الفرشة. عند ذلك أرسل له أحمد بك دفع الله كونه عندهم صحبه مع بعضهم ومودة كبيره من قديم الزمن. بعد حضوره عنده قال له: «يا شيخ علي كنونه هل وافقك بأن يكون إلياس باشا ماسك زمام الحكم وأنت موجود، ومن أهل الفونج أهل السلطنة الزرقا ملوك سنار؟ وكان جدهم الكبير حضر من البحر وسكن في الصعيد بجبل ولد البقا[2]، وبنا فيه حوش بمرقت البقر، واتره[3] للآن موجود، والشيخ علي كنونه من نسله، وابن عمه الشيخ إسماعيل الأمين الدلندوك[4] جده سكن في علوبه[5] وهما أولاد عم. وصار أحمد بك دفع الله وأولاد عمه وأخيه عبد الله يحرضوا الشيخ علي كنونه لأجل ما يشق عصا الطاعة على الحكومة ويقول: «أنت اسمك مانجل[6] ولك نحاس وتخشى منك كافت العربان». ومازال أحمد بك يحضروا عنده أولاد عمه، ويحرضوا في الشيخ علي كنونه بهذا الكلام، وقام من عندهم على نيَّة القتال، وتزود من

---

(1) هو الشيخ علي كنونة، شيخ قبيلة الغديات التي تقطن المنطقة الواقعة جنوب الأبيض، وقد كان زعماء هذه القبيلة يسيطرون على إدارة كردفان إبان العهد السناري (1405-1821م). ويدعون الانتساب إلى سلاطين الفونج، وتوجد شارات سلطانهم في آثار قصرهم الذي شيدوه في سفح جبل ود البقا. ويبدو أن هذا الإرث التاريخي هو الذي دفع الشيخ علي كنونه إلى الثورة ضد إلياس باشا أم برير الذي عُين مديراً على مديرية كردفان عام 1879م. إلا أن قوات الحكومة تمكنت من سحق أنصار علي كنونة وقتله في خور عفينات جنوب الأبيض. محمد عبد الرحيم، النداء في دفع الافتراء، القاهرة: مطبعة شارع البرلمان، د.ن، ص 279-281.

(2) يوجد بجبل دو البقا في منطقة الغديات الواقعة جنوب الأبيض.

(3) أي أثره.

(4) المخطوط: الدنلدوك. هو إسماعيل الأمين الدندلوك أحد زعماء قبيلة الغديات، ومن الذين ناصبوا إلياس باشا أم برير العداء عقب تعيينه مديراً لمديرية كردفان. وناصر الشيخ إسماعيل الثورة المهدية، واشترك في كثير من المعارك ضد الأتراك، وحارب الإيطاليين في كسلا تحت أمره أحمد فضيل، وبقي ثابتاً على العهد مع المهدية إلى أن استشهد في واقعة أم دبيكرات عام 1899م. رتشارد هل، 1967م، ص 184.

(5) علوبه من أهم قرى منطقة الغديات التي تقع جنوب الأبيض.

(6) مانجل أو مانجُلُق أو مانجُلُك هو لقب تشريفي يطلق أصلًا على حكام العبدلاب، ثم أصبح تدريجياً يطلق على الحكام المحليين في عهد سلطنة الفونج. وأصل الكلمة مختلف عليه، إذ أنها تعني الوزير عند الهمج، وقال شقير إنَّها مشتقة من: «مانجل إلا أياك» أي ما نعظم إلا أنت. وقيل إنها من «امانوكيل» بلهجة الطوارق الغربية، وتعني زعيم القبيلة. وأول من أشتهر بهذا اللقب في السودان هو الشيخ عجيب المانجلك بن الشيخ عبدالله جماع. انظر عون الشريف قاسم، موسوعة القبائل السودانية والأنساب في السودان، جـ 5، الخرطوم: شركة أفروقراف للطباعة والتغليف، 1996، ص 2082.

أحمد بك دفع الله بالسلاح والجبخانه، وسافر من عندهم على هذا النية. وقد وصل[1] إلى بلاده وجمع كافت مشايخ داره وأولاده، وأتباعه، وعموم العربان والقبايل المجاورة[2] له، ومشايخ الحوازمه[3]، واستعد للحرب والقتال. وعمل لهم وليمة كبيرة، ومن بعد ما أكلوا الطعام قال لهم: «تاني لا أحد منكم يدفع طلبه للحكومة ما دام [8] إلياس أم برير مدير المديرية». وبوقته قتل المأمور والعساكر والصراف حمد أبو عبيده، وأخذ أموال الحكومة وفرقها على رءوس القبايل. وقال: »تأني لا ندفع طلبه وأنا حي في داري ما دام الجعلي يكون علينا حاكم. من بعد بيع الشطة والملح صار في ثروه كبيره، وأخذ وظيفت باشا، ويحكم علينا الجلابي[4] ما بيني وبينه إلا الحرب والقتال». وكان الشيخ علي كنونه رجل حرب ويعرف اللغة التركية، وعنده سلاح كفاية من الضمن ثلاثون خشخان[5] والو [ا]حد يطلع ربع مدفع في القوة، وعنده أولاده جميعهم رجال كبار مجربين في الحرب، وهم هذا اسماهم: أحمد كنونه، وإلياس، والمراد، والبخيت، وناصر، وسليمان. وعلي كنونه حاكم جبل الداير[6] الضباب. وجمع الجموع من كافت القبايل، كونه مسموع الكلمة والقبايل تخشا من سطوته كونه هو صاحب النحاس الأصلي، واسم قبيلة من أي القبايل، إذا كان حضر عنده شيخ أو عربي يكشف رأسه عن العمة والطاقية ويمشي حفيان، عندما يوصل يعصر الأرض بيديه ويقول له: «ما نجل الله يطوَّل

(1) المخطوط: وقد كان وصل.

(2) المخطوط: المجواره.

(3) قبيلة الحوازمة هي إحدي قبائل البقارة التي تقطن جنوب ووسط كردفان. وللحوازمة ثلاث نظارات تشمل: نظارة الحوازمة الحلفا ورئاستها في أم برمبيطة. ونظارة الحوازمة أولاد عبد العال ورئاستها في الحمادي. ونظارة الحوازمة الرواوقة ورئاستها في كادقلي. والحوازمة من أكثر القبائل التي ناصبت التركية العداء. واعلنت مناصرتها الصريحة للمهدية. ماكمايكل. 1967م. ص 149-154.

(4) مصطلح مشتق من الفعل جلب أي باع واشتري. والجلابة هم مجموعة التجار الذين يتجولون من مكان إلى آخر مع بضائعهم. وقد تطورت هذه الكلمة حتى صارت تعني على وجه الخصوص مَنْ يعملون بالتجارة من الدناقلة. أو العناصر النوبية المستعربة في مناطق كردفان ودارفور. وجنوب السودان. محمد نور بن ضيف الله. كتاب الطبقاب في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان. (تحقيق: يوسف فضل حسن). ط 4. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للتأليف والترجمة والنشر. 1992م. ص 58.

(5) هو نوع من الاسلحة النارية التقليدية.

(6) هو جبل حصين شامخ كثير الاشجار والينابيع يقع جنوب الأبيض.

عمرك»، ومن بعدها يلبس عمامته. إن هذا من شدت الطاعة له، ويطلق عليه سلطان الفرشة، شيخ الغديات. وعندما بلغ أحمد بك دفع الله أن الشيخ علي كنونه قتل المأمور والعساكر والصراف، وأخذ أموال الحكومة صار مبسوط وازداد فرحه، وعلم أنه نال مقصوده بالحيلة[1] التي دبرها والفتنة التي أوقفها، وقال لأخيه عبد الله وعموم أهله: «أنا ما قلت لكم ليس يوجد رجل فيه الكفاية إلا الشيخ علي كنونه. فالآن أنا صرت مسرور وانظروا يا خواني فشل إلياس أم برير فـ [يـ]ما بعد».

وعندما بلغ سعادة المدير إلياس باشا أم برير أن الشيخ علي كنونه شقا عصا الطاعة على الحكومة وقتل المأمور، والعساكر، والصراف وأخذ أموال الحكومة وفرقها على رءوس العربان، واستعد للحرب والقتال، عرف إلياس باشا أن هذا جميعه من تحت رأس أحمد بك دفع الله. [9] عند ذلك عَيَّن واحد ظابط ومعه العساكر والطوبجيه ومعهم واحد مدفع، وأعطاهم الأمر بقتال الشيخ علي كنونه يحاربوه سوى كان قتيل أو أسير. وقد توجهوا له في داره والظابط أرسل له رسول ويأمره بالطاعة للحكومة قال للرسول: «ليس عندي إلا الحرب والقتال». وضرب نحاسه حربي اجتمعت عنده كافت الفرسان والقبايل من كافت العربان، والتحم ما بينهم الحرب والقتال، وزعق في وسطهم غراب البين ما بين الفريقين، وكان جيش علي كنونه على استعداد كافي وجيش كبير، وصارت النصرة له، وقتل عساكر الحكومة وهزمهم[2]. قُتل مَنْ قُتل منهم، وسلم منهم الباقي، وكسروا في محل بعيد عن ميدان الحرب حتى أنهم وصلوا لقرب المديرية، ودخلوا في الحلال التي بالقرب للحكومة، وأخبروا سعادة الباشا بما حصل من قتل العساكر وكترت جيوش علي كنونه. عند ذلك أرسل إلياس باشا إلى الفكى عبد الرحيم أبو صفية[3] وأخيه عبد الصمد[4] كونه رجل حرب وعنده سلاح كفاية،

(1) المخطوط: بالهيله.

(2) المخطوط: حزمهم.

(3) هو عبد الرحيم أبو صفية من أعيان البديرية أولاد نعمية الذين يسكنون وسط كردفان. وعمل تاجراً وداعية إسلامياً بجبال النوبة. وناصب الحكومة التركية العداء. وانضم للثورة المهدية فور اندلاعها.

(4) هو عبد الصمد أبو صفية من أعيان البديرية أولاد نعمية الذين يسكنون وسط كردفان. وعمل تاجراً بجبال النوبة.

وأرسل إلى الشيخ إسماعيل الأمين الغدوي ابن عم الشيخ علي كنونه، والمذكور حاصل له خصام كبير مع ابن عمه في خصوص الملك ما بينهم وإلياس باشا عنده علم بذلك. أحضره مع أولاد أبو صفية. لما حضروا عنده في ديوان المديرية على حسب الأمر وأكرمهم، ومن بعد ذلك عرفهم: «أن الشيخ علي كنونه شق عصا الطاعة على الحكومة، وأرسلت ظابط ومعه العساكر ومدفع قتل العساكر، وحضروا الباقي منهم، والآن أنا قصدي قتل الشيخ علي كنونه يكون على يدكم، ونرسل معكم العساكر الكفاية ومعهم بكباشى واتنين مدافع مع الطبجية، وتكون محاربته على يدكم». ومن بعد إتمام كلامه معهم. فما كان من الشيخ إسماعيل الأمين الدلندوك، والفكى عبد الرحيم وأخيه قالوا له: «يا سعادة الباشا طول هذا الزمن الكبير ليس تعرف حال الشيخ علي كنونه ومقدرته وكترت القبايل التي معه، ولا سيما عنده صحبه كبيرة ورابطة[1] قوية مع أحمد بك دفع الله، والمذكور مداه بالسلاح والجبخانة، وصار في قوة كبيره، أنما أبشر بالخير يا سعادة الباشا استعد بعساكر الحكومة، ونحن نتوجهوا إلى محلاتنا، ونجمع [10] كافت الفرسان وعموم العربان، ونكونوا يدا واحدة مع عساكر الحكومة». فشكرهم إلياس باشا على ذلك في هذا الصنيع[2]، وبوقته توجهوا لمحلاتهم وجمعوا كافة العربان والفرسان من كفات القبايل. الشيخ إسماعيل الأمين استعد بكافت رجال الحرب التي عنده خاصة بخلاف العربان الحوازمة الرواوقه[3] التابعة له عنده نحاس حرب، وأيضاً الفكى عبد الرحيم وأخيه عبد الصمد عندهم السلاح وفرسان الحرب المعدودة بخلاف عربان البديرية والقبايل الأخره[4] وجميع من كان له تأر على الشيخ علي كنونه. اجتمعت

ثم اصبح من أمراء المهدية، وبعد انتهاء المهدية عُين لفترة قصيرة ناظراً لقبيلة البديرية بكردفان. أحمد إبراهيم أبوشوك، 1997م/أ: ص 246.

Ahmed Ibrahim Abushouk, Dar Bidayriyya Nazirate: Traditional Leadership and Indirect Rule in the Sudan, 19001970-, Ph.D Thesis, University of Bergen, 1997, p. 246.

(1) المخطوط: رباطه.

(2) المخطوط: اليصنع.

(3) المخطوط: الحوازمة الرووقا.

(4) قبيلة البديرية هي إحدى القبائل المديرية الشمالية التي تدعي النسب العربي، ويرجع النسابة أصلها إلي محمد بن بدير جد أفخاذ وبطون البديرية الذين يسكنون في وسط كردفان، والمديرية الشمالية وبعض أجزاء السودان

كافت العربان مع المذكورين وصاروا في جيش جرار، وأعطوا خبر للحكومة أنهم استعدوا للحرب والقتال وتوجهت لهم العساكر الكفاية بكافت الذخيرة.

فما كان من الشيخ علي كنونه عندما بلغه ذلك رتب صفوف الحرب مع أولاده وعبيدهم، وعنده أولاده كمثل صواقع السما كونهم جميعهم فرسان، وعبيده مدربين في الحرب والقتال، غير أن سلاح ذلك الزمن أبو روحين والخرطوش من ورق، إلا سلاح الحكومة رمنتون. وكانت المحاربة في حلة العفيانات منهل مياه وقد تقابلوا الجيشين جيش الحكومة، وجيش علي كنونه، ودار الحرب بين الفريقين وزعق على روسهم غراب البين، واشتد القتال وتزاحمت[1] الفرسان، وبزلوا الأرواح ما شتبك القنا بالقنا وسلاح النار صار له دخان، وأخذوا في ذلك مدة من الزمان ما بين قتيل وجريح، ومع ذلك الحرب قايم على ساق وقدم، الشيخ علي كنونه أصيب[2] بطعنت حربه الذي طعنه قلبه على حصانه ميت، وأخذ الخشخانة بيده وصار يضرب به، واشتد الزمام وصبر على ذلك الفارس المغو [ا]ر، وفر الجبان والرصاص يدوي على الفرسان حتى أصيب[3] الشيخ علي كنونه بضربت المدفع أخذت ذراعه اليمين، ووقع من أعلا حصانه. عندها تكاثرت[4] عليه العربان بالطعن من الحراب وكسرت جماعته من حومت الميدان، وعلموا أولاد بقتله، حضروا عند جثته، وفرقوا منه العربان بضرب النار، وأخذوا والدهم[5] من ميدان الحرب على ظهور خيولهم وهربوا به. وما زال عساكر الحكومة تضرب بالسلاح والعربان بالحراب في جيش العدو حتى أنهم ولوا هاربين[6] وإلى النجاة طالبين، وصارت [11] النصرة لجيش الحكومة، وحضروا براية النصر، وذلك بعد أخذ الغنايم وما وجدوه

المختلفة. وللبديرية حضور كثيف في وسط كردفان. ودور مشهود في الأحداث التي شهدتها كردفان في العهدين التركي والمهدوي. أحمد إبراهيم أبوشوك. 1997م/أ. ص 43-50.

(1) المخطوط: تزحامت.

(2) المخطوط: اصاب.

(3) المخطوط: اصاب.

(4) المخطوط: تكاثره.

(5) المخطوط: والديهم.

(6) المخطوط: حاربين.

في ميدان الحرب من سلاح وخلافه، ورجعت من وراهم كافت الجيوش إلى أماكنهم لأجل أخذ الراحة في الخيام، وهما فرحانين بالنصر والظفر على الأعداء.

وبعد ذلك توجهوا الجميع للمديرية لأجل مقابلة سعادة الباشا. الفكي عبد الرحيم وأخيه، والشيخ إسماعيل الدلندوك قابلهم سعادته بأحسن مقابلة، وإكرامهم غاية الإكرام، وفرح إلياس باشا بقتل صديق أحمد بك دفع الله. ومن بعد ما أخذوا راحتهم حضر الشيخ إسماعيل الأمين، والفكى عبد الرحيم عند سعادة المدير لأجل الوداع، وأخذ الشيخ إسماعيل الأمان على أولاد علي كنونه كونهم بنو عم. وأقاموا أولاد علي كنونه على فراش المأتم لوالدهم كفاية عن أربعين يوم، وبعد ذلك حضروا للحكومة. وعند قتلت الشيخ علي كنونه الحكمدارية أخذت خبر بذلك، وفهمت الخصام الذي حصل ما بين إلياس باشا وأحمد بك دفع الله. أرسلت إلى محمد سعيد باشا بالحضور من بربر[1] ويتوجه[2] لمديرية كوردفان، كما كان أيضاً علي بك شريف وكيل للمديرية.

وإن هذا ما حصل في مدت إلياس باشا، وفي أيامه كترت المظالم من نُظَّار الأقسام[3] على العربان في الجهات بخصوص تحصيل الطلبة بواسطت العساكر الشايقية[4]، وكترت الدعاوى ولا سيما خراب خط الغديات على يده. وعند حضور محمد سعيد باشا وعلي بك شريف صدر الأمر من الحكمدارية برفت إلياس باشا وعبد الرحمن بك

(1) بربر مدينة قديمة في شمال السودان. تقع على خطي 1: 18 شمالاً و3: 34 شرقاً. وكانت حاضرة مملكة الجعليين الميرفاب في عهد سلطنة الفونج (1405-1821م). وعاصمة مديرية بربر في العهد التركي المصري (1821-1884م) والمهدية (1884-1897م). وتقع على طريق قوافل تجاري يربطها بكورسكو في صعيد مصر وسواكن على البحر الأحمر. ومدينة شندي ودنقلا عبر صحراء بيوضة. قد أكسبها هذا الموقع الاستراتيجي أهمية تجارية وإدارية في العهد التركي المصري والمهدية.

(2) المخطوط: يتوجهة.

(3) المخطوط: الاقاسم.

(4) نسبة إلى قبيلة الشايقية التي تعد من أشهر أفخاذ المجموعة الجعلية التي تنسب إلى العباس بن عبد المطلب. والموطن الأصلي للشايقية يقع في المنطقة الواقعة بين الشلال الثالث على النيل. وجبل الضيقة شرق كورتي. وهم أول من حارب جيوش إسماعيل باشا. لكن بعد هزيمتهم واقعة كورتي عام 1820م عدلوا موقفهم السياسي. وانخرط نفر من وجهائهم في خدمة الحكومة التركية. وعلى وجه التحديد في مجال العمل العسكري. وجمع الضرائب والأتاوات.

بان النقا. وعند وصول محمد سعيد باشا حضر أولاد علي كنونه جميعهم، ومعهم الشيخ صباحي الحازمي[1]، ونوَّاي ابن عمه[2]، ومشايخ الحوازمه، وأولاد علي كنونه لابسين لبس الحداد على والدهم، وحضروا أمام المديرية راكبين على الخيول وأعطوا خبر لسعادة المدير بحضورهم. أذن لهم بالدخول لأجل مقابلته، قد نزلوا عن خيولهم أمام بوابة المديرية ساعة العصر، والناس حولهم كتير لأجل الفرجه على أولاد علي كنونه، كونهم حضروا في رهط عظيم بالخيول والسلاح الناري بيد العبيد، وقد قابلوا سعادة المدير ووكيل المديرية. عزوهم في والدهم وطيبوا خواطرهم، كونه محمد سعيد باشا تركي، وكان يتكلم مع والدهم بلسان التركى ومبسوط منه كتير، [12] فقد أكرم أولاده والمشايخ الذين معهم، وأمرهم بأخذ الراحة يومين ثلاثة، ويعملوا لهم شيخ على القبيلة ويحضروا به. انصرفوا من سعادته فرحانين بقدومه، وانشرح صدرهم بعزل إلياس باشا، ونزلوا عند حسن أفندي الصول، وحضروا عندهم أولاد دفع الله أحمد بك، وعبد الله وأولاد عمهم وعزوهم في والدهم وأرسلوا لهم الهدايا من المواشي وخلافه. ودايماً يز[و]رهم أحمد بك دفع الله في منـزلتهم، وحضرت عندهم أولاد البلد، وأبنا الريف[3] لأجل أخذ خاطرهم في والدهم.

ومن بعد خروج أولاد علي كنونه من سعادة المدير طلب سعادته أحمد أفندي جلي معاون بالمديرية رجل كبير متقدم في السن وأخذ فكره: «ماذا يكون صراف الغديات، وأنت رجل خبير بالأموال، وتعرف أحوال أولاد علي كنونه، ولا سيما الآن

(1) هو صباحي الحازمي، من قبيلة الحوازمة وأحد أعوان الزبير باشا القدامى، ويقال إنه قتل مأمور الإضية وهرب إلى جبال النوبة عام 1879م، وعندما سمع غردون بهذه الحادثة أرسل قوة عسكرية استطاعت أن تلقي القبض على الشيخ صباحي، وتنفِّذ عليه الحكم بالإعدام شنقاً حتى الموت. نعوم شقير، تاريخ السودان، (تحقيق محمد إبراهيم أبوسليم)، بيروت: دار الجيل، 1981م، ص 304.

(2) هو ضيف الله النوَّاي أحد زعماء قبيلة الحوازمة الذين ناصروا المهدية منذ اندلاع شرارتها الأولي، ولعبوا دوراً خطيراً في الانتصارات التي حققتها المهدية في كردفان. ويقال إنه خرج على المهدي أكثر من مرة، وأخيراً تمكن حمدان أبوعنجة من القبض عليه إلا أن المهدي عفا عنه، ولا تذكر المعاجم التي وقفنا عليها تاريخ وفاته. انظر: محمد إبراهيم أبوسليم، (تحقيق) الآثار الكاملة للإمام المهدي، ط 1، جـ 1، الخرطوم: مطبعة جامعة الخرطوم، ص 127.

(3) أولاد الريف أو أبناء الريف هو مصطلح يطلق على المصريين، والشوام، والمغاربة، والأتراك الذين استقروا في السودان بعد الغزو التركي-المصري.

صارت دارهم خربانه بأسباب الحرابه، قصدنا يكون لهم صراف عنده وسع البال لأجل تعمير الديار، ويحصل منهم أموال الحكومة بحكمه لغاية ما تجري المياه في مجار [يـ]ها». عند ذلك تفكر أحمد أفندي جلي بعين البصيرة وقال له: «يا سعادة الباشا ليس يوافق لهم إلا جورجيوس أفندي ميخاييل، والآن هو صراف بقسم الطيارة مع عبد الهادي أغا[1]». عند ذلك قال سعادة المدير: « لقد أصبت يا [أ]حمد أفندي، جورجيوس يعرف أحوال العرب وطباعهم، كونه كاتب عربان، إنما كُتَّاب المديرية لا يصلح منهم إنسان لعدم خبرتهم في العربان. وقد أرسلوا أمر إلى عبد الهادي أغا صبير بإرسال جورجيوس، كونه منقول إلى خط الغديات، وقد حضر للمديرية وقابل سعادة المدير وعرفه أنه يكون صراف لخط الغديات. وقال له: «اخترناك دون الكُتَّاب لأجل وسع بالك، وتعمر دار علي كنونه، وتحصل الطلبة منهم بكل حكمه، والآن أخذ راحتك لحين طلبك من بعد مقابلت أولاد كنونه». وانصرف منه وصار يستعد للسفر. وبعد اكام يوم أولاد علي [كنونه] اختاروا أخوهم الأكبر أحمد كنونه جعلوا شيخ على بلدهم، وحضروا الجميع أمام سعادة المدير وعرفوه بذلك، فشكرهم على هذا الأمر، وقال لهم: «مبارك عليكم عمِّروا دياركم، وكونوا الجميع يداً واحدة، وعينا لكم الصراف جورجيوس ميخاييل رجل عاقل». [12] قالوا له: «يا سعادة الباشا الله يطول عمرك أن جورجيوس أفندي أخونا ولنا معه معرفة تامة لقد وجدنا مقصدنا» . قال لهم: «الحمد لله على حسب نيتكم ها هو صار صراف لكم، كونوا معه حالة واحدة، وساعدوه في كافت الأمور لأجل تحصيل أموال الحكومة وتعمير البلاد». وقد كان ودعهم[2] للسفر وتوجهوا لديارهم، وجورجيوس حضر بالمديرية وصرف الدفاتر والأوراق[3] اللازمة وأخذ معه أخيه مليكه[4]، وتوجهوا على

---

(1) هو عبد الهادي صبير الدولابي الذي عينته الحكومة التركية المصرية ناظراً على خط خوسي والطيارة وبارا وشاة. وظل وفياً لعهده مع الحكومة التركية. وناصب المهدية العداء إلى أن قتل ضمن جنود جيش يوسف حسن الشلالي في واقعة قدير عام 1882م. رتشارد هل، 1967، ص 9.

(2) المخطوط: اودعهم.

(3) المخطوط: أوراق.

(4) المخطوط: ملكه. هو احد أبناء ميخائيل الثلاثة من الذكور، فقد أطلق عليه المهدي لاحقاً اسم إسحاق.

بركة الله تعالى، ومعهم المأمور سليمان أفندي البكباش، وواحد جاويش والعساكر.

وأما من خصوص أحمد بك دفع الله من بعد قتل الشيخ علي كنونه صار فرحان لأجل أغراضه بخصوص ما هو حاصل ما بينه وبين إلياس باشا من التنافر الحاصل بينهم، وأخذه الحظ بعزل إلياس كونه بلغ أغراضه، قام وقدم أولاد علي كنونه، ومعه حسن أفندي الصول، بعد ما زاد في إكرامهم، ولغاية أبو صفية رجعوا منهم.

وعند إتمام السنة حضرت الجمعية من كافت الجهات. أولاً: حضر عبد الهادي أغا ناظر[1] قسم خُرسي، والطيارة، وملاحظ قسم باره، وخط شرق العقبة لحد شات، وأيضاً حضر ناظر قسم باره محمد أغا ولد شداد[2]، وحضرت مشايخ الكبابيش[3]، ومشايخ عربان حمر العساكره والدقاقيم والغرسات[4]، وقسم أبو حراز، وخط الإضيَّة والغديات، وعلوبه، وجميعهم عند حضورهم بالمديرية نصبوا خيامهم أمام ساحة المديرية من شرق. تحضر كافت النظار والعُهْد والمشايخ والمَامير والعساكر لأجل تقديم الحسابات بأموال الحكومة من الطلبة، والأموال الموزعة عليهم من الحكومة يحصلوها في كل سنه من العربان. وفي آخر السنة يحضروا المذكورين لأجل تقديم الحساب عن هذا الأموال

(1) أُدخل مصطلح ناظر في قاموس الإدارة المحلية في السودان في عهد الحكمدار موسى باشا حمدي (1862-1865م)، وأضحى يطلق على رؤساء الدور القبلية أمثال عوض الكريم أبوسن ناظر الشكرية، وصالح التوم فضل الله ناظر الكبابيش، وحماد عمر أسوسه ناظر الحوازمة، وعبد الصمد أبوصفية ناظر البديرية.

(2) هو محمد أحمد شداد ناظر قسم بارا، وينتمي للبديرية الدهمشية وفي رواية آخرى إلي الركابية الذين قطنوا منطقة بارا، وخرسي، والأبيض، وهو والد إسحاق ناظر عموم بارا ودار سهل، وجد الطاهر إسحاق الذي عينته الحكومة الانجليزية-المصرية (1898-1956م) شيخاً على خط بارا. عون الشريف قاسم، 1996م، جـ 6، ص 1208-1210.

(3) الكبابيش هي واحدة من قبائل جهينة، وتقطن المنطقة الممتدة من حدود مديرية دنقلا والصحراء الليبية إلى ماوراء وادي الملك حتى حدود دارفور، وإلي وادي المقدم شرقاً، وجهات أم بادر، وكاتول، وكجمر، وأم إندرابة جنوباً. والكبابش هم أهل بادية وسعاة إبل، ينقسمون إلى عدة أفخاذ وبطون. ومن أشهر قادتهم في العهد التركي المصري الشيخ فضل الله سالم الذي منحته الحكومة التركية المصرية لقب بك وعينته رئيساً على كل قبائل المنطقة حتي قيام المهدية. وبعد وفاة الناظر فضل الله خلفه ابنه التوم فضل الله سالم الذي بايع المهدي، ولكنه قُتل بعد أن اتهم بالمتمرد على المهدية، وثار أخوه صالح فضل الله لمقتله، ولكنه قُتل أيضاً. عون الشريف قاسم، 1996م، جـ 5، ص 1927-1930.

(4) حَمَر من أكبر القبائل التي تسكن غرب كردفان، وتنقسم إلى ثلاثة فروع رئيسة هي: العساكرة، والدقاقيم، والغريسية الذين انفصلوا بقيادة عبد الرحيم أبو دقل عن الدقاقيم في الفترة مابين 1873-1877م. لمزيد من التفصل انظر: عون الشريف قاسم، جـ 2، 1996م، ص 690.

يقدموا دفاترهم بديوان الحسابات بالمديرية. عن كل قسم له كُتَّاب، وناظر وعُهد أقسام. وأقسام خرسي والطيارة أغلبهم من فلاته المواليد بحلة أم جبو (ما بين خرسي، والطيارة) ليس لهم معرفة تامه بكـ [بـ]ار الكُتَّاب، بل يقبضوا أموال الحكومة على ورق براني والدفاتر[1] التي عندهم على بياض[2] وجميع ذلك لعدم معرفتهم في الحساب بالوجه الأكمل. وعند حضور هولاى المذكورين يكون لنا فيه الحظ الأوفر، وكافت التلامذة بالمديرية يكونوا [13] فرحانين بحضور الجمعية لأجل الاكتساب منهم: أولاً في تقديم العرضحالات[3] للعربان، وتانياً على شأن الصيارفة الغشمان من أفنديت أولاد فلاتة[4]، الصراف يأجر التلميذ بستين غرش أو سبعين غرش لأجل شطب حسابه بالدفاتر، ونأخذوا عليه شروط ليس له دعوة في أي عربي يحضر يقدم اعتراض من العربان التابعة له، يقبلوا بذلك الصيارفة المذكورين. عندما تحضر الجمعية يكون عندنا نحن التلامذة كأنه يوم عيد وموسم جديد لأجل الاكتساب من العربان المتظلمة. من يقول: «أنا مظلوم»، وذاك يقول: «أنا مظلوم من العهده[5] ومن الشيخ». وكترت الشكاوى والدعاوى[6] للحكومة من كترت الظلم الحاصل على العربان من هولاى المذكورين، وخصوصاً من عساكر الشا [يـ]قية في تحصيل الطُلبة. ومن يقول: «عشرة في تربه ولا الطُلبة»[7]. ومن يقول «القبر ولا صبُر»، وصبُر المذكور ابن عبد الهادي أغا وهو عُهده وظلم العربان حتى نفرت منه، وفي الأصل هم دناقله[8]. ونحن التلامذة نكتب الإعراض من عشرة غروش،

(1) المخطوط: الدافتر. الدفاتر هي جمع دفتر. وأصل الكلمة تركية يقصد بها الكراسات الخاصة بتسجيل الضرائب التي فرضتها الحكومة على مشايخ العربان لكي يحصلوها من القبايل التابعة لهم.

(2) المخطوط: بايض.

(3) المخطوط: الاعرضحالات.

(4) يطلق مصطلح فلاتة على المجموعات الفولانية التي تسكن السودان. وأحياناً يستخدم كمصطلح مرادف لمصطلح تكارنة أو تكارير.

(5) دخل مصطلح عُهدة إلى قاموس الإدارة المحلية في السودان في العهد التركي المصري (1821-1881م). ثم عُدل إلى عُمدة وصار يطلق على شاغلي المناصب الوسيطة بين مشايخ القرى أو الفرقان والنُظَّار.

(6) المخطوط: الدعواى.

(7) تقول رواية أخرى: «عشرة رجال في تربة ولا ريال في الطُلْبَة».

(8) الدناقلة هي نسبة إلى المجموعات النوبية التي تقطن مديرية دنقلا في شمال السودان. وقد هاجر نفر منها إلى كردفان واستوطنوا في مدنها التجارية مثل: الأبيض. وأبوحراز. وخورسي. وبارا. والنهود. والطيارة.

ومن يعطي خمسة غروش بخلاف أجرت الصيارفة للدفاتر. وقد تراكمت الرشوة على خدما[1] وكُتَّاب الحسابات من النُظَّار والعُهد والمشايخ وكافت كُتَّاب الأقسام، ومن شدت تراكم الناس المظلومين تقول أن هذا سوق لأجل البيع والشرا، حتى قهوجى[2] المديرية مرسال صار مبسوط على شأن يعطهم القهوة عند الصبح والعصر. نحن في فرح عظيم، والعربان في غيظ كظيم، وعليهم غضب الله من شدة الظلم الذي حصل لهم من المذكورين. وبالاختصار[3] أن أيام الجمعية أيام فرح وسرور لكافت خدما المديرية حتى نحن التلامذة، وأما العربان الذي له بخت ردوا له ظلومه، والتعيس منهم صار نكدان، والأغلب صاروا مظلومين ومتحسرين[4] ليس فاضل لهم إلا البكا.

وانظر إلى حالت أهل المدينة مركز الحكومة، ومحل كرسي العدل من ما حاصل من ناظر مركز المديرية عبد المجيد أبو نخرة الدنقلاوي، يحصِّل مال الجمرك والويركو[5] [14] من سكان البندر كمثل العتب وستات المريسه[6]، وعنده كاتب واتنين عساكر لأجل تحصيل الأموال. يأخذ العتب الطاق طاقين من المحلات المجهولة، أما البيوت الكبار يخشى[7] منهم يحصل منهم على ما هو مدون بالدفتر، إنما الظلم واقع على المساكين الصغار، وعذب الخلق، وخصوصا الجلابة الذين يحضروا بالرقيق من جهة الجبال النوبة ومن دارفور يدخلوا بهم ليلاً. وعنده ناسات يعطوا الأخبار، ويوجهوه لهم يأخذ منهم

(1) استبدلها صالح محمد نور بـ «خدام». لكن يبدو أن اللفظ السائد في ذلك العصر هو خُدَّما دون همزة على السطر (خدماء) أكثر من لفظ خدام. لأن هذا المصطلح يرد على الصيغة التي أشرنا إليها في معظم سجلات المالية للدولة المهدية والتركية أيضاً. صالح محمد نور، ص 376.

(2) القهوجي هو صانع القهوه وبائعها. والقهوة هي مشروب أسود اللون يميل إلى الُحمرة. ويصنع من حبوب البنُ بعد أن تحمَّر. وتسحن وتضاف إليها كمية مقدرة من الماء. ثم بعد ذلك يُغلى المزيج على النار في وعاء يُعرف باسم «الشرقرق». ويُنقى من الشرقرق في إناء فخاري يُعرف بالجبنة. ويطلق أهل السودان في كثير من الأحيان على مشروب القهوة لفظ الجبنة نسبة للأناء الذي تقدم فيه.

(3) المخطوط: الاقتصار.

(4) المخطوط: متحصرين.

(5) الويركو هي الضرائب الجمركية التي تُفْرض على عروض التجارة.

(6) ستات المريسة. هن النساء اللائي يقمن ببيع الخمور البلدية التي تصنع من الذرة.

(7) المخطوط: الكابر يخشا.

أموال جمة خيفة[1] من أظهار أمرهم للحكومة، لا تأخذ منهم العبيد المردان لأجل دخولهم في العسكرية، وكتر منه الظلم وصارت الشكاوى في حقه كتيره من يشتكي في الظبطية، ومن يشتكي في المديرية. وصارت الخلق تسخط من عبد المجيد أبو نخرة من شدت الظلم الحاصل منه على أهالي البلد، والجلابة كونه يخافوا على الرقيق إذا بلغ خبرهم للحكومة تطلب من كل واحد عشرة عبيد مردان لدخولهم[2] الجهادية، لأجل ذلك يخافوا منه الجلابة. والرقيق كتيره بيد الجلابة من ذكور وأناث كمثل الأغنام بيدي النخاسه[3]. وإن هذا أمر ناظر مركز كوردفان، وأما مالك شيخ التكارير يحصل الأموال، وإذا كان العربي باع مواشيه يأخذ منه على رأس البقرة خمسة غروش، والجمل عشرة غروش، بخلاف المواشي الصغار، وفي بعض عربان غشمان يأخذ منهم على كيفه، وإن هذا المصلحة تحت يده هو الكاتب يعمل فيها ما يعمل لا حساب ولا عتاب، الذي يورده للحكومة على كيفه المسألة محلوله.

عودة سعادة غوردون باشا من الغرب أي دارفور

بعد ما راض البلاد، وعرف صغيرها وكبيرها، وحالة سيرها، وما هي عليه، وغربل بطانها[4] وظاهرها، من سكات بدون أدنى شيء يكدر صفا أهل البلاد، وصاروا مبسوطين منه وفرحوا بقدومه لهذا البلاد، وصار ممدوح السيرة من كافت أهل البلدان من الكبير إلى الصغير، ويقال عنه الكرنيل غوردون باشات العموم الإنجليزي صاحب العدل والإنصاف. قام من دارفور ومتوجه الخرطوم وصارت [15] له شهره كبيرة وصيت[5] عظيم في عموم أهل السودان. وعادة غوردون باشا في حالة السفر يكون ماشي قدام الحملة، وعموم العساكر

(1) المخطوط: ختفاً
(2) المخطوط: دخلوهم.
(3) النخاسة هم تجار الرقيق.
(4) أي باطنها.
(5) المخطوط: سيط.

والياور إبراهيم أغا ابن ترل مع الحملة، وسعادة غوردون باشا بعيد عنهم مقدار نصف ساعة لوحدة راكب على هجين. وهو على ظهر الجمل يعد الأمور[1]، [و]يصفر يسلي نفسه في الخلا ولا يخشى[2] من سبع أو أسد أو من أي إنسان من خلق الله في هذا الخلا الواسع، بل متوكل على الله، أنظروا إلى حالة هذا الفارس الشجاع الذي يضرب به المثل في كل الآفاق. وإن جميع هذا ليس ينتج إلا من فارس ليس يهاب الموت، وإن هذا من صفا النية وحسن الطوية. وقد وصل إلى [الـ]مديرية[3]، وقابلوا حكام البلد بأحسن إكرام رجال ونسا أهل المدينة، ونزل بالمديرية في المحل المعد لسعادته لأجل أخذ الراحة كونه متوجه الخرطوم. أقام أيام قلايل وسافر حالاً، وأوعد أهل المدينة بالعودة تاني مرة.

وأما ما حصل من بين إلياس باشا أم برير، وأحمد بك دفع الله من البغضة الحاصلة ما بينهم الفريقين ما زادوا إلا نفور شديد، حيث أنهم رءوس الجعليين كافة بكردفان، كل واحد قاعد لصاحبه بالمرصاد من كترة الوشاة الجارية ما بينهم من الناس، وزيادة الفتنه، كل واحد منهم يقصد إظهار سطوته إلى قبيلته واقتداره على التاني. وأحمد بك دفع الله معه أخيه الحاج عبد الله ابن أمه وأبيه صاحب كبانيه، يغزي[4] إلى جبال النوبة، ويحضر منها الرقيق شيء كتير، كمثل الأغنام على رقابهم جلود البقر متلبسين بها، كونه عنده السلاح الناري وعبيده وأولاد عمه يغزي بهم لأجل ضرب الجبال بالرصاص. وعندما يكون بالقرب إلى البلد يعطي خبره إلى أخيه لأجل توزيع الرقيق البعض يوزعه محل زراعتهم اسمه[5] الورشة، والبعض يدخل به ليلاً في المدينة. عند ذلك يأخذ أحمد بك دفع الله مقدار خمسة وعشرون رأس رقيق أو [16] تلاتون عبد أبوسبيبه أمرد [يـ]توجه بهم إلى المديرية ويقابل سعادة المدير في ديوان الحكومة، ويقول: «يا سعادة الباشا أن أخي عبد الله حضر من الجبال

(1) المخطوط: الأمرار.

(2) المخطوط: يخشا.

(3) المديرية المقصودة هنا هي مديرية كردفان وحاضرتها الأبيض محل إقامة حكمدار السودان خلال مأموريته الرسمية.

(4) المخطوط: يقزي. المقصود يغزو.

(5) المخطوط: امسه.

وقد أحضرت تلاتون عبد لأجل مساعدة الحكومة، ودخلوهم جهادية». عند ذلك يشكره سعادة الباشا عليذلك، ومن بعد شرب القهوة يقومٍ من عنده مبسوط، ويقول: «يا سعادة الباشا أنا مستعد لجميع طلبات الحكومة ويكون لي فيذلك الشرف والحظ الأوفر». وأما إلياس باشا رجل دهري محنك مجرب في الأمور، متقدم في السن، أكبر من أحمد بك في العمر، ثابت في أموره صاحب دها ومكر شديد، يقضي أشغاله سراً بدون حراكة لا يطلع سره على أي إنسان. صاحب أموال جزيله أكتر من أحمد بك صاحب تجارة كبيرة، يدخل على الحكام بصفة عجيبه، ويركب حماره ويتبعه عبد واحد، ولا يفتخر على إنسان. يعطي أوامره إلى أولاده سراً، ولا نسمع عنده فرح في زواج بناته إلا الأولاد الذكور. كان عنده عادة لما يرغب يزوج واحدة من بناته يختار هو الرجل الذي يكون أهلاً لبنته وينا ديه في منزله، ويكون الفكى معه يقول له: «يا فلان أني زوجتك بنتي فلانة». يقول الرجل: «بارك الله فيك يا سعادة الباشا». بوقته يطلِّع الرجل النقود الموجودة عنده لأجل الصداق، ويأذن للفكى يعقد لهم بعد ذلك. يقول للعبد الطواشي[1]: روح قول لفلانة زوجنا بنتك فلانة إلى فلان اصلحي حالك، وفي تلك اليوم يدخل العريس من سكات لهذا كانت أموره مستورة[2].

عودة سعادة غوردون باشا من الخرطوم لزمت سفره إلى الفاشر-دارفور

ليس أقام في الخرطوم إلا أيام قلايل، وحضر بكوردفان، ما زال في المقابلة والإكرام بأحسن ما كان وزايدة في الإكرام عند حضوره بالمديرية، ومعه من الكُتاب بساطي بك، والتهامي[3] بك، وقريقاص أفندي، القمص حنا، ونزل بدار المديرية كمثل السابق، ومعهم الياور إبراهيم أغا. عند حضوره وجد المظالم الكتيره متقدمه في حق عبد الهادي

(1) العبد الطواشي هو العبد الخصي الذي أُزيلت أجزاء من أعضائه التناسلية. ويعمل مثل هؤلاء في العادة خَدَمَ منازل.
(2) المخطوط: مستراً.
(3) المخطوط: التحامي.

أغا ناظر قسمي خُورسي [17]، والطيارة، ومباشر قسم باره وشرق العقبة، حالاً صدر الأمر الكريم من سعادته برفت المذكور، ويكون ناظر قسم خورسي أحمد أغا يسين(1)، وناظر قسم الطيارة عثمان أغا. وذاك وقتها صدر الأمر من سعادته بالحرية لكافت الرقيق الذي بعاصمة مديرية كوردفان وكافت الجهات(2) تبع المديرية وخلافها. طلعت سلاسل كبيرة من الرقيق ذكور وإناث بأولادهم شيء لا يحصا من الكتره الغالبة(3) والزغاريت والفرح الزايد ويهللو: «الله يطول لنا عمرك يا سعادة الحكمدار الإنجليزي ويمد لنا في أيامك يا صاحب العدل والإنصاف»(4). وليس فضل شيء من الرقيق إلا القليل الذين اختاروا الإقامة مع أسيادهم برضا أنفسهم مع الذين يحسنوا عليهم، مرعاة كخاطرهم في الخدمة كمثل أولاد الريف، وبعضاً من أولاد البلد والجلابة، ما عدا الدناقلة فضل عندهم شيء قليل خالص.

بعد ذلك سافر إلى الفاشر بكافت معيته، وبعد وصوله لمديرية الفاشر، وجد بها جلابة كتيره جداً، وعندهم الرقيق شيء لا يحصا، والنخاسين لأجل مشتري الرقيق من الجلابة، حالاً أصدر أمره لكافة الجهات(5)، وعلى كافت المديرية بالغرب بإطلاق الحرية للرقيق يكونوا أحرار. وعندما يجد سعادته جلابي عنده رقيق أو ليس عنده يقول له :»كسر» أي سافر إلى بلادك، وليس ترك في الغرب نخاس أو جلابي إلا قال له: «كسر». وصارت كافت الرقيق أحرار أخذوا حريتهم. وفي جلابه أخذوا الأخبار بحضور سعادة غوردون باشا في الفاشر صاروا يسافروا لكردفان بدون يصلوا الفاشر. أيضا أخذ

(1) هو أحمد أغا محمد ياسين الدولابي، من وجهاء أسرة الدولاليب الشهيرة في خرسي. وشغل والده محمد أغا ياسين منصب شيخ مشايخ كردفان، ثم عُين قبيل اندلاع الثورة المهدية معاوناً برئاسة مديرية كردفان. وبعد أن حُررت مدينة الأبيض تمّ القبض عليه، ورُحل إلي شقا بدارفور حيث أُعدم بواسطة الناظر مادبو علي زعيم الرزيقات. رتشارد هل، 1967م، ص 279-280.

(2) المخطوط: الجيهات.

(3) المخطوط: بالغاب.

(4) من أهم الأمور التي أوكلها الخديوي إسماعيل إلي غردون هو إلغاء تجارة الرقيق.

(5) المخطوط: لكافت الجيهات.

أخبارهم أرسل لسعادة مدير كوردفان يعمل نقط بطريق دارفور من أبوحراز[1] لحد جبل الحلة، وقد كان أرسلت الحكومة ضباط من البشبزق، وعساكر وعملوا النقط، وكل ما يجدوا جلابة عندهم رقيق يأخذوا منهم، ويرسلوهم للمديرية، لأجل اعطاهم الحرية، وليس ترك أي بلاد إلا اعطا الرقيق الحرية.

وقام من الفاشر حاضر لمديرية كوردفان لغاية ما قرب لمركز أبو حراز، وهو ماشي في الطريق على حسب عادته قدام الحملة، وجد جلابة بالطريق عندهم رقيق لما نظروا عليه كسروا عن الدرب، وقف الهجين وناداهم حضروا عنده كمثل خمسة أو ستة أشخاص سألهم: «هل النقطة الفلانية [18] ليس شفاتكم؟». قالوا:»لا يسعادة الباشا». والنقطة الفلانية ليس شفاتكم؟ قالوا «لا يا سعادة الباشا». وضع يده على عينه قال لهم: «كمان غوردون ما شافكم اتوجهو». ومن بعدها حضر لمديرية كوردفان لأجل أخذ الراحة فقط، ويرجع إلى الخرطوم. وفي مدت إقامته بالمديرية طلع ذات يوم مرور على أقدامه، ومعه الياور وبعض من الأفندية توجه لغاية فولت الجبخانة ورجع، في اثنا مروره وجد اتنين رجال جالسين يأكلوا واحد منهم قام على حيلة من الطعام، والتاني قاعد يأكل، خاطب الذي قام قال له: «لماذا قمت من الطعام؟ قال له: «ياسعادة الحكمدار على شأنك». أجابه سعادة الحكمدار قال له غوردون ليس أفضل من الطعام، عليك غرامه خمسة جنيه». ومن بعدها وصل المديرية. أيضا ذات يوم طلع ووقف أمام بوابات المديرية ومعه الياور، هما الاتنين يتفرج على الشارع بالتصادف شاف أخوي جورجيوس راكب على هجين، وصار ينظر فيه من البعد عجبه ذلك الهجين، كونه جميل وسريع في المشي، صار مبسوط منه كونه سعادته مغرم بركوب الجمال قال للياور إبراهيم أغا: «هل تجد جمل جميل وسريع في المشي مثل هذا الهجين؟». أجابه الياور قال: «نعم يا سعادة الباشا». وعند ساعة الغروب حضره الياور استدل مع من يعرفه وسأله: «هل تعرف منـزل جورجيوس أفندي ميخاييل الصراف؟». قال له «نعم». وعند المغرب حضر عندنا حضرة الياور بالمنـزل وتقابل مع جورجيوس قال

(1) تعد أبوحراز من المدن المهمة في وسط كردفان. ويقطنها البديرية أولاد حليب والدهمشية ومجموعات من الدناقلة والجعليين.

له «سعادة الحكمدار نظرك وأنت راكب على الهجين بتاعك فصار مبسوط منه، وقصدي نأخذ لسعادته واحد هجين مثل الذي عندكم». قال له: «وأنت تعرف أهل البلد والذين عندهم جمال طيبة، ولك خبره تامة فيذلك». أخوي قال له: «يا حضرت إبراهيم أغا الجمل موجود». بعد شرب الشربات والقهوة أخوي قال للخدام: «طلع أبوزيران». احضروا الهجين ودغرى حلف أخوي لا يركب على هذا الهجين إلا سعادة الحكمدار، لما نظر إبراهيم أغا أن أخوي حلف القسم قال له : «كام تمنه؟» قال له أنا أخذته بأربعين ريال مجيدي[1] من الخواجة مانيوس». عند ذلك أخذ الجمل إبراهيم أغا وأرسل المبلغ.

وتاني يوم عرف سعادة الحكمدار بكل شيء وقال للياور: «شد عليه المخلوفه[2] وأركب انتا[3] عليه». وسعادته ينظر في على مشيه صار مبسوط منه. وبعد اكام يوم قام سعادته [19] ومتوجه للخرطوم، وهما في أثنا الطريق بجهة عيد النبيق الجمل غرز في طينه جعله حصل له عجز في رجله من قدام. وبعد وصولهم الخرطوم حضر جواب حضرة الياور إبراهيم أغا إلى جورجيوس وعَرَّفه بما حصل للجمل من طريق عيد النبيق «وحصل له عجز في ذراعه ويرغب إرسال جمل خلافه يكون كمثل الهجين السابق». ومن حسن الصدف كان جورجيوس أخذ هجين أجمل من السابق وله غوفة شعر على أكتافه حلوا المنظر سريع المشي وهيط[4] حتى صاروا بنات الغديات يغنوا عليه هكذا:

كير جورجيوس أبو غوفــه

فجو لي الحوش نشـــوفه

خمسين ريال دقوهم في المخلوفه.

---

(1) الريال المجيدي هو واحد من العملات العثمانية التي لقيت رواجاً في السودان الغربي. وقد عُرف بالمجيدي نسبة إلى السلطان العثماني عبد المجيد.

(2) المخلوفة نوع من سروج الإبل. لها مقعد مقعَّر من خشب الجوغان أو الإندراب. وقربوسان في المقدمة والمؤخرة. ولها وسادتان مما يلي ظهر الجمل. وفروة من جلد الضأن تُوضع عليها عند الركوب. نعوم شقير. 1967م. ص 264.

(3) يقصد بها «أنت».

(4) المخطوط: وحيط.

وقد أرسلوا مع الهجانة إلى حضرة إبراهيم أغا الياور بموجب جواب وعرفه فيه بالقيمة ستون ريال مجيدي. وبعد وصوله واستلامه الجمل ونظر في هيكله العجيب ومنظره الحلو[1] فرح به فرح عظيم، واسرع حالاً وتوجه لسعادة الحكمدار، وعرف سعادته بحضور الهجين مع الهجانه، صار يمدح فيه لسعادة الحكمدار، قاموا سوياً وأوقف الجمل بين يديه، ونظر في شكل الهجين ودار من حوله بعد ذلك أمر واحد من الهجانة يوضع عليه مخلوفه، ويمشي أمام سعادته، وبعد ما نظر في مشيه أعجبه ذلك، وصار مسرور منه أكتر من الجمل السابق، وأمر حضرة الياور أن يرسل جواب من عنده بالتشكر إلى جورجيوس وأرسل القيمة مع الهجانة.

وإنَّ الجمل هذا هو الهجين المصور بالخرطوم وعلى ظهره سعادة غوردون باشا[2]، ومن بعد هذا الهجين جورجيوس أخذ بكره بشاريه[3] اسمها أم زره تسابق الخيل وفي آخر الوقت نهبتها العربان الدراويش[4].

(1) المخطوط: اللحو.

(2) هو تمثال نُصب أمام مباني السكرتير الإداري (وزارة المالية الحالية) في الخرطوم تخليداً لذكري الجنرال غرودن، لكنه رُحِّل إلى إنجلترا بعد أن نال السودان استقلاله.

(3) نسب إلى قبيلة البشاريين التي تقطن منطقة البحر الأحمر في شرق السودان، وقد عُرفت الإبل البشارية بالسرعة، وخفة الحركة، ولين الظهر، إضافة إلى الصبر على الجوع والعطش. نعوم شقير، 1967م، ص 45.

(4) هي جمع لكلمة درويش الفارسية الأصل التي يقصد بها الفقير الراهب الزاهد. وقد استخدمها الخصماء للتقليل من شأن أنصار الإمام محمد أحمد المهدي الذين اشعلوا فتيل الثورة ضد الحكم التركي-المصري في السودان، وأسسوا دولة المهدية (1885-1898م) وحاضرتها في أم درمان.



الفصل الثاني

محمد أحمد المهدي من الدعوة إلى الثورة





وبعد ما سافر[1] سعادة الحكمدار، وصار مقيم في المديرية، وكل إنسان مشتغل بنفسه في حاو وتر[2]، وما علينا في القايم ولا القاعد، بل نتوجهوا يوم الجمعة إلى فولت الصنجك لأجل اللعب والعُوم[3] في الموية، وتارة في فولة بير بندق، وأخرى في أبو زيران، وتانياً في فولت أبوصفية. وعند المغرب نكونوا مع أولاد الحارة في الخور الكبير الذي هو أمام بيوتنا لأجل اللعب مع بعضنا. ونحن صبيان الواحد منا يطلع عمره خمسة عشر سنة، نلعبوا حاره[4]، وشليل وينو [20] وما هو شليل وينو[5]، نكونوا على حزبين كل حزب[6] عليه مقدم بجماعته، نأخذوا عظم ونرموا بعيد، وجميعنا نفتشوا عليه. جماعة الحزب الذي يجد العظم[7] يأخذه ويجري به إلى محطت الميس. إذا صار سابق جماعته ويركبوا على ظهور الحزب[8] التاني من محل ما وجد فيه العظم. تارة[9] نلعبوا عتبت[10]

---

(1) المخطوط: سفار.

(2) «حاو» لفظ عامي يستخدم لوقف الدابة (أو الحمار) عن السير. و»تُر» أي ابتعد.

(3) أي السباحة.

(4) حاره أو حرَّينه هي لعبة محلية تُعرف أيضاً بشدَّت، حيث ينقسم اللاعبون من الصبية إلي مجموعتين، ويجب على كل واحد من أفراد المجموعتين أن يعقل رجله بإحدي يديه من خلاف ويسير على رجل واحدة، ثم بعد ذلك تبدأ المدافعة بين الفريقين، إذ يحاول الفريق الذي يقوم بحراسة الميس بصرع أفراد الفريق الآخر وذلك من أجل القبض على الشخص الذي يسمي «بالعرسة»، فإذا استطاع أعضاء الفريق الآخر حماية العرسة، ووصلوا إلي الميس يكونوا هم الفائزون، وهكذا دواليك.

(5) المخطوط: شلل وما هو شلل وينو. شليل لعبة يمارسها الصبية في ظلام الليل، وفي ساحة واسعة، وذلك عندما يرمي أحد الصبية عظماً صغيراً في الظلام ويقوم الأخرون بالبحث عنه، والشخص الذي يحصل عليه هو الفائز، ومن ثم يحمل الخاسرون أعضاء الفريق الفائز على ظهورهم من المكان الذي وُجد فيه العظم إلى الميس، وبعد ذلك يقوم أحد أعضاء الفريق الفائز برمي العظم، ثم يواصل الجميع عملية البحث عن العظم المفقود، وهكذا دواليك. وشليل وينو أي أين يُوجد شليل.

(6) المخطوط: حسب.

(7) المخطوط: الأعظم.

(8) المخطوط: الحسب.

(9) المخطوط: تارتا.

(10) عتبت أو العيتنوبا هي واحدة من ألعاب الصبية، وصفتها أن يثبت الصبي إحدى رجليه داخل دائرة فيأيته الصبية واحداً بعد آخر يحاولون إخراجه من الدائرة بشرط إلا تمس قدم رجله المعقولة بإحدى يديه الأرض وإلا عُدّ ميتاً، فإذا أخرجه أحدهم عن الدائرة كان هو الفائز الذي يحل محله. ويبدو أن هذه اللعبة تعرف أيضاً بأم جقجوق أو الحاجورة.

أو الجقجوق أيضاً بعظم على التراب. وتجد الليل في الخور رجال كبار، وصغار، وشياب جالسين في الخور، والرملة نضيفه والخور طراوه[1] لغاية نصف الليل حتى ندخلوا بيوتنا.

وبعد نصف الليل سمعنا صوت ذكر[2] جديد في حوالي البلد من الخارج، وعند الصباح نسمعوا الأولاد كل واحد يكلم التاني يقول له : «يا أخي أنا سمعت صوت الذكر حوالي البندر». في مَنْ يقول : «أيو أنا صاحي». ولما بلغنا الخبر من الناس الكبار – أنه حضر رجل درويش من البحر[3] اسمه محمد أحمد، ومعه الحيران[4] التلامذة بكتره، ونازل عند السيد المكي[5]. ومَنْ يقول : «أنا شفته عند ولد سوار الذهب». ويقولوا عليه رجل صالح من صلاح البحر، ويزور كافت المنازل الكبيرة من أهل الدين، وفي نصف الليل يقوم مع جماعته الحيران ويطوف بالبلد مرة واحدة حتى يطلع الفجر [و] أوان الصلاة يبطل الذكر. وعند طوافه بالليل يذكر يقول: «الدايم هو الدايم الله هو الدايم!»، ذكره بخلاف الأذكار التانية. ومَنْ يقول: أيو والله رجل صالح من أهل

---

(1) أي نسيم عليل.

(2) يقصد بالذِّكْر المداومة علي ترديد اسم من أسماء الله تعالى مراراً بحصر أو لا حصر حتى يستولي معني الاسم على ضمير الذاكر وهواجسه بحيث لا يكون له شعور بالعالم الحسي. ويستعين الذاكرون على العّد بالمسابح المعروفة. وقد حبذ الصوفية الكثرة في ذلك انطلاقاً من قوله تعالى: «واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون» (الجمعة، الآية: 15). فقالوا إن تكرار الاسم ثلثمائة مرة هو أول حد الكثرة. وأسماء الله سبحانه تعالى كثيرة كما جاء في الحديث: «أن لله سبحانه تعالى تسعة وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنة». والذكر عند أهل الطُّرق الصوفية نوعان. نوع يردد الذاكر فيه اسماً من أسماء الله تعالى سراً أو جهراً. أما النوع الثاني فيردد فيه جمهرة من الذكراين اسماً من أسماء الله. ويكون لكل حلقة شيخ يرأسها أو نقيب يفتتح الذِّكْر بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» فيكرر الذاكرون معه مراراً معلومة. ثم ينتقلون منها إلى اسم من أسماء الله كقولهم: حي قيوم أو الدائم الله. انظر نعوم شقير، 1967م، ص 155؛ عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، ط 2، بيروت: دار المسيرة، 1987م، ص 103.

(3) يقصد بالبحر نهر النيل.

(4) المخطوط: الهيران.

(5) هو السيد محمد المكي بن السيد إسماعيل الولي بن السيد عبد الله الكردفاني. اصطفاه والده من بين إخوته لرئاسة السجادة الإسماعيلية، وتعضيداً لأهليته صلّى خلفه الصلوات الجامعة. وقام بأداء فريضة الحج عام 1870م، و بايع المهدي عام 1881م. وظل وفياً لبعيته حيث عينه الخليفة عبد الله عضواً في مجلس الشوري. وبعد سقوط المهدية عاد إلى الأبيض عام 1902م وظل بها إلى أن وافته المنية عام 1906م. لمزيد من التفصيل انظر محمود عبد الله إبراهيم:

Mahmoud Abdalla Ibrahim, The History of Ismailiyya Tariqa in the Sudan, 17921914-, Ph.D. Thesis, University of London: School of Oriental and African Studies, 1980, pp. 85100-.

البحر[1]، وصارت أهل كوردفان تزوره في محل إقامته لأجل أخذ البركة من هذا الدرويش الصالح، ويتبركوا فيه. واشتهر اسمه وهو يزور كافت أهل المدينة من أهل الطرق الدينية، ويزور الياس باشا، وولد العريق محمدين سر تجار كوردفان، والمحلات العالية الذي له بهم معرفة. ومن بعد ما يأخذ له مدة سوى كان شهر أو اتنين يتوجه إلى محل إقامته. ويسؤال أهل الطرق الدينـ [يـ]ة منه يقولوا له: «عرفنا عن محل إقامتك ياستاذ». يقول لهم: «أنا مسكني في جزيرة أبا بالبحر الأبيض»[2]. يقولوا له: «ما شاء الله! دائما أهل البحر ناس صالحين! عند الله وعندك يا سيدنا الشيخ!» [21] يقول لهم: «إن شاء الله نداوم[3] عليكم في الزيارة، وبإذن الله ما تجدوا منا إلا حلاوة الإيمان وذكر الله تعالى، حتى يرسخ في قلوب المومنين، حتى تجدوا طريقة النجاة لرب العالمين».

وكان الشيخ محمد أحمد جميل الصورة حلو اللسان فصيح في الكلام له جاذبية[4] في الناس. والمعلوم عندنا نحن [أهل] كوردفان أي إنسان يحضر من البحر كأنه حضر من بيت المقدس الشريف، أو مكة المشرفه، كونه لسان أهل البحر طلق ورطب، وجلدهم أملس. وعموم أهل كوردفان وحولها إلا باره الجسم خشن واللسان تقيل خصوصا في اللغة[5] العربية، والأسما الوحشة من حِميِّر «ولد حمار»، ومَنْ يقول:

(1) أهل البحر أو أولاد البحر هي إشارة إلى الجلابة الذين وفدوا من شمال، ووسط السودان حيث النيل إلى غرب السودان وجنوبه، ومارس معظمهم حرفة التجارة.

(2) أبا جزيرة مشهورة على النيل الأبيض، جنوبها كوستي، وشمالها الشوال، ومساحتها أكثر من تسعين ميلًا مربعاً، وهي من أكبر الجزر على النيلين الأبيض والأزرق، وتضم قرى كثيرة أشهرها: كرتوب، والمقرن، وطيبة، والبيارة، وأبو أم كوم شرق البيارة، وأركويت، وودرشوان، ودار السلام، وأولاد نصر، وأرض الشفاء، والغار التحتاني، والغار الفوقاني الذي يعتبر عاصمة الجزيرة أبا. وكانت أبا في الماضي أدغالاً يسكنها الشلك ويقال إن اسمها مشتق من لغة الشلك، ويرحج بعضهم الرأي أنها عربية مشتقاه من موقف سلطان الشلك الذي رفض أو «أبى» أن سيتجيب لطلب رُفع إليه من أحد ملوك سنار. وتعني أبا تاريخياً المقر الأول للإمام محمد أحمد المهدي حيث كان يتعبد في غارها الوراني أي الغربي في الخريف، وغارها الفوقاني أي الشرقي في الصيف. ومنها انطلقت شرارة المهدية الأولي، وبعد سقوط المهدية أضحت أبا تمثل موطناً روحياً للأنصار الذين هاجروا إليها بغية العمل في مشاريع السيد عبد الرحمن الزراعية، أو التبرك برؤية زعيم الأنصار. انظر: عون الشريف قاسم، 1996م، جـ 1، ص 22.

(3) المخطوط: ندوام.

(4) المخطوط: جازبه.

(5) المخطوط: اللغوه.

«أنا اسمي أبو جعيرين»، ومن يقول «أنا اسمي دحيش، والكليب النكدرو»، وهلما جرا. ناس متوحشين غير أنهم في الكرم والجود أجود من أهل البحر، وأكرم منهم طاقات إذا كان نـزلوا ضيفان عند أي واحد منهم، سوى كان عشرة أو عشرين يكرموهم غاية [الكرم] ويفتخروا بالجود، حتى النساء إذا نـزلوا عند واحدة حرمه كتير أو قليل تزيد في إكرام الضيوف. وأما أهل البحر وخصوصا أهل الجديد[1] أو الحلاوين[2] أبخل من كلبت يزيد، إذا نـزل الضيف تفادو[3] منه، وعندما ينظروا أي ضيف قادم عليهم يسدوا باب البيت، إلا تقعد في ظل البيت تأخذ راحتك، وتعجل بالسفر. وما زال هذا الكرم عندهم وما زال إلا عندما ظهرت المهدية من نهب الأنصار ارتفع الكرم.

وكان الشيخ محمد أحمد لما وجد القبول من أهالي كوردفان، وتراكم الناس عليه لأجل أخذ البركة منه صار اسمه كبير، ومشهور فرح، وزاد فرحه خصوصاً عند أهل الدين، وأكابر عموم أهل المدينة بالمناشدة معهم في المذاكرة بالدين وبالتنفر عن الدنيا الخسيسة[4] والإقبال على الآخرة لقا [ء] رب العالمين. والرجل عالم صاحب علم زادت محبته في قلوبهم، وفرحوا به فرح شديد من شدة تواضعه وحلاوة مقاله، كأنه يسقى في أرض [22] عطشانه حتى غرس محبته في قلوبهم، وجذبهم بمذاكرته، وسحرهم بحسن مقاله. وما ترك أي بيت كبير ومن له اسم مشهور إلا زاره كمثل حاج خالد العمرابي[5]، وأولاد ولد

(1) يطلق اسم الجديد على قرى كثيرة في الجزيرة مثل الجديد عمران، والجديد العطشي، والجديد خليف، والجديد الشقلة، والجديد الثورة.

(2) الحلاويون أو الحلاويين ينسبون إلى حلو الجهني. وهم فرع من قبائل رفاعة يسكنون الجزيرة وخاصة جهة سنار. وأكبر فروعهم الرحماب، والقصامنة، والمديداب، والعايداب والحدواب. لمزيد من التفصيل انظر: عون الشريف قاسم 1996م، جـ 2، ص 648-650.

(3) المخطوط: تغدو.

(4) المخطوط: الخصصية.

(5) هو حاج خالد بن حمد بن كروم، حفيد الشيخ حامد أبو عصا المعروف بين عمراب جبل أم علي. هاجر خالد في صباه إلى القضارف، والحبشة، ثم الأبيض حيث ازدهرت تجارته مع الحبشة ومصر. وخلال فترة إقامته بالأبيض أخذ حاج خالد الطريقة الختمية على يد السيد محمد عثمان الميرغني، وبعد اتصاله بالشيخ بكر الحداد بالأزهر الشريف انضم إلى الطريقة الخلوتية. بايع المهدي في قدير عام 1882م، وفي حصار الأبيض عينه المهدي أميراً على الجلابة. واشترك في معارك شيكان والخرطوم، وعينه المهدي أميراً على الخرطوم بعد تحريرها، ثم أوكل إليه أمانه بيت المال، وحفظ الغنائم. وبعد وفاة المهدي كان من المقربين للخليفة عبد الله، والمخلصين لبيعتهم. توفي في أمدرمان عام 1901م. انظر:عون الشريف قاسم، 1996م، 737/2-738.

العريق، وأولاد عربي[1]، والفكى مكاوى الركابي، وأهل ولد أبوصفية، وخصوصاً الياس باشا أم برير، وبان النقا الرازقي. وليس ترك إنسان مسمى إلا زاره في منـزله، ويلقى عليهم المذاكرة بالدين، ورغب فيه الرفيع والوضيع كبير وصغير. وحفر الأساس في كوردفان وتوجه لمحل إقامته وعندما يعود يرمى البناء على الأساس. إن هذا ما حصل منه مع أهل المدينة بخلاف من ينـزل عندهم في اثناء سفره بالطريق مع المشايخ كمثل الشيخ منا[2]، الشيخ موسى ولد الأحمر[3]، وكافت رءوس القبائل المشهورة، سقاهم من مياه المذاكرة، وأظهر لهما المحبة الزايده، وتراكمت عليه العربان بالطريق والحلالات، ونـزوله عندهم مع تلاميذه التابعة له لأجل الذكر، وسقاهم أيضاً بحلاوة المذاكرة، وإقامت الدين لأجل لقاء رب العالمين، وأظهر لهم بشاشة الوجه والمحبة الزايده، حتى رغبوا بالإقامة معهم، وهو أوعدهم بالعودة من البحر، ومهد لهم الطريق وطيَّب قلوبهم، وحفر أساسه عندهم لحد الركبة وتوجه لمحل إقامته بجزيرة أبا.

وهنا الناس مشتغله في أشغالهم وليس لهم علم بما حصل، وما يحصل وبل كل واحد في حال نفسه سكرانين بحب الدنيا ومشتغلين بأنفسهم. وفي مَنْ يقول: «أنا مظلوم نسأل الله أن يزول هذا الحكم الجاير»، وفي مَنْ يقول: «قطع الله دابرهم الحكام الظالمين». وما تسمع إلا السخط على الحكام، وعلى كل مَنْ هو متولى على مصلحة في مصالح الحكومة. وسبحان الله تعالى من ما جعله في قلوب خلقه صارت أغلب الناس من رجال إلى نسا يقولو: «ليس لنا مهدي؟ ما قالوا هذا أوان نـزول المهدي».

---

(1) أولاد عربي هم أحفاد عربي مكاوي الركابي المدفون بالأبيض. لمزيد من التفصيل انظر: عون ا لشريف قاسم، 1996م، جـ 4، ص 1542-1544.

(2) هو الشيخ المنا اسماعيل من أعيان الجوامعة، اتصل به المهدي منذ زيارته الأولى إلى كردفان، وقد انضم إلى المهدية في أيامها الأولى واسهم اسهاماً فاعلاً في تحرير قسم التيارة أو الطيارة ولعب دوراً خطيراً في حصار بارا. وبعد تحرير الأبيض وقع بينه وبين المهدي خلاف سياسي قاد إلى رفعه من إمارة الجوامعة، ثم إعدامه في مايو 1883م. نعوم شقير، 1981، ص 367.

(3) هو موسى محمد الأحمر من أعيان الجوامعة الذين خاطبهم المهدي داعياً أياهم إلى نُصرة المهدية ومحاربة الأتراك. ويقال أنه قد أبلى بلاءً حسناً في تحرير مدن كردفان الرئيسة، وبعد أعدام الشيخ المنا اسماعيل تولى إمارة الجوامعة.

يعلم الله سمعت هذا الكلمة بأذنيَّ من أولاد الحارة.

ومن بعد كم[1] يوم وما نشعروا إلا الأولاد بالحارة قاموا مع بعضهم [23] البعض، وعملوا لهم رايات، أهل فريق النوبة، وأولاد فريق حسن أفندي الصول. أولاد النوبة المواليد قالوا: « نحن راياتنا رايات المهدي» وأولاد حسن أفندي الصول قالوا: «نحن رايات الترك». وصاروا يطلعوا خارج البندر عند الفكى آدم البرقاوي محل جبانة يزوروا فيه، وتقابلوا هناك مع بعضهم البعض بالضرب بالعصا، وهجموا مع بعضهم الفريقين، بعد الأخذ والعطا بهذا المضاربة أولاد فريق النوبة أولاد دكام أغا كسروا أولاد حسن أفندي الصول لغاية فولت ولد أبو صفيه، وقالو: «رايات المهدي غلبت رايات الترك». تاني يوم النور ولد حسن أفندي الصول أخذته الحماقة وهو الريس على أولادهم وأخوانه قال لهم: «أخذوا لنا عصا كبار لأجل المضاربة بها – كيف أولاد فريق النوبة ينتصروا علينا نحن أولاد ترك أهل المُلك؟ وحصل عندهم زعل شديد. وأما أولاد فريق النوبة فرحانين بالنصر عليهم، واجتمعوا بالليل في الخور، وتواعدوا بمقابلة باكر الصباح. ومن شدة فرِح أولاد النوبة عملوا لهم سيوف من خشب العشر، واستعدوا مع إخوانهم وطلعوا أيضاً في ذات المحل السابق، واشتد بينهم الضرب حتى نـزل الدم بين الفريقين وأولاد فريق النوبة كسروا أولاد حسن أفندي الصول وجماعتهم لغاية ما أدخلوهم في ولد أبو صفية. وصارت المسألة[2] كبيره من بعد ما كان لعب صار الضرب شديد بينهم، ونـزل الدم من بين الفريقين، وتوجه واحد عبد من عبيد أولاد حسن أفندي الصول وأخبر سيده بما حصل: « أن أولاد فريق النوبة وابن دكام أغا ضروبوا أولادك، ومن معهم حتى صار الدم ينـزل منهم، ومازالوا مشتبكين مع بعضهم كسروا أولادكم من الفكى آدم البرقاوي لغاية ما أوصلوهم ولد أبو صفية». فما كان من حسن أفندي الصول ركب على حصانه، وأخذ معه عبيد كبار، وتوجه لهم، وحصل ما بينهم عن بعضهم وسألهم:

(1) المخطوط: اكام.

(2) المخطوط: المسئلا.

«ما هذا يعطنا الأسباب التي أوجبت لهذا الحد؟» قالوا أولاد فريق النوبة: «يا فندي نحن نلعب مع بعضنا». قال لهم: «ما هذا الرايات التي معكم أنتم الفريقين؟» أجاب ولد دكام أغا قال له: «يا عمي حسن أفندي نحن نلعب عملنا لنا رايات وقلنا: «أن هذا رايات المهدي، وابنك النور عمل له رايات وقال إن هذا رايات الترك». قال لهم حسن أفندي: «ومن غلب فيكم؟ « أجابه ولد دكام أغا قال: «نحن غلبنا رايات الترك»، فتعجب حسن أفندي من هذا العمل، وقال لهم: «يا ولادي على رأي المثل أخذوا فالكم من أولادكم. الله يستر والله يا ولادي تجيبوها من ذنبها». وفرَّق الأولاد من بعضهم البعض، وأمر العبيد أن يأخذوا الرايات من أيدهم ويكسروهم أمامه، وصار يضحك ويتعجب من هذا القبيل الذي صدر من الأولاد بهذا الصفة، وصار يقول لهم: «والله يا ولادي أظن الدنيا انقلبت بطيزها[1] الله يعطينا خيركم، ومن اعلمكم أن تعملو[2] لكم رايات، وتقولوا إن هذا رايات المهدي، وهذا رايات الترك والله تجيبوا المهدي من غير أوانه، ومَنْ قال لكم المهدي يحارب الترك؟ ياولادي أنا صرت متعجب من هذا الأمر، ولربما حصل شيء في الكون، أمشوا يا ولادي وتاني مرة ليس يصدر منكم هذا الأمر أنتم الفريقين، وإذا بلغني من أي واحد منكم الفريقين نضربه ونوضعه في السجن». وتاني يوم بلغ الخبر هذا دكام أغا، واجتمع مع حسن أفندي الصول، وسأله عنما حصل من الأولاد حتى حصلت جروح على بعض الأولاد، عَرَّفه حسن أفندي بما حصل منهم وبخصوص رايات المهدي ورايات الترك، صار يضحك دكام أغا من هذا الأمر العجيب الذي صدر من الأولاد، وقال: «والله ياحسن أفندي ما حصلت هذا المسألة من الأولاد الصغار ألا يظهر شي في الكون. أخذوا فالكم من صغاركم». والسنة[3] الحق أقامت الحق، ومَنْ أفهم هذا الأولاد أن ينـزل المهدي ويحارب الترك، نحن الكبار سمعنا من الذين أكبر منا يقولوا في آخر الزمان ينـزل المهدي بحصانه، وبالليل يحضر لكل مسلم حصان أمام بيته، وعلى

(1) الطيز في اللغة العامية السودانية يعني الدبر.
(2) المخطوط: تعلمو.
(3) المخطوط: اللسنة.

الحصان سيف في السرج لأجل ما يجاهد به الكفار، هذا ما نسمعه من كبارنا، ومن أعلم أولادنا أن المهدي له رايات، والترك لهم رايات، ويحصل الحرب بينهم؟» أجابه حسن أفندي وقال له : «والله يا دكام أغا أنا من مسألة هذا الأولاد صار ضميري ليس مرتاح». قال له: «وأنا أيضا ياخي» على رأي المثل : «أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»[1]. لازم يحصل شيء في الكون وتخرب بلادنا وربنا يستر والله يجعله خير وسلامه – من بعد ما دخل في ضميرهم الوسواس من هذا القبيل.

وأما ما كان من أمر محمد أحمد الدرويش من بعد ما وصل إلى أبا محل إقامته، وما نعلم [25] بالذي حصل منه مع أهل البحر وخلافه، بل عاد الكرَّه إلى كوردفان على حسب عادته، ومعه جماعته الدراويش بصفة تلامذة له لأجل الذكر. فذاك وقتها حضر لأجل بس الدعوه بالمهدية سراً. أيضاً دار حوالي المدينة كمثل عادته السابقة بالطريقة المعلومة: «الدايم هو الدايم الله، هو الدايم». وما يطوف المدينة من ظاهرها إلا بعد نصف الليل، والناس نيام. وإنَّ جميع هذا إلا من شدت عزمه وتمسك الخَلْق به. أيضاً نـزل عند السيد المكي، وبعدها إلى ولد سوار الذهب، وكافت أهل الدين والأكابر، كمثل السابق، ويذاكر ويوعظ، ويلقى العلوم الدينية على أهل العلم، ويدخل المسألة شي في شي، شي يرسخ في قلوبهم بشديد الوعظ، وبحضور النبي عليه الصلاة والسلام في المنام، ومقابلة نبي الله الخضر عليه السلام حيث أنه موازره في كافت الأمور طبقاً لما أمر به من رب البرية أن يكون موازره لأجل تنفيذ الأمر الإلهي، وبالجملة التي قام بها بحضور الأربعة أقطاب في الحضرة النبوية[2] بإذن رب البرية. وإنَّ جميع هذا كان يلقيه على مسامع أهل الدين حتى يكونوا على يقين، وأفهمهم بالدلايل الساطعة من العلوم الدينية. وأما عامة الناس الذين سمعوا بحضور الدرويش محمد أحمد من البحر يحضروا وعنده، جمع كبير لأجل أخذ البركة منه، عندما ينظر ويشوف الناس المتراكمه حواليه يلقي عليهم

(1) يقصد الكاتب الآية القرآنية: «إِنَّ اللَّه لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ». سورة الرعد. الآية: 11.
(2) المخطوط: النباوية.

النصايح والارشاد بترك الدنيا الفانية والإقبال على الآخرة، وعند المذاكرة يبكي بعين واحدة يجري منها الدمع على خده، وأحبته الخلق محبة عظيمة، ولما تمكن من محبتهم فيه أظهر لهم أمر المهدي: أنه خليفت رسول الله وعيده بالمهدية في الجلسة النبوية[1]، بحضور الأربعة الأقطاب[2]، وبحضور نبي الله الخضر عليه السلام، وقال لهم: «أنيِّ على قدر ما تجزعت منها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «مالها إلا أنت يا فلان». وأني أمرت من رسول الله بهذا الشأن». وأعطاهم البيعة[3] سراً، على ورق مكتوب فيه البيعة تحفظ بيدهم لحين ما يظهر أمره بأمر من رسول الله. وتوجه من مديرية كوردفان بعد ما عرف داخلها وخارجها، ورما الطوب على الأساس، وتمكن من أهل المدينة بما فعل، وصار متوجه إلى جزيرة أبا، وفي طريقه بايع عموم المشايخ أهل الدين، وكافت أهل الطرق الدينية ومشايخ العربان الذين يعتمد عليهم، وأوعدهم بظهوره في جزيرة أبا، وهلما جرا، طاف على عموم أهل السودان بكوردفان الخاص والعام. وإنِّ جميع هذا الأمر صار [26] مخفي عن الحكومة غير أن جميع من أخذ منه البيعة حزم أمره، وصاروا منتظرين ظهوره.

وما نشعروا إلا الناس صارت تعطي عنه الأخبار من الجلابه الوارده من البحر: «في واحد درويش اسمه محمد أحمد ظهر في جزيرة أبا وكافت عربان البحر الأبيض صارت متبعه له من عربان البقارة[4] ودغيم[5] وكنانه[6]». والخبر ما بين مصدق ومكذب.

(1) المخطوط: النباوية.

(2) المخطوط: الاقباط.

(3) نص البيعة: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد الله الوالي الكريم، والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم. أما بعد، فقد بايعنا الله ورسوله، وبايعناك على توحيد الله وألا نشرك به أحداً، ولا نسرق ولا نـزني، و لا نأتي ببهتان، ولا نعصيك في معروف، بايعناك على زهد الدنيا وتركتها والرضى بما عند الله، رغبة بما عند الله والدار الآخرة وعلى أن لا نفر من الجهاد». وكانت هذه المبايعة على وجهين. يتم الوجه الأول مصافحة، ومشافهة أي بأن يضع المبايع يده على يد المهدي جاعلًا إبهامه على إبهامه، ثم يقرأ المهدي نص البيعة ويردد المبايع من بعده. والوجه الثاني يتم مشافهة فقط أي أن يتلو المهدي نص البيعة ويردد الحضور من بعده. انظر نعوم شقير، 1981م، ص 349.

(4) يطلق مصطلح البقارة على قبائل جهينة التي تمتهن تربية الأبقار، ومنها المسيرية، والرزيقات، والحوازمة.

(5) دغيم هي من قبائل وسط السودان التي ناصرت الثورة المهدية منذ فترة مبكرة. ومن أشهر زعماء دغيم الشيخ علي محمد حلو الذي لقبه المهدي بخليفة الفاروق.

(6) كنانة قبيلة رعوية تنسب إلى قبيلة كنانة العربية، ويعيش أفرادها على ضفتي النيل الأزرق، ويتركز معظمهم

والحكومة غفلانه عن ذلك ليس يحرك أذنها، ولا أخذت منه أي خبر تمام بل عندها: «كأنه باعوضه نازله على جميزه».

وأما الدرويش محمد أحمد عندما طلع خبره واشتهر أمره: « أنى أنا المهدي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ابطلوا دفع الطُلبه للترك الكفار، وكل واحد يوجد تركاوي يقتله، لأن الترك كفار». وتراكمت عليه العربان من البحر الأبيض من عرب الشنخاب، وكنانة، ودغيم، وكافت العربان، وأهل البحر الأبيض، وبعضاً من الجزيرة وكافت القبايل. وطار اسمه إلى عنان السما. وأهل البلاد فرحت به من كبير وصغير وصاروا يقولو: «عشره في تربه ولا الطُلبه». وتوجهوا له العربان لأجل أخذ البيعة منه، وارتاحت العربان من دفع الطلبة. وصار يذاكرهم: «لا تخافوا من الموت الذي يقتل منكم مات شهيد وجبت له الجنة ويأخذوا بنات الحور إلى الجنة، وأما من شك في مهديتي كفر بالله ورسوله، وأنا خليفة رسول الله أبشروا بالخير الدايم والنعيم الجزيل من رب العالمين. ولا تخافوا من أي تركاوي كافر». وقد صارت الأخبار يومي تأتي من المسافرين بجهة البحر ويحضروا بكردفان. وولد المكاشفي[1] عينوا المهدي وقتل مركز شاة. وصارت تلك الأخبار دايرة ما بين الرجال، والنسا يقولو: «سي جيدلينا[2]! قالوا المهدي ظهر في البحر، كم الحكومة عذبت رجالنا في أخذ أموالنا بالظلم». حتى اشتهر الأمر وظهر لكافت العام والخاص ونشر مكاتباته لكافت الجهاة ليس ترك واحد من رؤس القبايل أو المشايخ إلا أرسل له مكاتبه ويحرضه على جهاد الترك الكفار، ولا يدفعوا طُلبه إلى أي إنسان بل يأمرهم بالهجرة إليه في جزيرة أبا لأجل إقامة الدين والسنة.

بجنوب سنجة، وسنار، وجنوب الجزيرة، ويتقاسمون المرعى مع قبائل رفاعة، ويسكن بعضهم كردفان في منطقة الدبيبات. هـ.أ. ماكمايكل، 1967م، ص 167-171.

(1) هو أحمد عمر المكاشفي، بايع المهدي في قدير وأصبح من أمراء المهدية، وهاجم الأتراك في شات، والدويم، ومرابيع، ود اللبيح، وعبود، وحارب في شيكان، واستشهد في غندار بالحبشة عندما كان محارباً في جيش حمدان أبوعنجة في عهد الخليفة عبد الله التعايشي. واستشهد أخوه عامر عمر المكاشفي في سنار قرب جبل سقدي وهو يهاجم جنود الأتراك بقيادة صالح الملك عام 1883. عون الشريف قاسم، 1996م، جـ 6، ص 2365.

(2) تعبير شائع في أوساط النساء ويستخدم لعكس مشاعر السرور والفرح.

وأخيراً بلغ أمره الحكمدارية بالخرطوم وأنه قتل أهل الجرادة[1] والترك الذي بها وكافت أهلها. ورءوف باشا أرسل له أبو السعود[2] ومعه جماعة لأجل اكتشاف أمره. عند وصوله أرسل له ناسات يأمر المهدي بالحضور عنده، قتل فيهم من قتل وهربوا الباقين وإلى أبو السعود شاردين رحلوا منه [27] بخوف شديد ودخلوا الوابور شاردين وإلى النجاة طالبين. ولما استفحل أمره واشتدت شوكته وفتك في الخلق بالقتل. ارسلت له الحكومة من الخرطوم يوسف بك حسن الشلالي بعساكر كتيره وأمرته الحكومة بحضوره. صار يخابر المهدي بالجوابات ويأمره بالحضور مع العلما لأجل وصوله إلى الحكومة: «إذا كان حقيقي أنك مهدي احضر لنا لأجل وصولك للحكومة لمقابلة العلما أهل الدين ليكون أمرك ثابت»[3]. ومن بعد وصول جوابات ولد الشلالي إلى المهدي كتب له هذا الرد: المنشور الآتي ذكره وهاك نصه.

(1) الجرادة قرية معروفة في منطقة جبال تقلي بكردفان. وكان يسكنها بعض فروع كنانة والنوبة. وتُعرف هذه واقعة الجرادة أيضاً بواقعة مختار نسبة إلى مختار مك جبل الجرادة. وقد حدثت في 24 أكتوبر 1881م. أي بعد واقعة أبا التي حدثت في 12 اغسطس 1881م. وواضح أن يوسف ميخائيل وقد أخطأ الظن عندما وضعها قبل واقعة أبا. لمزيد من التفصل انظر: نعوم شقير. 1981م. ص 340-343.

(2) هو محمد أبو السعود بله العقاد. مصري الأصل قدم إلى السودان تاجراً مع قريبه محمد أحمد العقاد صاحب شركة العقاد التي كانت لها أعمال واسعة في الاستوائية. ثم أصبح مديراً للشركة بعد وفاة صاحبها عام 1870م. دخل أبو السعود في صدام مع صموئيل بيكر. وغردون بسبب سياساتهما الرامية إلى محاربة تجارة الرقيق. وبعد أن تضررت أعماله التجارية في الجنوب انتقل إلى الخرطوم. وصار معاوناً للحكمدار في الشوؤن المالية. وبعد إعلان المهدية في أبا أُوكلت إليه مهمة مقابلة المهدي واقناعه عن تعديل رأيه إلا أنه فشل في مقارعته الحجة بالحجة. ومن ثم لجأ إلى استخدام القوة بيد أن محاولاته باءت بالفشل. ومُني جنوده بهزيمة نكراء على أيدي الأنصار. توفي عام 1881م ويقال إنه مات مسموماً. رتشارد هل. 1967م. ص 274-75.

(3) تطرق عبد الله علي إبراهيم لقضية الخصومة بين المهدي والعلماء في كتابه الموسوم بـ «الصراع بين المهدي والعلماء». الخرطوم: جامعة الخرطوم. 1966م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنتقم القهار والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الأخيار. من الفقير المعتصم بمولاه محمد المهدي بن السيد عبد الله إلى يوسف حسن الشلالي[1] ومن معه من الجموع.

أما بعد فإنه قد وصل إلينا جوابكم وما ذكرتم فيه من وقوفكم على مكاتبتنا وإنكاركم صار معلوماً لدينا وكنا أردنا أن نبين لكم غلطكم فيما ذكرتموه في جميع المواضع ونوضح لكم خطاكم فيما ادعيتموه بالبراهين السواطع.

فنقول: «أما قولكم إنا قتلنا العساكر غدراً في الواقعتين[2] قبل أن يحاربونا» فهذا كذب صريح لأنهم في الواقعتين ابتدوءنا بالمحاربة والضرب بالسلاح حتى حاربناهم وقتلناهم.

وقولكم: «إنَّ الحكومة أرسلتهم ليقفوا على ما عندنا من الأدلة» باطل أيضاً ضرورة لأن الحكومة لو أرادت المراجعة والاطلاع على ما عندنا من البراهين لأرسلت الصلحاء والعلماء أهل المذاكرة والدراية بهذا الشأن، ولم ترسل العساكر الأغبياء، وتعطيهم الأسلحة.

وقولكم :إنا قتلنا جملة من المسلمين المتوطنين بهذا المكان ظلماً وعدواناً» باطل أيضاً لأنا ما قتلنا إلا أهل الجرادة بعد أن كذبونا وحاربونا. وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم وأخبر جميع أهل الكشف بأن من شك في مهديتنا وأنكر وخالف فهو كافر، ودمه هدر، وماله غنيمة، فحاربناهم لأجل ذلك وقتلناهم وبعد ذلك لما انقاد باقيهم

(1) هو يوسف حسن الشلالي، أصله كنزي من مواليد مدينة الخرطوم. لمع اسمه عندما كان يعمل مع حسين باشا في بحر الغزال. وبعد دحره لقوات سليمان الزبير باشا رُقي الشلالي إلى رتبة لواء تقديراً لخدماته. وقاد الحملة الثانية على المهدي بهدف القضاء على المهدية في كردفان واستئصالها من القواعد. وصحبه في هذا الشأن جيش كثيف من أعيان السودان إلا أنه قُتل وشُتت شمل جيشه على أيدي أنصار المهدي. رتشارد هل، 1967م، ص 386.

(2) يقصد بالواقعتين واقعة أبا، وواقعة راشد أيمن بالقرب من جبل قدير.

لحكمنا رجعنا لهم جميع أمتعتهم التي بأيدي أصحابنا رفقاً بهم مع أنهم حلال لنا.

وقولكم: «إنَّ الذين قتلناهم من العساكر مسلمون متبعون ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ونسأل عن دمائهم بين يدي الله تعالى باطل، لأن القطب الدرديري قد نص في باب المحاربة [28] على أن أمراء مصر وجميع عساكرهم وأتباعهم محاربون لأجل أخذ أموال المسلمين منهم كُرْهاً فيجوز قتلهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ [أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ]﴾[1]. على أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا صريحاً بقتال الترك وأخبرنا بأنهم كفار لمخالفتهم لأمر الرسول بأتباعنا وأرادتهم لإطفاء نور الله تعالى الذي أراد به اظهار عدله، فكيف نسأل عنهم بعد هذا. وأيضا قد شاهد جمع من الإخوان التهاب النار في أعضا الكفار العساكر المقتولين جهاراً تعجيلاً لعقوبتهم وإظهاراً لحقيقتهم.

وقولكم: «أنكم قبضتم الأربعة أنفار الطليعة[2] وأذيتوهم»، فاعملوا أنه قد أوذى قبلهم أصحاب الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام بالسجن والضرب والقتل وجميع أنواع الأذى كبلال وخبيب وأمثالهم، فليس لهم إلا الثواب ولا بد أن يجازيكم الله على ما صنعتم بهم.

وقولكم: «أن الطليعة تنافي المهدية لأن المهدي ضرورة يعلم الغيب»، جهل منكم بسيرة الرسول فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرسل الطلايع كحذيفة اليماني والزبير بن العوام وغيرهم ولم يناف ذلك رسالته فكيف ينافي مهديتنا. وقد قال الله لنبيه

---

(1) سورة المائدة، آية 33.

(2) الطليعة إشارة إلى الأربعة الأفراد الذين قتلهم الشلالي، وهم: إدريس محمد الجعلي، واللحوي الجهيني، والدودو الرزيقاتي، ومنضلاوي الحازمي، وكان معهم اثنان هما: إبراهيم الضاوي، وأحمد الطليعة، وقد هربا بعد أن قبض على زملائهما. وكان المهدي قد أرسلهم ليوافوه باخبار الشلالي فقصدوا جبال فنقر، ولكن الملك تيفرا مك تلك المنطقة قبض علي الأربعة المذكورين، وسلمهم لجيش الشلالي. لمزيد من التفصيل انظر :على المهدي، جهاد في سبيل الله (إعداد: عبد الله محمد أحمد، الخرطوم، المطبعة الحكومية، د.ن، ص 30-43.

صلى الله عليه وسلم: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ ...﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿...فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّهِ﴾ [2] هو يعلمه لا غيره إلا أن يريد الله اطلاعه في [بعض] الأحيان لحكمة يعلمها هو.

وقولكم: «ما أتبعنا إلا البقارة الجهلاء الذين كانوا يعبدون الحجر والشجر، وأما العلماء الأغنياء وأهل القوة والترف فلم يتبعوهم إلا بعد أن يخربوا ديارهم، ويقتلوا أشرافهم ويملكوهم بالقهر. قال تعالى حاكياً عن قوم نوح: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ ...﴾[3]. وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[4]. ولما بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كانت مداين اليهود والنصارى مشحونة بالأحبار والرهبان والأغنياء والملوك أهل الطغيان وكانوا يتمنون إدراك زمنه ويستعزون به فلما ظهر أنكروا وجحدوا [29] نبوته. وقالوا: «ما أتبعه إلا أجلاف الأعراب عراة الأجساد وجياع الأكباد». واستكبروا عن اتباعه وكفروا به مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم [يعلمون] أنه الحق من ربهم ولم ينفعهم علمهم ولا غناءهم بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ولم يبق لهم ملكهم الذي منعهم من أتباع الحق إلا أيام قليلة حتى فرقهم الله وشتت شملهم وجعلهم لضعفاء الأعراب الذين كانوا يستهزئون بهم. وكذلك نرجوا من الله أن تكونوا أنتم ومن وراكم غنيمة للبقارة الجهلاء الذين تستهزون بهم. قال تعالى موبخاً على أهل الكتاب: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ... ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [6]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ

(1) سورة الأنعام، الآية 50.
(2) سورة يونس، الآية 20.
(3) سورة هود، الآية 27.
(4) سورة سبأ، الآية 34-35.
(5) سورة آل عمران، الآية 19.
(6) سورة البينة، الآية 4.

هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾[1]. فمثال العلماء والصلحاء الذين أنكروا مهديتنا وخالفونا كأمثال أحبار بني إسرائيل، ورهبانهم الذين أضلهم الله على علم.

وقولكم: «قم واحضر عندنا لنتوجه إلى محل الهدى مكة المشرفة»، فاعلموا أن توجهنا إنما يكون بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي يريده هو، ولسنا تحت أمركم، بل أنتم ومن فوقكم تحت أمرنا، وأنا ولي الأمر في هذا الآن على سائر الإنس والجان، وإن خالفتم أمرنا في هذه الأيام فلا بد أن تقعوا في قبضتنا وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[2].

وقولكم أرسل لنا ملكاً من الملايكة جهل كما قال تعالى موبخاً على كفار قريش: ﴿وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ﴾[3]. وقد أخبر تعالى بأنهم لا تنفعهم الآيات ولا بد لهم على الإيمان ظهور المعجزات قال جل وعلا : ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[4]. وقال تعالى : ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاء فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ × لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ[5]﴾.

فالآيات لا تنفع المنكر الجاحد وإظهارها إنما يكون بإرادته تعالى لا بتمنى العباد وليس علينا إلا التبليغ والإنذار كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[6]. وقال تعالى: ﴿... قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ

(1) سورة الجاثية، الآية 23.
(2) سورة الشعراء، الآية 227.
(3) سورة الأنعام، الآية 8.
(4) سورة الأنعام الآية 7.
(5) سورة الحجر، الآيات 14-15.
(6) سورة الرعد، الآية 7.

...﴾[1]. ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[2]. فلذلك نحن ليس علينا إلا التبليغ ولا [30] نطلب من الله إظهار آية على مهديتنا بل نقف معه على حد أدبنا وعبوديتنا فإن [شاء] أظهر آية كما أظهر لكثير من المحبين نقش اسمنا على بيض الدجاج، وورق الأشجار حتى صار لهم ذلك سبباً في اليقين مع أنا لا نطلب من الله ذلك، ولم نتشوف إلى ما هنالك، وإلى الآن نكون إن شاء الله كذلك[3].

وقولكم أن لا تغتروا بنواي ولا إسماعيل الأمين جهل منكم بأمرنا لأنا لا نعتمد إلا على الله ولا نستنصر بغير الله. وقد صرح لنا النبي صلى الله عليه وسلم في حضرات كثيرة بأن الله ناظرنا وناصرنا وأقسم على ذلك ثلاثة وإذا كانت نصرتنا بالله فلا نبالي بمدافعكم وصواريخكم وكثرة جيوشكم ولو بلغتم عدد الرمل لأنه لن يغلب الله شيء وهو غالب على كل شيء قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ﴾[4] وقال تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[6]، وقال موبخاً على أمثالكم السابقين: ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[7]. وقد ذكرتم أنكم كاتبتمونا لأن الخديوي الأعظم قال لكم لا يحاربوه حتى يتعدى الحدود، فاعلموا أنه ما أخركم عنا إلا الخوف الشديد والجزع ليس عليه من مزيد. لأننا من حين كنا بجزيرة أبا تعدينا حدودكم وخالفنا مقصودكم فكيف تخاطبونا بمثل هذا

(1) سورة الأنعام الآية 109.

(2) سورة النور، الآية 54؛ سورة العنكبوت، الآية 18.

(3) حسب رأي أبي سليم أن المهدي قد عالج علامات المهدية باسهاب في حضرة التنصيب، ومنشور الدعوة. وخلاصة رأيه أن المهدية لا يكون لها زمان معين أو مكان خاص تظهر فيه، وأنها لا تكون بأوصاف مقننة، لأن الأخذ بهذه العلامات يعني تقيد قدرة الله سبحانه وتعالى. وقد استأنس في هذه القضية برأي محيي الدين بن عربي، وأحمد بن إدريس. ونلحظ أيضاً أن المهدي قد حاول أن يوفِّق بين واقع الحال الذي يشهده السودان إبان اندلاع الثورة المهدية، والأدبيات المتداولة بشأن ظهور المهدي المنتظر في السودان. انظر أبا سليم، 1990م، جـ 1، ص127.

(4) سورة آل عمران، الآية 160.

(5) سورة آل عمران، الآية 111.

(6) سورة البقرة، الآية 249.

(7) سورة الأنفال، الآية 19.

القول الذي لا ينشأ إلا من ضعفاء العقول، فسارعوا إلى محاربتنا لتأخذوا (مناصبكم) التي غركم بها الشيطان، ولا تجنبوا وتحرصوا أو تتحيلوا إن كنتم كما زعمتم رجالاً أبطالاً أهل دراية بالحرب فإنه ليس بيننا وبينكم إلا السيف. ولسنا محتاجين إلى مراجعتكم حتى نرسل لكم العلماء ليذاكروكم ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[1].

والحذر ثم الحذر من المجاوبة تاني مرة فإنا لا نرد لكم جوابا ولو جاوبتمونا[2] طول السنين ما دمتم منكرين، فليس لكم عندنا إلا الرمح الطعان، والسيوف السنان، وليكم معلوماً عندكم أني من نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبي حسني من جهة أبيه وأمه، وأمي [31] كذلك من جهة أمها وأبوها عباسي، والعلم لله إنَّ لي نسبة إلى الحسين رضي الله عنه. وفيما ذكرته كفاية لأهل العناية والسلام على من اتبع الهدى. في 4 رجب سنة 1299هـ[3].

(1) سورة الكهف، الآية: 29.
(2) المخطوط: اوبتونا.
(3) الموافق: (22/مايو/1882م)



الفصل الثالث

الثورة المهدية في كردفـــــــــــان





وأن بعد ذلك توجه [المهدي] إلى جبل ماسه[1] وقدير وتكاثرة عنده العربان، وأما من جهة مديرية كوردفان وكافت الأقسام[2] التابعة لها وعموم حدودها شرقاً وغرباً هاجت[3] العربان، وقاموا على حكامهم بالجهات على ساق وقدم، والعاقل من مستخدمين الحكومة جمع أطرافه وعساكره وأموال الحكومة المتحصلة بيده وحضر بها لمركز المديرية، والذي تأخر قتلوا منه العساكر ونهبت منه الأموال، وكثر من صار قتيل من عسكري إلى مأمور والصراف، وما نجا منهم إلا من له عمر طويل، ومن الضمن أخينا جورجيوس أفندي مخاييل، وأخيه مليكه والمأمور علي أفندي عبده، عندما بلغهم الخبر الأكيد جمعوا العساكر حالاً، وكان ذاك وقتها شيخ الغديات عموماً الشيخ إلياس علي كنونه، كونه أخيه الشيخ أحمد صار رفته بأمر الحكومة. وأما الصراف والمأمور عندهم محبة زيادة مع الشيخ إلياس كنونه، وفيما كان منه المذكور حضر عند جورجيوس وقال له: «ياخي نحن إخوان ولنا محبة مع بعضنا، وإنَّ خبر هذا الرجل طلع وكافت العربان والمشايخ صارت نافرة عن دفع الطُلبه، ومع ذلك أنا عندي جواب سري من المهدي يُذكِّر فيه بالحضور عنده في جبل قدير أو نقابلوا في حجيرات[4] الليون. ومن حيث إنك جمعت العساكر أحسن شي تسافر من بدري بأموال الحكومة خيفة[5] من تأخيركم، لربما يحضر أخينا أحمد كنونه، وينهب منكم أموال الحكومة». فشكره عليذلك وقال له: «كتر خيرك يالشيخ إلياس حقيقي أنت صديقي الوحيد، كونه أكلنا مع بعضنا

(1) هو جبل ماسه الذي يوجد بالقرب من جبل قدير. ويقع على بُعد 160 ميلًا جنوب الأبيض. هاجر إليه المهدي من الجزيرة أبا لأن الهجرة إليه تؤكد صحة الدعوة المهدية. وذلك وفق ما جاء في أدبيات التراث الإسلامي المرتبط بفكرة المهدي المنتظر.

(2) المخطوط: الأقاسم.

(3) المخطوط: حاجت.

(4) المخطوط: حجيارات.

(5) المخطوط: خفتا. تكرر هذا الخطأ في أكثر من موقع.

العيش والملح، وأنا عملت حسابي من بدري الوقت، وعَرَّفت حضرة المأمور يجمع العساكر من بدري الوقت قبل ما يستفحل الأمر كونه عندي خبر بذلك، وباكر يكون قيامنا للمديرية، وليس عندنا حساب مع[1] أي إنسان بخلاف الشيخ أحمد كنونه». وقد سافروا من عند الشيخ إلياس من حلة الدويمه، وجدُّوا في السير.

وأما ما كان من أمر الشيخ أحمد كنونه كان مقيم في حلته بالقرب للرهد وجمع عربانه سلاحه الذين بالحلال وقال لهم: «لنتوجه إلى حلة الدويمة [32] لأجل قتل العساكر والمأمور ونأخذوا الأموال المتحصلة عندهم، وأما جورجيوس لا أحداً منكم يمد يده عليه كونه الرجل أصلح بلادنا بعد وفاة والدنا، وأنا كنت شيخ البلاد، إنَّ هذا الرجل صديقنا لا تمسوه بأي شي». وبعد ما استعد برجاله وسلاحه حضر في الدويمة عند أخيه الشيخ إلياس، وسأل[2] أخيه عن حقيقت المأمور والصراف قال له: «توجهوا للمديرية من الصبح بدري». فما كان منه اقتفا اترهم بخيوله وعربانه معه وجدا في السير، وقال لجماعته: «إنَّ هذا الأمر من تدبير جورجيوس جدوا بنا في المسير». عندما دخلوا حلة القرعان قابلهم شيخ الحلة وقال: «السلام عليك يا مناجل» قال: «وعليك السلام. المأمور والصراف توجهوا منك متى؟» قال له: «ليس نـزلوا بل نشوفهم جادين السير». وما زال ماشي وراهم لغاية جبل ود البقا ليس حصلهم، وانقطع أمله وخاب رجاه. عرف أنهم جدوا في المسير وقال لجماعته: «ضروري يكون وصلوا المُلبس[3] عند الشيخ حسين عواض». والمذكور أخذ راحته ورجع لحال سبيله. وأما ما كان من المأمور وجورجيوس بعدما وصلوا المُلبس أخذوا راحتهم مع العساكر والجمال. وبعد أخذ الراحة قاموا للسفر فصارت العساكر تقول: «يا جورجيوس أفندي ننام في المُلبس وباكر ندخل المديرية. نحن حصل لنا التعب الشديد». قال لهم: «أن أموال الحكومة في عُهدتي وأنا مسئول عنها،

(1) المخطوط: من.

(2) المخطوط: سئل.

(3) المُلبس قرية صغيرة في وسط كردفان، وتقع جنوب شرق الأبيض، ويقطنها مجموعة من المحس، والمولدين، والبديرية، وفي العهد الإنجليزي المصري أصبحت واحدة من العموديات التابعة لنظارة البديرية.

وإذا كان ما عملت هذا الأمر من بدري كان يقتلوكم عن بكرة أبيكم، لا يطلع منا أحد لا مأمور ولا صراف[1] ولا عسكري. نعم المُلبس محل أمان إنما أنا لا نأمن من مكر أحمد كنونه». وهما في الكلام ومثله حتى حضر عندهم رجل كان بدار الغديات والمذكور ليس له خبر بهذا ولا ذاك، بل نـزل عند الشيخ حسين عواض، ونظر الشيخ أحمد كنونه في جبل ود البقا وسمعهم يقولو: «إنَّ الترك فاتوا منا بالأموال، نرجع إلى بلدنا بعد ذلك ليس في فايده. «وعندما تحقق لهم الأمر برجوع الشيخ أحمد كنونه إلى داره فما كان من [33] المأمور وجورجيوس لما نظروا العساكر تعبانين من شدة المشي على أرجلهم تأخروا عن السفر، وجمعوا العساكر والجاويش علي أبو علفه وقالوا له: «لا أحداً يخرج من النقطة ويدخل في الحلة بل تكونوا محل واحد وأحرسوا مال الحكومة وأحفظوا دماكم خفتاً من هجوم أي، إنسان كما نظرتم وسمعتوا بما هو حاصل من العربان». وقد جمعوا كافت العساكر وصاروا محل واحد حوالي الخزنه والمأمور والصراف وكافت ما عندهم، والشيخ حسين عواض شيخ المُلبس رجل طيب من أبناء الريف أحضر لهم واحد تور بقر ضيافة صاروا يشوا اللحم على النار ويأكلوا فيه، ورتبوا القفر[2] وصار نومهم نوم الخايف حتى أصبح الله بالصبح.

شدوا رحالهم وجمعوا أطرافهم وحضروا للمديرية بأموال الحكومة وعساكرها على مايرام، وقابلوا سعادة المدير محمد سعيد باشا فشكرهم[3] على هذا الأمر، وصار مسرور جداً. وسأل جورجيوس لوحده مخصوص وقال له: «أنا واثق بك من هذا التدبير، عرفني عن حقيقت الحال بما حصل في جيهتكم من حالة البلاد». وشرح له حقيقت الأمر بما حصل من أولاد علي كنونه، وعرفه إن كافت العربان متحركة على شن الغارات وجهاد الترك، حتى وأنه سمع واحد شيخ من مشايخ العربان اسمه كباشي غبك يقول: «والله كان قتلنا الترك إلا نمسك مليكه ونعمله لّي حمار». كونه مليكه كان طبعه حار جداً عندما

(1) المخطوط: صارف.

(2) أي الخفر. القفر أو الغفر هي عامية سودانية.

(3) المخطوط: فشكركم.

يوجد واحد شيخ حضر عند جورجيوس وسمع منه كلام فارغ ما عنده إلا الصوط على رأسه. فلما تكلم ذلك الشيخ كباشي بهذا الكلمة سمعه جورجيوس قال له: «يا كباشي أحسن أنا أكون لك حماراً، عند ذلك حصل له الخجل وضحك قال: «يا جورجيوس أفندي أنا نمزح لا يكون عندك زعل، لا كن نعطيك الحقيقة على شأن أنت راجل طيب وعندك وسع البال، ليس كمثل أخيك مليكه. إن كافت العربان بلغها خبر المهدي في جبل قدير وعنده خلق كتير ما يعلم بهم إلا الله، وأنا نشوفك تجمع في العساكر من كافت المشايخ أظن بلغك خبر هذا الرجل؟ والله عملت طيب وربنا يستر! أحسن سفركم للمديرية لأجل أولادكم وهذا نصـ [يـ]حة مني لك يا أفندي». وقد أخبر سعادة المدير بكل شيء حصل لهم بدار الغديات فشكره سعادة المدير بحضوره من بدري الوقت.

[34] وعندما هاجت[1] العربان، وقامت الأرض بما فيها من شن الغارة وبلغ الخبر الأكيد لسعادة المدير أن المهدي حاضر لمديرية كوردفان، أرسل تلغراف لحكمدارية الخرطوم وعرفهم بذلك الدرويش الذي ادعى أنه المهدي. عند ذلك عين سعادة المدير أورطه[2] من العساكر وعليها كافت ظباطها، واتنين صناجك باشبزق أوردي يوسف أغا أندم تركي، وجول محمد أغا، معهم عساكر الشايقية والجموعية[3]، وأردي ابن الملك محمود جمعه شايقية، وطه أبوصدر. ومن الضمن أحمد بك دفع الله عين أخيه الحاج عبد الله بكافت رجاله وسلاحه البالغ قدره تلتماية مجاهد شايل بندقية، وعنده النحاس وأم بايا والزمر والقرن والناي[4] جميع آلة الحرب تضرب قدامه، وجميع ذلك من جيبهم الخاص مساعدة للحكومة. وأيضاً عبد الهادي أغا وأخيه محمد أغا حضروا بكافت

(1) المخطوط: هاجة.

(2) أورطة كلمة تركية تعني فرقة عسكرية قوامها ألف رجل. وفي إحيان كثيرة تطلق على أية مجموعة من الجنود.

(3) الجموعية فرع من الجعليين ينسبون إلى جَمُّوع بن غانم الجعلي ومقرهم غرب النيل بولاية الخرطوم. وتمتد دار الجموعية من قوز نفيسة بجوار خانق السبلوقة شمالاً حتي المنطقة المقابلة لجبل الأولياء غرب النيل الأبيض. وهي أيضاً من القبائل التي اختلط أفرادها بالقبائل المجاورة. وهاجر رهط منهم واستقر في بعض المدن التجارية مثل الأبيض والنهود في كردفان. لمزيد من التفصيل انظر: عون الشريف قاسم، 1996، جـ 1، ص 495-498.

(4) أم بايا والمزمر والقرن والناي هي عبارة عن مزامير لها اصوات ميزة تضرب في حالة الإعلان للحرب، وعند تقديم العروض العسكرية.

رجالهم وسلاحهم متطوعين للحكومة. وصارت جرده[1] كبيرة إلى جبل قدير، وطلعت الجيوش الجرارة طابور واحد أمام المديرية، وركبت الفرسان على ظهور الخيول الصافنات، وضربت آلة الحرب من الطبول إلى المزيقى[2] والمزمار، وصهلت الخيول ولعبت الفرسان على ظهورها، واجتمعت كافت أهل المدينة من الكبير وإلى الصغير، والنسا صارت تزغرد[3]. وقد حضر الحاج عبد الله دفع الله بعساكره أمام المديرية والنحاس يضربوا أم بايا والزمر يزعقو، وفي حال مرورهم نحاس ولد دفع الله انقطع الحبل ووقع على الأرض، عندما نظر أحمد بك دفع الله نحاس أخيه وقع من الجمل حصل له زعل شديد، وتوجه بحصانه أمامهم واقف الجيش، وأرسل أحضر واحد تور من البقر وذبحوا أمام الجمل وأصلحوا النحاس وخطوا على دم التور، حتى أنهم مشوا مع الجرده الكبيره التي ليس لها نظير من كل فارس نبيل.

وعموم أهل مديرية كوردفان وقوف من نسا ورجال وصبيان وأطفال لأجل الفرجة وتوديع المسافرين من الرجال إلى النسا، وكافت الشباب البعض يزغرتوا والبعض يبكوا على فراق رجالهم، وعندما نظروا نحاس ولد دفع الله وقع على الأرض تفاءلو[4] بالفأل السوء من يقول: «إن هذا الجردة تقتل»، ومن يقول: «حاج عبد الله يموت». وقد صار هذا الجيش العظيم خارج البلد بكافت الفرسان وعندما وقفوا شرقي المديرية صباح السوق الكبير. عند [35] ذلك لعبت الفرسان في هذا الميدان يودعوا الأهل والأوطان وداع المفارق الذي ليس له أمل في الحيا [ة]، بل جعلوا وداع الفراق الذي ليس له تلاق كونه هذه الجردة فيها كل رجل أصيل وفارس نبيل من أعز القبايل وفرسان مدخرين ليوم الشدائد، وبكت عليهم الرجال والنسا وأودعـ [و]هم الله وتوجهوا على بركة الله تعالى.

(1) الجرده هي الحملة العسكرية. وقد استعلمت بكثرة في أدبيات المهدية. وأصلها جريدة ويقصد بها الجنود الخيالة غير المشاة أي الذين يمتطون صهوات خيولهم.
(2) المزيقى أو المزيقة يقصدها بها الموسيقى. وهي كلمة لاتينية عُربت.
(3) المخطوط: تزغرط.
(4) المخطوط: تفولو.

ومن بعد ما سافرت هذه الجردة العظيمة خلت كوردفان لعموم العربان لأجل شن الغارات من كافت الجهات على حلال المديرية المجاورة[1] لها. عند ذلك نظر أخونا الأكبر قال لأخيه مليكه: «لا بد أن يكون في حصار في البلد، من بدري الوقت نشتري لنا عيوش وندخرها، من يعلم بحال الزمن!» وصاروا هما الاتنين يشتروا الغلال من حلال كوردفان من جبل أبو سنون ومن حلال الخور لمدة أربعة يوم. أخذوا الغلال وحضروا به، وفي ناسات كتيره أيضاً توجهوا لأخذ الغلال، وقد هجمت عليهم العربان في جبل أبو سنون وقطعوا على الناس الطريق وقتلوا محمود ولد الصابر من أولاد المغاربة[2]. وصارت العربان تغير على مواشي كوردفان.

وأما من خصوص الجرده، بعد سفرها من المدينة صارت الناس من الرجال والنسا يقولوا :»الجردة الزاد طار دخان والمويه نشفت في القرب والمهدي مسك لهم سر السلاح!» وهما مسافرين والناس في القال والقيل إلى أن الجرده وصلت إلى جبل قدير، وليس أخذوا راحتهم ولا رتبوا قلعاتهم[3] بل هما في شدت تعبهم هجم عليهم المهدي بجنوده بدون تمهيل وهما عطاش من بعد الطريق ليس ترك منهم واحد يبل الرقيق[4] بل غطاهم بالجيوش الجرارة وقتلهم أشنع قتله ليس خرج منهم إلا من له عمر طويل من العساكر. وأما كافت أهل الوظايف والفرسان الذين عليهم المدار قتلهم عن بكرت أبيهم، وأخذوا خيولهم وأموالهم وأسلابهم غنيمة، من الضمن الخليفة عبد الله[5] أخذ

(1) المخطوط: المجوارة.

(2) المخطوط: المغرابة. المغاربة هي نسبة إلى جماعات وفدت إلى السودان قديماً من المغرب الأقصى، وتفرق أفرادها على عدد من المدن التجارية في السودان، من ضمنها مدينة الأبيض في كردفان.

(3) المخطوط: قلعهم. مفردها قلعة أي المكان المرتفع عن الأرض، وتجمع على قلعات.

(4) المخطوط: الريق.

(5) هو عبد الله بن محمد تورشين بن علي الكرار (1846-1899م). من قبيلة التعايشة المعروفة بغرب السودان، التقى بمحمد أحمد بن عبد الله (المهدي) عند تشييد قُبّة الشيخ القرشي ود الزين في وسط الجزيرة. وبعد إعلان الثورة المهدية أيد المهدي فكرياً، ولعب دوراً رائداً في مناصرته سياسياً وعسكرياً. وتقديراً لجهوده في هذا المضمار لقبه المهدي بخليفة أبي بكر الصديق وعقد له لواء الراية الزرقاء التي كانت تعتبر أكبر ألوية الجيش المهدوي. وبعد وفاة الإمام المهدي في يونيو 1885م بُويع عبد الله خلفاً لمؤسس الدولة المهدية، ولُقب بخليفة المهدي، واشتهر بالخليفة عبدالله التعايشي. عارضت حكمه القبائل النيلية (أولاد البحر) فقرب أهل عصبيته إليه، وبواسطتهم حكم البلاد

حصان ولد دفع الله والنحاس وأم بايا، وليس تركوا شي. وصار المهدي بعد قتل هذا الجردة [36] العظيمة فرح المهدي وزاد فرحه وسروره بقتل هذا القوة العظيمة التي ليس لها مثيل، كونه أول جردة كبيرة. وقويت عزيمته ورغبت الناس فيه. قال لهم :»إن هذا أول كرامة».

وعندما سافرت الجردة المذكورة حالاً محمد سعيد باشا قام على تقوية المراكز وحفر القيقر[1]. جعل على الطيارة محمد أفندي الشايقي، ومعه العساكر من الجهادية إلى الشايقية، وعين سرور أغا الصاغ على باره وأرسل معه العساكر الجهادية الشايقية. وصار مجتهد في أمر القيقر أول أراد عمله كافت المدينة وأمر فعلاً بالعمل فيه، وتعين لذلك اسكندر بك القايمقام. وهما في أثنا الحفر سمع الناس يقولو: «نحفر تربتنا بيدنا!» عند ذلك أوقف العمل وحضر لسعادة المدير وأعطاه هذا الخبر قال له سعادته: «تدبروا الأمر في عمل القيقر توافقوا على عمله يكون على قدر سكان المديرية». وقد كان صار العمل فيه حصن منيع.

ومن بعد وصول سرور أغا إلى باره وجد أغلب أهلها طلعت من البلد ورغب في زيادة عساكر. وسعادة المدير عين له بلوك وأرسل إلى جورجيوس حضر عند سعادته وأمره بالسفر إلى باره لأجل مساعدة سرور أغا. قال له:»يا سعادة المدير في هذا الوقت ليس أطيق السفر عايلتنا كبيره وأخينا صغيراً». قال له: «اتركهم لله وسافر على بركة الله، وساعد سرور أغا في عمل القيقر، وأنا واثق بك لأجل ذلك طلبتك». فقد قبل بالسفر وأخذ أخيه مليكه كونه ليس يتفرقوا عن بعضهم في السفر يوم واحد. سافروا مع البلك[2]، وأنا فضلت مع عموم العايلة وذاك وقتها أنا نحمل السلاح، وكان حصل

بيد من حديد إلى أن سقطت دولته عام 1898م أمام الجيش الإنجليزي-المصري الغازي. وعلى الرغم من مرارة الهزيمة في واقعة أمدرمان (كرري) ظل الخليفة عبد الله حاملاً راية الجهاد إلى أن استشهد مع نفر من أهل بطانته في معركة أم دبيكرات عام 1899م. عون الشريف قاسم، 1996م، جـ 2، ص 774-780.

(1) القيقر هو الحصن أو الخندق او الاستحكام العسكري.

(2) البُلُك كلمة تركية تطلق على الفرقة العسكرية.

عندي فكك الصدر وأنا ابن اتنين عشر سنة، ولما سافروا إخواني بلغت سن الستة عشر سنة. وكانت المديرية عامره بسكانها من الخواجات وتجار أولاد بلد من الجعليين، ودناقلة، ومحس[1]، وكافت القبايل، عند [ما] سمعوا بقتل جردة قدير أغلب الخواجات توجهوا للخرطوم وأيضاً الأغراب من أولاد البلد جميعهم سافروا إلى أهالـ [يـ]هم ونحن نظمنا القيقر [37] على أحسن ما يكون.

وأما محمد أحمد الدرويش صار يرسل إلى كافت الجهات وليس ترك محل خالي عن جواباته، ومن الضمن أرسل واحد اسمه عبد الرازق إلى عموم مشايخ دارحمر: إبراهيم بك المليح[2]، وحمد بك فتين[3]، وعبد الرحيم بك أبودقل[4]، لأجل ما يعطيهم البيعة عوضاً عنه بإذن الله، ويحرضهم على الجهاد في سبيل الله تعالى كونه قتل الجردة الكبيرة في قدير، ويقول لهم: «اقتلوا الترك الكفار أعدا الله ورسوله ولا تدفعوا الطُلبه». فقامت دار حمر على بكرة أبيها بالعداوة على الحكام. وكان بها نظيم أفندي البكباشي

(1) المحس مجموعة نوبية، انقسم أفرادها إلي مجموعتين، أحدهما تسكن شمال السودان الأقصى، ويحافظ أفرادها على لهجتهم النوبية، والثانية تقطن مناطق مختلفة مثل توتي، وبري، وشمبات، وحلفاية الملوك، والعيلفون، وكترانج، والكاملين، والملبس. إلا أن المنتمين لهذه المجموعة قد فقدوا لسانهم النوبي واختلطوا مع القبائل التي استضافتهم بين ظهرانيها.

(2) هو إبراهيم إسماعيل ود الحاج منعم المعروف بإبراهيم بك المليح، ناظر الحمر العساكرة في العهد التركي-المصري، ومن أوائل زعماء القبائل الذين ناصروا المهدية الولاء، وأسهموا في إشعال فتيل الثورة ضد الحكم التركي المصري في كردفان. وتقديراً لدوره الرائد في هذا الشأن عينه المهدي أميراً على الحمر العساكرة. إلا أنه اختلف مع الخليفة عبدالله التعايشي فكان مصيره التهميش والسجن. وبعد هزيمة الأنصار في كرري انضم إلي القوات الغازية واشترك في مطاردة الأمير عربي دفع الله، وفلول الأنصار المتقهقرين إلى دار سلا. توفي عام 1904م. رتشارد هل، 1967م، ص 174-175.

(3) هو حمد بك فتين، ناظر الحمر الدقاقيم في العهد التركي المصري، ومن أوائل زعماء القبائل الذين ناصروا المهدية ضد الحكم التركي المصري. ومن ثم عينه الإمام المهدي أميراً على الحمر الدقاقيم. وبعد سقوط المهدية أُعيد تعينه في ذات المنصب. توفي عام 1905م. رتشارد هل، 1967م، ص 149.

(4) هو عبدالرحيم بك سالم أبودقل من أعيان الحمر الغريسية، ناصب المهدية العداء في بادئ الأمر، ولكنه عندما رأي أن كفَّة المهدية هي الراجحة عدل موقفه، وأعلن ولاءه الصريح للإمام المهدي. ومن ثم عُين أميراً على الحمر الغريسية، واشترك في معظم معارك المهدية ضد الأحباش تحت إمرة حمدان أبوعنجة، ثم الزاكي طمل، وأخيراً أحمد فضيل. وبعد هزيمة الأنصار في كرري عام 1898م انضم إلى القوات الغازية وساهم في مطاردة الخليفة عبد الله التعايشي والقبض على الخليفة محمد شريف، وابني المهدي الفاضل والبشري في منطقة الفشاشوية. وبعد أن تمت سيطرة القوات الإنجليزية المصرية على كردفان عُين الشيخ عبد الرحيم سالم أبودقل ناظراً على الحَمَر الغريسية. وظل في منصبه إلى أن وافته المنية عام 1933م. رتشارد هل، 1967م، ص 15.

وإسكندر أفندي بطرس صراف عموم دار حمر. فما كان منهم المذكورين جمعوا العساكر التي بالقرب لهم وكافت أطرافهم وحضروا عند الشيخ عبد الرحيم أبو دقل في حلة الكرنوبة لأجل السفر إلى مديرية كوردفان. وهما في خيامهم وأموال الحكومة بيدهم وما يشعروا إلا العربان هجمت عليهم وأخذت أموال الحكومة منهم غصباً بدون رضاهم، ولا قدر واحد يمد يده على إنسان حتى بلغ الخبر الشيخ عبد الرحيم أبو دقل بما حصل من العربان، وركب على حصانه حالاً وأدرك نظيم أفندي والصراف والعساكر الموجودة معهم، ورفع العربان عنهم خفتاً من قتلهم بعد أخذ الأموال. ولولا الشيخ عبد الرحيم كان قتلوهم الجميع مع العساكر بل عند حضور أبو دقل تفرقت العربان وأخذوا الأموال. بعد ذلك الشيخ عبد الرحيم أحضر عبيده بالسلاح وأ [و]قفهم غفر على نظيم والصراف. وتاني يوم حضرت كافت الجلابة بدار حمر عند نظيم أفندي لأجل السفر، وجمعوا كافت أطرافهم كونهم كانوا متجولين لأجل البيع والشرا. وأما باقي العساكر الجهادية الذين بالبعد أخذوهم العربان رقيق والبعض منهم لما توقفوا قتلوهم. لما بلغ الخبر نظيم أفندي عزم على السفر بباقي العساكر الموجودة عنده، والجلابة التي حضرت له لأجل ما يكونوا يداً واحدة. وأعطا الشيخ عبد الرحيم الخبر لأجل السفر إلى المديرية فما كان من الشيخ عبد الرحيم حضر عند نظيم واسكندر وقال لهم: «لا أحداً منكم يسافر بدون حضوري لغاية ما نستعد بالسفر معكم حتى تصلوا محل الأمان مركز الحكومة سوى كان أبو حراز أو خلافه». وشكره عليذلك نظيم أفندي. قال عبد الرحيم: «من حيث أنكم في داري وبلادي وأنتم الحكام علينا نعمل بالواجب عليَّ، وبشرف الحكومة حسب وظيفتي». وأقسم بالله ثلاثة مرات وقال: [38] «يا نظيم أفندي، وإسكندر أفندي إذا كان حضرت خيل القدرة على شأن قتلكم أكون أنا أولكم نحارب كل من يحضر حتى تصلوا أولادكم». فقال له نظيم أفندي: «نشكرك يا شيخ عبد الرحيم على هذه النخوة العربية التي لا تصدر إلا من حر وفارس صميم». فما

كان من عبد الرحيم أبو دقل أحضر له داوية[1] موية جوز محمول على الجمل بخلاف القِرْب، وأيضاً استعدوا نظيم واسكندر وكافت الجلابة بالموية كونه الطريق عطيش والمويه مخزنة في التبلدي[2] ولا يقدر واحد يمد يده عليها خفتا من العربان.

استعدوا وقاموا للسفر على بركت الله وأمامهم الجميع الرجل الفارس الصنديد المشهور بالفروسية عند الخاص والعام يشهدوا له كافت الفرسان والعربان الشيخ عبد الرحيم. وأمر كافت الجلابة والعساكر يعملوا قلعه ويدخلو[3] فيها كافت الزوامل ويمشوا على أرجلهم. وقد كان ربعوا القلعة ومشوا حولها ويكون ذلك في الفضا لا يدخلوا الشجر خفتا من العدو، وعبد الرحيم أمام الجميع مع فرسانه من دار حمر لغاية هوبيص لا قدر أحد يمد يده عليهم ما دام أبو دقل معهم، ما عدا في عربان من الحوازمة راكبين على خيولهم[4] اعترضوا لهم في الطريق. الشيخ عبد الرحيم ضرب فيهم بالسلاح عن كل ما يحضر واحد يضرب حصانه يقتله، وبعد ذلك وقفوا عنه ناداه واحد عربي قال له: «كتاب الله جاك يا زول! من اسمك؟» قال له: «أنا عبد الرحيم أبو دقل!» قال له العربي: «فرخ حرام كسار الخيل[5]» كونه العربي عنده الحصان أحسن من ولده. آخر شي هربوا منه وراحوا لحال سبيلهم وعندما وصلوا هوبيص وجدوا العربان بكترة من كافت القبايل لأجل قتل أبو حراز من البديرية، وحمر، وبرقد[6]، وحوازمه، وجوامعه. عندما نظر عبد الرحيم قدام جيش الحكومة والجلابة وقفوا عند ذلك عبد الرحيم قال: «يا نظيم أفندي واسكندر لا يكون عندكم تأخير في المُشرع اسقو[7] زواملكم واطلعوا

(1) الداوية هي وعاء جلدي لحمل المياه وهي أشبه بالقربة.

(2) التبلدي شجر ضخم ينمو بكثرة في غرب السودان. وتستعمل جذوعه في حفظ المياه. وثماره يعرف بالقُنقُليس. ويُعَدُّ عصير القُنقُليس الممزوج بالماء والسكر من أفضل المشروبات السودانية.

(3) المخطوط: يايدخلو.

(4) المخطوط: خيلوهم.

(5) المخطوط: الخليل.

(6) البرقد هم قبيلة بدارفور. وتقع دارهم في شمال شرق نيالا. ومركزهم جبل موسكو بين حريرة وجبل مرة. ويدَّعون النسبة إلى بن هلال. وينقسمون إلى ستة عشر فرعاً. وتوجد منهم مجموعات في وسط كردفان. اشتهروا بمهنة الحدادة. عون الشريف قاسم، 1996م، جـ 1، ص 268-269.

(7) المخطوط: أزقو

بأسرع ما يكون». لما تقابل العربان المتجمعه توجه لهم عبد الرحيم وكنبال الشايقي[1]، العرب ضربت قلعه حوله وهو ماسك[2] بندقيته بيده وكنبال أيضا قالوا له: « أنت ماشي مع نظيم أفندي لا نقدر نمد يدنا على واحد منهم، غير أن لا يكون لك نـزول في أبو حراز [39] أنـزلوا خارج البلد، وتحلف لنا يمين وطلاق لا تعطي خبر إلى أهل أبو حراز». قال لهم : «نحلف لكم ذلك إلا المعلم خليل أخوه اسكندر أخيه يعطه الخبر سراً». وحضر منهم وطلع كافت الجلابة والعساكر من المُشرع عندما شربوا خرجوا حالاً. لما أبعد عنهم عرف نظيم واسكندر بجميع ما هو حصل من العربان وقصدهم قتل أبو حراز بدري في الصبح». وأمرهم يبعدوا عن أبو حراز وينـزلوا في الخلا، واسكندر إلى أخيه المعلم خليل سراً كاتب القسم ويعطه الخبر سراً لأجل ما يطلع مع إخوانه وأولاده بدون يأخذوا شي إلا الموية لأجل الحريم والأولاد، والمال فدا الأرواح. وعند ذلك توجه اسكندر إلى أخيه المعلم سراً وأخبروا بما حصل لهم في دار حمر ومعهم أبو دقل نـزلوا خارج البلد بالبُعد. وإن كافت العربان في مُشرع هوبيص تجمعوا لأجل قتل أبو حراز في الصبح. «وهل يا خليل ما عندكم خبر بقتل الجردة؟» قال لأخيه «عندنا الأخبار غير أن العساكر متفرقة في الجهات». عند ذلك أخذوا لهم مويه وطلعوا مع الحريم والأولاد وأخذوا زواملهم وتوجهوا لجهة نظيم أفندي، وذلك من سكان نظير حلف اليمين الذي حلفه الشيخ عبد الرحيم. وفي بعض الجيران نظروا المعلم خليل أخذ عايلته أولاد عمه وطلع بهم، البعض قال: «لربما مسافر لأهله كمثل السابق!». البعض قالو: «حضر عنده أخيه اسكندر من دار حمر والمعلم كاسر سراً». العاقل ما كذب أخذ أولاده وتشهل بالمويه ومن أخذ أولاده والمويه على كتفه وحصلوا محل نظيم أفندي، ووجدوا المعلم خليل هناك معه

(1) يرجح الرأي أن المؤلف يقصد بشير اغا كنبال، الذي خدم مع القوات المصرية في شرق السودان، وبعد انضمامه إلى المهدية أصبح يُعرف بالأمير بشير كنبال، وعمل مع الأمير عمر صالح بالرجاف، ثم عاد إلي أم درمان، إلا أن الخليفة عبد الله تشكك في نواياه السياسية وسجنه إلى أن أفرجت عنه القوات الغازية عام 1898م. وبعد سقوط المهدية مُنح رتبة قائمقام، واشترك في مطاردة فلول المهدية المتقهقرة في النيل الأبيض وكردفان، وفي الحملة التي أوفدت للقضاء على السلطان علي دينار في دارفور عام 1916م. محمد عبد الرحيم، محاضرة عن العروبة في السودان، ط 1، الخرطوم: المطبعة التجارية الجديدة، د.ن. ص 18.

(2) المخطوط:ماسك يعطه.

الشيخ عبد الرحيم، وأخذوا الخبر تمام رجع واحد منهم وأعطا الخبر لإخوانه. الصدَّق طلع ونجا من الموت والكَذَّب تأخر وخصوصاً الدناقلة كذبوا هذا الخبر.

وأما ما كان من عبد الرحيم أبو دقل بعد ما أخذوا راحة قليلة توجهوا مسافة كبيرة عن البندر وناموا فيها مع كافت من حضر عندهم. وعند طلوع الفجر هجمت العربان على أبو حراز وما تسمع إلا صوت العربان والخيول دخلت عليهم وقتلوا الرجال والنسا [40]، وكسرت الرجال من الموت، وكافت النسا كسروا بدون موية، وتركوا كافت ما عندهم من الأموال وخلافه، وصارت العربان مشغولة في نهب الأموال والرقيق والمواشي، وكافت الموجودات الكتيره من ما جميعه، وكأس الموت دار في الخلق كونه العربان ليس تركوا كبير ولا صغير إلا قتلوا من الرجال والنسا. وصارت الخلق تهرب من خارج البلد بدون مويه، ولا زاد وكسروا أشد كسره ليس لها نظير في كافت أرض كوردفان، كونه أبوحراز مركز كبير، وعامر بالسكان من كافت القبائل وخصوصاً الدناقله خلق كبير. وصارت الخلق في أشد العذاب، الشاطر خطف له مويه سوى كان على كتفه أو على حمار، وأما أغلب الخلق كسرت بدون مويه ولا زاد.

وأما الشيخ عبد الرحيم أبو دقل عندما صار بعيد عن أبو حراز مع جماعته أخذوا راحة كونه بلغه صوت الناس الكاسرين ترجَّل ووقف حتى حصلوا الشاردين من أهالي البلد وصارت تصيح الخلق: «يالشيخ عبد الرحيم أدركنا نـزل الموت والبلا برجالنا وأولادنا من العربان!». عندما سمع صوت النسوان أخذته النخوه العربية. عندما سمع الخلق تصيح: «يالشيخ عبد الرحيم أدركنا» أخذ صاحبه كنبال الشايقي وكافت رجاله من العبيد الفرسان الذي يعتمد عليهم في القتال، ورجع على أبو حراز بالقرب منه وصار يدافع في العربان لأجل خلاص الناس من بين أيدهم، وذلك بعد ما أمر نظيم أفندي يمشي بالعساكر أمام الخلق الشارده ويسرعوا في المشي خفتاً من الظمأ لأجل ما يدركوا مركز الحكومة، ويعطيهم الخبر لأجل النجده وأهالي البلد يقابلوا الشاردين

بالمويه. وعند وصولهم[1] أخذنا الخبر ليس فضل من أهل البلد لا كبير ولا صغير إلا أخذ مويه في القِرْب وقابلوا الناس لأجل شراب المويه[2] من الرجال والنسا والأطفال. وكان الحال حول من الأحوال ليس له نظير. قابلوهم أبعد من فوز الفكي [41] عثمان وولد البرد. ومن شدة العطش تجد الخلق مطروحة على الأرض وحصل لهم التعب من المشي والجري على الأقدام لغاية تاني يوم حتى وصلوا الباقي.

وحضر الشيخ عبد الرحيم أبو دقل مع جماعته وفرسانه أمام سعادة المدير وحضر[3] نظيم أفندي واسكندر أفندي الصراف وعرفوا سعادته بجميع ما حصل لهم من أول الأمر إلى آخره، وخراب أبو حراز وقتل من فيه، ونهب الأموال والرقيق والمواشي بعد قتل الأنفس من كبير وصغير لغاية الأطفال. ونظيم أفندي عرف سعادة المدير وقال له: «لسنا خلصنا أنفسنا نحن والعساكر من يد العربان إلا عليد هذا الرجل البطل سيد الفرسان صاحب النخوة العربية هو الذي خلصنا من كل بلية بماله ورجاله ليس نقدر عليه بجزا على غزير مودته!». فشكره سعادة المدير وقال له: «يا الشيخ عبد الرحيم إني أشكرك من صميم الفواد وحقيقة أنك من رجال الحكومة، وإن هذا الوظيفة صغيرة في حقك لما ظهر لنا منك على ها الصنيع». وأنـزله أحسن منـزله وزاد في إكرامه. وأما أهالي أبو حراز من كافت القبائل صارت تقدم الشكر إلى الشيخ عبد الرحيم المذكور. ومن شدة الظمأ الذي حصل بالخلق في الطريق والموت من وراهم صارت العربان تقول:

«الدنقلاوي لما العطش ضباه ××× لحم الجداد صبـا ××× والموت من ورا»

هذا ما كان في أبو حراز وأن الشيخ عبد الرحيم من بعد أخذ الراحة ما يشعر إلا إبراهيم بك المليح لما بلغه خبر حكاية العربان، وما حصل لنظيم أفندي والصراف، وأخذ أموال الحكومة، وقتل العساكر التي [كانت] موجودة معهم، ندم غاية الندم الشديد

(1) المخطوط: وصلوهم.
(2) المخطوط: شراب المياه.
(3) المخطوط: حضرت.

لعدم سمـ [ا]عه وحضوره من حلة أم بل محل إقامته ليس بلغه الخبر إلا من بعد سفر عبد الرحيم. قام حالاً، ومعه خيوله وبعضاً من فرسانه لأجل ما يدرك عبد الرحيم لمساعدته في وصول رجال الحكومة حتى قابلوا العربان الذين قتلوا أبو حراز وقالوا له: «متوجه وين يالشيخ إبراهيم؟ «. قال لهم للمديرية ليس قابلتوا عبد الرحيم؟» قالوا له: «قابلنا في هوبيص ومعه نظيم أفندي [42] والعساكر، والجلابة توجه بهم للمديرية». قال لهم: «ماهذا بأيديكم من الرقيق والمواشي؟» قالو: «ياشيخ العرب ظهر المهدي في قدير، وأمرنا بقتل الترك وقتلنا أبو حراز وأخذنا أموالهم غنيمة». تأكد له كلام عبد الرازق المرسول لهم من طرف المهدي. قال لهم :» أودعناكم الله» ووصل المديرية وقابل سعادة المدير وعرفه بجميع ما حصل واعتذر له في عدم حضوره عند نظيم أفندي كونه ليس له علم بذلك. وسعادة المدير طيَّب خاطره واجتمع مع عبد الرحيم أبو دقل، وكان النور عنقره[1] موجود بكردفان أيضاً المذكور اجتمع معهم، وبعد أيام قلائل عينهم سعادة [المدير] إلى قسم باره هما التلاته.

لما نظر سعادة المدير إلى هذه الحالة واجتمعت كافت البلاد من أطرافها جعل نظره على تمكين القيقر وباشره بنفسه. وقد حضر عنده أحمد بك دفع الله وقال له: «يا سعادة المدير حضرت الآن لأجل المفاكرة والمفاوضة مع سعادتكم في دخول الاستحكام، وأول من يدخل فيه أنا وكافت من معي، ونرغب من سعادتكم سكني الصراية[2] تعلق سعادتك البرانية[3] عن المديرية ومحلات سكن لإخوانا التابعين لنا». فشكره سعادة المدير على ذلك، وأذن له في الصراية حيث أنها خالية ومحلات لجماعته، وكل شي يريح أولاده. وبعدها قال له: «يا سعادة الباشا هل حضر عندك إلياس باشا أم برير

(1) هو النور محمد بك عنقرة من زعماء البديرية الذين انضموا إلى القوات التركية-المصرية. وفي بادئ أمره كان من أعوان الزبير باشا رحمة حيث عمل معه في جنوب السودان وأخيراً انتقل إلى دارفور. وعندما اندلعت الثورة المهدية في كردفان كان النور مشرفاً على إدارة باره ولكنه سلَّمها إلي الأنصار وانحاز إلى القوات المهدية. واشترك في كثير من حملات المهدية ضد الأتراك والأحباش. وبعد سقوط المهدية استقر بأم درمان حيث توفي عام 1920م. رتشارد هل، 1967م، ص 297.

(2) الصرايا يقصد بها المباني الحكومة أي مباني رئاسة مديرية كردفان في الأبيض.

(3) البرانية أي الخارجية. براني عكس جُواني. يقول أهل السودان الريال البراني أي المصنوع خارج السودان أو بلاد بَرّ.

لأجل المفاوضة معكم بدخوله الاستحكام؟ قال له: «يا أحمد بك إلياس ليس حضر عندي ولا يوم واحد». أجابه أحمد بك قال له: «يكون معلوم عندك وبشريف علمك إذا قالوا لك رجال الجعليين كام؟ هم اتنين: إلياس أم برير، وأحمد بك دفع الله. إذا كان نحن الاتنين دخلنا الاستحكام ليس يخرج واحد جعلي من يدنا، إنما إلياس باشا لا يقبل بدخوله الاستحكام كونه الرجل صاحب مكر ودها، وله اليد مع الدرويش محمد أحمد المدعي أنه المهدي، كونه كان ينـزل عنده [و]لهما مودة كبيرة وذلك بخلاف روؤس القبايل والجعليين، كمثل ود العريق سرتجار، وحاج خالد العمرابي، والسيد المكي، وكافت أهل الطريق الدينية، كما بلغني الخبر الأكيد الذي ليس فيه تكذيب، فالآن أرسل [43] له يحضر عند سعادتكم وأرسل لي بالحضور نكونوا جمعينا الاتنين موجودين بديوان الحكومة وأعطي أمركم بحضور مكية[1] واجعلنا نحن الاتنين في قيد واحد. إذا عملت هذا الأمر لا يطلع واحد جعلي من خارج الاستحكام». فشكره سعادة المدير على ذلك وقال له: «يا أحمد أنا نرسل إلى إلياس أم برير ونأمره بالدخول في الاستحكام». وقام من عنده أحمد بك.

وبعدما سمع سعادة المدير الكلام الذي صدر من أحمد بك تبصَّر في الأمر مع من يثق بهم في المهمات من بعض الحكام، وتفاوضو[2] في هذا الأمر قالوا له: «أحسن شي أرسل إلى إلياس وأمره بدخوله الاستحكام كمثل أحمد بك فإذا كان قبل كان وبها، وإذا كان وجدته ليس له الرغبة في الدخول أخلي سبيله خفتاً من وقوع الفتنة، ونحن في هذا الأيام ليس لنا بها طاقة لربما يفتحوا لهم باب، ويكون فيه خراب البلاد، كما لا يخفا على سعادتكم من الشقاق الذي واقع ما بين أحمد بك وإلياس باشا، وخصوصاً إن أحمد بك أخيه قتل في جردة قدير ومتحمل من إلياس. أحسن شي ارسل إلى إلياس باشا لوحدة». وقد كان سعادة المدير أرسل إلى إلياس باشا بالحضور

(1) المكية هي قيد حديدي كانت تستخدمه الحكومة في تقييد السجناء، وتجمع على مكاكي.
(2) المخطوط: تفوضو.

عنده. أجاب دعواه وحضر عند سعادة المدير، ومن بعد شرب القهوة تفاوض سعادته مع إلياس وأمره بالدخول في الاستحكام، وأخذ فكره في تدبير الحرب ومقاومة الدرويش محمد أحمد. وإن إلياس باشا مكير، وعنده خبر حضور أحمد بك لسعادة المدير، وبلغه الخبر من ما جميعه، وسعادة المدير ليس خافي عليه مكر إلياس ولو أنه تركي يفهم كل شي كونه رجل فطن في أموره يأخذ فكر كل إنسان، فلما نظر إلى حالة إلياس قال له: «يا إلياس باشا نحن أخلينا برنجي أورطه على شأن دخلوك معنا». ضحك مبتسم وقال له: «يا سعادة الباشا إن هذا محل الحكومة، وأنا صاحب العايلة الكبيرة ولا يمكني أسكن في أماكن الحكومة أنا أولادي». عند ذلك سكت سعادة المدير وبعد قليل قال إلياس أم برير: «نشوف فكر أولادي ونحضر لسعادتكم». وأخذ الإذن بالانصراف وقام. وبعد اكام يوم حضر أحمد بك دفع الله بكافت أولاده ورجاله ودخل الاستحكام.

وما نشعروا إلا الأخبار التي حضرت من الجهاة، وأن محمد أحمد المهدي أمر الشيخ المنا وكافت رؤوس الجوامعه[1] التابعة له بقتل الطيارة، وكافت من كان بها من الرجال إلى النسا وكافت [44] عساكر الحكومة وأخذوا أموالهم غنيمة لكم يا أنصار الدين. وقد كان حضر الشيخ المنا، وكافة الجوامعه، والقبايل من الجمع وخلافهم، وهجموا على الطيارة، وأحمد أفندي الشايقي، والعساكر وأولاد المغاربة[2]، والترك، والمصريين، وأولاد البلد المقيمين معه واقفين معه علي خط النار، واشتعلت الحرب بين الفريقين. والعربان الدراويش اندفقت عليهم كمثل السيل الدافق لا يسألوا من ضرب الرصاص، ولا من الموت، من حيث مضمونه لهم الجنة ومباح لهم أخذ الأموال والغنايم. ومن قتل تركاوي وجبت له الجنة بدون حساب. ولا عتاب ومن كترة الخلق الذي يموت منهم يدوسوا عليه إخوانهـ [م]. وأهل استحكام الطيارة صبروا على البلا النازل عليهم، ووقفوا وقوف الأبطال حتى الحريم من بنات الريف والمغاربة والترك أخذوا السلاح، وصاروا يضربوا

(1) الجوامعة من القبائل التي تنسب إلى مجموعة جهينة. ويقطن معظم أفرادها شرق كردفان. فهم أهل زرع وضرع.
(2) المخطوط: المغرابة.

بالسلاح مع رجالهم، وباعوا الأرواح بكل سماح وعزت عليهم نفوسهم[1] لا يكونوا تحت أيدي العربان. واشتد الحرب ما بين الفريقين والعربان أطلقوا النار على شوك الخندق وتكاثرة[2] العربان من كل فج عميق، حتى أنهم دخلوا القيقر وقتلوا أشراف رجالهم عن بكرة أبيهم وقتلوا النسا والأطفال. ويأخذوا الطفل الصغير ويطيروه في الهو [اء] ويتلقوه بسن الحربة والرماح، وبعضاً من الحريم أخذوا سيوف رجالهم ويضعوها على النحر[3] حتى تسقط الواحدة ميتة. ولما نظروا قتل رجالهم أخلصوا النية، وباعوا الأرواح بكل سماح ولا يكونوا من بعد رجالهم تحت أيدي العربان الدراويش القباح، وسالـ[ت] الدماء كمثل المياه، وصارت الطيارة غنيمة للعربان، وما نجا منها إلا من كان له عمر طويل، بل قتل فيها حكامها وعمارها وتجارها، كمثل محمود أبو أربعة، وعبد الله المحسي، والخواجات أهل الأموال الجسيمة، وصارت للعربان غنيمة.

أما باره بعد وصول الشيخ عبد الرحيم أبودقل، والشيخ إبراهيم المليح، والنور عنقره، ليس أقاموا بها كتير كونه أمرهم تحت يدهم. توجهوا إلى ديارهم والنورعنقره انضم على أهالي كوردفان بالجنـزاره. لما بلغهم خبر قتل الطيارة كسرت عموم أهالي كوردفان مع إلياس باشا، [45] وبان النقا الرازقي، ومحمدين العريق، وحاج خالد العمرابي، والسيد المكي، وولد سوار الدهب، وعلى العموم كافت أكابر كوردفان وأهلها[4] وليس تركوا شي بخلاف أهل القيقر وسكانها. وحضر لهم المهدي بالجنـزاره وقابلوه[5] ناس إلياس باشا وكافت الرؤوس وأعطاهم البيعة، ومن بعد أقام معهم تلاتة أيام [و] يوم الجمعة عزم على الجهاد معنا.

(1) المخطوط: نفسوهم.
(2) المخطوط: تكاسارة.
(3) المخطوط: النهر.
(4) المخطوط: أهالها.
(5) المخطوط: قابوله.

واقعه[1] يوم الجمعة الشهيرة[2] في عموم السودان

ولما علم المهدي إخلا مديرية كوردفان من كافت السكان فرح فرحاً شديداً وحصل له السرور. وقام بكافت الجيوش الجراره وعموم أهل الجنـزاره كمثل الجراد المنتشر جيش ليس [له] عدد ولا مدد، وواعظـ [هـ]م بغية الموت والجهاد في سبيل الله تعالى. ومن مات شهيد ويأخذوا بنات الحور العين يدخلوا به إلى الجنة: «وعليكم بقتل الترك الكفرة حيث أنهم دخلوا في الحفرة الله أكبر عليهم».

وصلى صلاة الصبح وهجموا علينا في القيقر، وظنوا أننا كمثل من قتلوهم في أول الحرب، وصار قتلهم من أول مرة ليس يعرفوا داخل هذه الحفرة[3] أسود رجال أبطال لهم قلوب كمثل الظلد لا يخافوا من الموت ولا يهابو[4] منه، إذا سطا بقلوب ثابته[5]، لا يأخذهم الخوف من الموت بل مفوضين الأمر لله تعالى. ولا أخذتنا الرعبة من كترت الجيوش الدافقة لها صوت ترج منه الأرض، إذا رفعت رأسك تقول إن هذا خاوية نازلة من السما لها دوى كمثل النحلة[6]، وإذا نظرت في واسع الخلا ما تنظر إلا عيدان القنا[7] كمثل السرير، والخلق ليس نظير ولا مثيل، ماشين بالتهليل والتكبير لهذا الكرامة، وأكلها، واسنت الحراب والرماح لها بريق ليس لها فاصل تضرب على بعضها، كمثل الصواعق النازلة من السما، وعند ذلك هجموا علينا وصبرنا عليهم حتى قربوا علينا، وضربت الأربعة أرباع القيقر دفعة واحدة وانصبت عليهم نيران الحرب من المدافع السواريخ وسلاح الرمنتون، ونحن جميعنا على قدم واقفين صفوف صـ [فـ]وف، الكتف[8] على الكتف. وفي هذا الساعة صار العبد مع سيده إخوان، والعسكري

(1) المخطوط: واقاعه.
(2) المخطوط: الشهرية.
(3) المخطوط: الحرفة.
(4) المخطوط: يحابو.
(5) المخطوط: سابه.
(6) المخطوط: النهله.
(7) المخطوط: النقا.
(8) المخطوط: الكدف.

مع أولاد البلد تـ [يـ]مان، والو [ا]طي بقا مع الرجال إخوان، وصار السلاح يدوي كأنه مطر نازل من الملك الديان، والخدم وبنات الناس يطوفوا علينا كأنهم حور ولدان، والزغاريت من النسا كأنهم يزفوا عرسان. وقد اشتغلت الفرسان في ضرب العربان وباعوا الأرواح بكل [46] سماح، وانتظرنا الفرج والنصر من عند الله، وقد أعطانا القدير السبات والصبر على البلا النازل من السما، حتى إنا قتلنا منهم الماية والألوف، ومازالوا نازلين علينا بغير جزع ولا خوف، وجاوبناهم[1] بالرصاص. «انظروا يا عربان يا انذال[2] إن هذا رجال الوقا وفرسان المنايا والموت الزوام». ويطوفوا علينا الخدم المولدات[3] وبنات الناس[4] من كل فج عميق كؤوس الخمرة والزغاريت ويقولوا لنا باعلا صوت: «إن هذا اليوم ليس يوم ركوب الرجال مع الحريم، إن هذا يوم ركوب الرجال مع الرجال، أحموا وطنكم والنسوان، وأنتم مدخرين لهذا اليوم يا كرام، ألا تتركوا الشباب يكونوا بيد العربان». عند سماع هذا الكلام اشتدت[5] النخوة وقويت العزيمة واشتد الزمام في حومت الميدان، وحما السلاح في اليد من شدة الضرب بالنار، حتى أحضروا لنا المياه موضوعة تحت أرجلنا لأجل المناديل نوضعها تحت يدينا من شدة حرارة السلاح، والحرب داير ما بين الفريقين وزعق على الجميع غراب البين، وما تنظر إلى الخلق إلا قتلاً على الأرض كيمان[6]، كأن عندهم الموت وقت دخولهم إلى الجنان ويأخذوهم بنات الحور العين الولدان[7]. ومازال نار الحرب تشتد والخلق في ازدياد، ومن شدة الكرب النازل بنا صارت الحريم والخدم ينقلوا الجبخانة، ويحضروا بها على الصفوف، وهما فرحانين ومسرورين، والزغاريت في ازدياد، لأجل تشجيع الفرسان ليس أظهروا الخوف

(1) المخطوط: اجوابناهم.
(2) المخطوط: ياندال. نَدْلٌ لفظ عامي يستخدم للإساءة ويقصد به ذليل حقير. ويجمع على أندال أو أنذال.
(3) الخدم المولدات أي الجواري اللائي ولدن من عنصر سوداني. وعنصر مصري وما إليه.
(4) أي اللقطاء من النساء.
(5) المخطوط: اشده.
(6) المخطوط: كميان. ويقصد الكاتب أن شدة الضرب قد أثرت على حيطان المباني الآئلة للسقوط وصدعتها أكواماً على الأرض.
(7) المخطوط: الوالدان.

ولا الجزع خفتا من كسر قلوب الرجال، بل أظهروا النسا والخدم كل ثبات ويقولوا للرجال: «أحموا داركم ووطنكم من العربان! هذا اليوم يومكم يا فرسان! أطروا أيام الخط وجلوسكم[1] مع الفتيان! اليوم يوم شربكم من دم العربان». ويعلم الله الملك الديان جميعنا وقوف مع بعضنا كأنه سور[2] حيطان والعربان قتلا بالألوف منذ ما خلقنا ليس عُرض علينا مثل هذا اليوم، ومن شدة عزم الضرب الحياط المايل وقع على الأرض كيمان[3]. وعند دخول العصر سكت ضرب السلاح من كافت الأرباع[4] ونحن ليس نعلم بالذي حصل، وكان بما هو مسطر من قديم الأزمان في قصور الآجال. أن الطوبجي[5] الذي على مدفع بوابات [47] المديرية من سرعت الضرب أخذ اللقوم ورماه في داخل المدفع قبل الخرطوش، وعلى قدر ما يضرب الطبجي ليس يقوم المدفع، أخذهم من ذلك الوهم أن المهدي مسك سر السلاح، حتى العربان كسروا باب المديرية ودخلوا القيقر، وقتلوا العساكر الجهادية، والشايقية، والسنجك محمد أغا صالح[6]، وأيضا دخلوا من جهة بير البحر، وقتلوا عساكر الجموعية أوردى مبروك أغا بسيوني. والعربان بيدهم الرايات وداركأس الموت في الشباب والزوات، وصارت أهل البلد مع العربان خليط البعض مع البعض حتى عم المهدي والقاضي ومن معهم ملكوا الجبخانة ووضعوا الكراسي وجلسوا عليها أمام البوابة. ونحن ليس لنا علم بذلك بل واقفين على الضلع الخاص بنا وصرنا متعجبين لماذا بطل ضرب السلاح تقريباً لنصف ساعة وزيادة، وما نسمع إلا صوت مدفع المديرية يدوي بالضرب، وكثر ضرب السلاح، في داخل القيقر وما نشعروا إلا على بك شريف، ويوسف أفندي شعله، ومعهم جملة فرسان صاحوا

(1) المخطوط: جلسوكم.
(2) المخطوط: صور.
(3) المخطوط: كميان.
(4) المخطوط: أرباح.
(5) الطوبجي كلمة تركية يقصد بها رامي المدفع. والطوبجية هم المدفعجية.
(6) ويعني يوسف ميخائيل أن الطبجي أو المدفعجي قد وضع عن طريق خطأ لغماً داخل المدفع الشئ الذي أحدث فيه عطباً فنياً جعل أنصار المهدي يعتقدون أن المهدي قد استطاع أن يعطل سلاح الأتراك. ويحدث كرامة رفعت الروح المعنوية في أوساط أنصاره. وحفزتهم على مهاجمة المباني المحصنة. وقتل عدد من جنود الحكومة ومناصريها.

علينا: «اضربوا ياخوان البنات! وقوف ضرب السلاح على شأن دخول راشد باشا أبو شنب فضة، حضر لنا نجده، هذا الأسباب». ونحن ليس عندنا خبر بكسر القيقر ودخوله العربان إلا بعض من حضروا أخبرنا بحقيقت الحال وحسين أفندي حفظ الله قتل العربان بالامدادية، معه من العساكر أربعماية، وقتل العدو والصليح سوياً حتى هذا الطريقة قتلوا الدراويش، وعم المهدي ومن معهم أمام الجبخانة. وكان ذلك اليوم السما مكبسه بالسحاب نـزل مطر شويه حتى صار الدم من القتلا يجرى مع السيل دما العدو والصليح، وردينا العربان ودار الحرب كما كان لغاية الشمس أزفت للغروب، [و] انكسروا كافت الدراويش وإن ذلك اليوم ظهر فيه سعادة البطل الهُمَام[1] محمد سعيد باشا أظهر فيه الفروسـ [يـ]ة ونخوة الأتراك أخذ سلاحه، وطلع من داخل المديرية بصوت عالي وبقول: «باشا حماد اضرب المدفع من داخل الطبخانه عدو وصليح واخرج به على خط النار». وكافت المدافع تضرب سوياً حتى بواسطة[2] ذلك ردت الصفوف ودار الحرب كما كان. وأيضا أحمد بك دفع الله وقف وقفت الفرسان في ميدان الحرب وبزلوا الأرواح، ونظيم أفندي البكباشي واقف على [48] الضلع الموالي جهة أبو صفية والمحل صحره حصد العربان كمثل القش والجثث صارت كيمان، وقف وقفت الأسد الكاسر وشفا فواده في ضرب العربان، حتى أنهم ولو الأدبار وكسر المهدي مع جيوشه الجرارة. وعند غروب الشمس ضرب طفى نار [كذا].

ومن بعد ذلك صار النصر لنا، وحمدنا الله على ذلك، وقد توجه أحمد بك دفع الله ونظيم أفندي حفظ الله لسعادة المدير، يقصدوا منه يعطيهم الإذن يحصِّلوا المهدي في ديم الجنـزاره. ليس قبل منهم بل قال لهم:»إن العساكر وكافت الفرسان تعبانين من شدة القتال، وهما واقفين في ميدان الحرب من صلاة الصبح لغاية المغيب، ولا سيما الدنيا ليل[3] والسما مكلل بالسحاب، وإني أشفق عليهم من الكبير إلى الصغير، أحرار

(1) المخطوط: الحمام.
(2) المخطوط: بواصت.
(3) المخطوط: لليل.

وعبيد عندي أعز من أولادي، حيث أنهم حموا وطنهم وباعوا الأرواح، وانتصروا على عدوهم الوارد عليهم كمثل الجراد حتى سال الدما كمثل السيل من العدو والصليح. يا أحمد بك نشكروا الله تعالى بالنصر الباهر وإن هذا رحمت الله تعالى على عباده. بل ارجعوا إلى أماكنكم وتحفظوا بأسلحتكم لا تومنوا مكر الماكرين! أحسن شي تكونوا متحصنين ودايماً متيقظين أوقدو[1] النار على القمرات التي بخارج القيقر». وقد كان عملوا حسب أمره. ومن بعد القمر بساعة مرا جمل جاري قدام الضلع الذي نحن عليه، وضرب السلاح دفعة واحدة الأربع أرباع[2] لما ظهر أنه جمل ضرب طفي نار. وعلى المقدر لما سمع المهدي صوت السلاح ظنا أن الحكومة طلعت لضربه كسر ليلاً من الجنـزاره إلى كابه[3]. أخذ بها مدة ورجع لديم الجنـزاره على شأن الحصار، وذلك بمشورة إلياس أم برير والنور الخبير. هذا ما كان من حرابت يوم الجمعة المباركة وما حصل فيها من نار الله الموقدة. والذين قتلوا من الدراويش نحو سبعين ألف بخلاف الذين أخذهم الرصاص، وأما أهل البلد الذين قتلوا من الدراويش، ومن نار حربنا وجدوا تلتماية وكسور أموات في وسط الدراويش. [49]

وأما ما كان من أمر المهدي بعدما أخذ مشورة إلياس باشا والنور الخبير، أقاموا في الجنـزاره وملكوا الآبار التي بها، وأقام للحصار حوالي عموم القيقر صرنا كمثل نقطة بيضا في وسط بقرة زرقا من كترت العربان. وقال له إلياس باشا: «أحسن شي نكونوا لهم محاصرين حتى يقل منهم القوت وإذا كان حضرت لهم امدادية من الخرطوم نقتلوها قبل وصولها». وقد كان ضربوا علينا الحصار.

ونحن في الحصار كانوا يطلعوا جماعتنا عبد الله ولد إبراهيم من فرسان أحمد بك، وحسين أفندي حفظ الله، وحسن أفندي الصول، يركبوا على خيولهم ويقتلوا العربان

(1) المخطوط: وقيدو

(2) المخطوط: أرابع.

(3) منهل ماء يقع بالقرب من الأبيض.

أرباب المواشي ويحضروا لنا بها في القيقر. وكافت القيقر معمورة بالخيرات من ما جميعه لغاية الخمرة الموجودة في كافت الكلبات وليس ناقص عندنا شي. وعندما ننظروا العربان على هذا الحالة صاروا يمشوا بالمواشي بطريق بعيد عنا، وتوجهوا بها إلى الجنـزاره محل أقامت المهدي. وصرنا نأكلوا في موجودنا والحصار دام حتى بلغنا ستة شهور، ونحن منتظرين حضور جرده من الخرطوم. وأما باره اشتد بها الحصار بعد المحاربة، وأخيراً العربان طلقوا عليها النار حرقت الخندق والشوك الذي حواليه، وحصلت حريقة كبيرة أخذت كافت الموجود، ومن الضمن أخينا مليكه عند [ه] أربعة وستون رأس من الضأن أخذوهم العربان غنيمة لهم.

ومن بعد ذلك حضرت جردة أبوكوكه[1] من الخرطوم قاصده باره هجموا عليها الدراويش وهما بالطريق بالقرب إلى باره، وقتلوها عن بكرة أبيها، وأخذوا أبوكوكه أسير وقدموه للمهدي وهو حقير ذليل[2]، وأخذوا كافت الغنائم والأموال والمواشي غنيمة لهم، ليس نجا منهم إلا من كان له عمر طويل. ومن بعد صاروا إلى باره وقتلوها أشر قتله وجعلوها عبرة[3]. اجتمعوا عليها كافت عربان الجوامعه جماعة موسى ولد الأحمر، والشيخ رحمه، ودار حامد، والبزعه، وكافت القبايل وأخذوا أموالهم غنيمة مع كافت ذخايرهم، وطلعوا أهلها أذلة في ديم رحمه ومنه إلى بقعة الجنـزاره لأجل مقابلة المهدي وأخذ البيعة منه. وحَضَّر سرور أغا [50] الصاغ وإخواني ومن معهم، وسأل إخواني الواحد بعد الواحد قال: «من اسمك يا سيدي؟ «قال له: اسمي مليكه». قال: «سميناك إسحاق» وأنت؟ قال له اسمي جورجيوس». قال: سميناك يا سيدي إسماعيل»، على اسما أولا [د] سيدنا إبراهيم الخليل. عند ذلك قالوا له: «يا سيدنا لنا أخونا في داخل القيقر، واسمه يوسف أصغر منا مع عايلتنا وقصدنا نأخذوا من سيدنا العفوا عن أخانا

(1) هو علي بك لطفي، المشهور بأبي كوكه، أرسله عبد القادر باشا، حكمدار السودان، للإشتراك في القضاء على المهدية، لكن قواته هُزمت قبل أن تدخل منطقة بارا بواسطة الأمير رحمة ود منوفل، والشيخ المنا اسماعيل.

(2) المخطوط: قدمه للمهدي وهو حقير ذليل.

(3) المخطوط: عباره.

وعايلتنا لا يدخلوا غنيمة من بعد خروجهم[1] من داخل القيقر»، وأعطينا الإذن لأجل الحصار، وطلوع أخونا قبل فتوح القيقر. وأذن لهما فيذلك وعين معهم الشيخ إلياس كنونه، والشيخ الأمين أبودلندوك، وعبد الصمد أبو صفية، وأولاد مالك من الدناقلة، وقال لهما توجهـ [و] مع إسماعيل وأخيه إسحاق للحصار لأجل طلوع أخيكم يوسف، وإذا وجدتوا طريقه بادخال إنسان له يعرفوهم. أن باره سلمت وصوت المدافع الذي تسمعوها هي مدافع باره، لأجل ما يكون لهم يقين، وأيضاً جردة أبوكوكه قتلناها قبل وصولها إلى باره. واعطاهم أمر بيدهم لأجل ما تكون أموالنا غنيمة، وقد كان حضروا للحصار بالقرب لنا. داموا على ذلك مده كبيره.

وأما نحن أهل القيقر من بعد ما كنا في نعيم صرنا في جحيم بخصوص العيش من مدة اربعة شهور خلص، من شدة الحصار الربع من بعد ما كان بعشرة ريال صار بتلاتين ريال، وتاني يصبح بخمسين ريال، وعلى هذا الحال في الشهر الخامس حصل مايتين ريال، وفي السادس مايتين وخمسين لغاية ما بلغ تلتماية وخمسة وعشرون ريال بمبلغ 65 جنيه خمسة وستون جنيه ذهب. والناس تأكل في الهجليج[2]، والشجر وقش الرجله[3] الناشفه، والصمغ، وأولاد القرض[4] يقلوه في الدوكه[5]. والصمغ البعض منه يعملوا كسره، والبعض يقلوه في الدوكه، ولحم الحمير الاقه خمسين ريال، والحصان سبعين ريال الاقة. وجلود العناقريب[6] أكلوها جميعها. وإذا كان حضر عندك إنسان تقدم له أولاد القرض، والصمغ على صحون صغار كمثل الفُزْدُق والبندق وفي ذات

(1) المخطوط: خرجوهم.

(2) الهجليج شجر شائك وله ثمار يعرف باللالوب.

(3) الرجلة ضرب من الخضروات التي تطبخ وتُؤكل مع الخبز أو الأرز.

(4) القرض هو ثمار أشجار السنط، ويبل في الماء ويستعمل عصيره مشروباً لعلاج بعض الأمراض. ويحبذ بعض الناس التداوي ببخوره في علاج النـزلات، وبعض الأمراض الأخرى.

(5) الدوكة هي قطعة من الحديد السميك، تكون مسطحة الشكل أو مكورة، وتستعمل لصناعة الخبز أو إعداد المرق وطهي اللحوم.

(6) المخطوط: الاعنقريب. العنقريب هو سرير مصنوع من الخشب ومجلد بحبال مصنوعة من جلود الحيوانات أو الأعشاب. يجمع على عناقريب. ويقصد المؤلف في هذا المقام أن أهل الأبيض المحاصرين في القيقر أضحوا يأكلون الجلود الناشفة المستخدمة في تجليد العناقريب وذلك لشدة تعاظم الجوع عليهم.

يوم مرا صنجك على بكباشي قال له: «اتفضل يا أغا». قال له: «ماذا عندك؟ قال له: «عندي كوارع دحش[1] لاكن تاظا». وفي الشهر السابع ضاق الحال بالناس وصارة في حاله لا يعلم لها إلا الله [51]، وكان ذاك الوقت نحن كنا صايمين الصوم الكبير، وحضر عيد الخمسين[2] وقصدنا نفطروا والدتنا قالت لي: «أتوجه إلى القسيس قول له نفطر على ايه؟» توجهت له أبونا فلتاوس وجدته واقف على لحم حصان يأخذ منه. قلت له: «يا بونا نفطروا على أيه؟» قال: «يا ابني أخذ من لحم هذا الحصان – حصان الجمري أغا – سمين وأفطروا عليه. حلال». أخذت نصف أوقه[3] وتوجهت بها لمنـزلنا، قلت لهم: «أبونا أخذ من لحم الحصان، وأنا أخذت نصف أقه بخمسة وتلاتين ريال «أعطوها للخدامة لأجل عملها. بعد الخلاص منها أحضرتها أمام والدتنا، وإخواتنا نظروا فيها وقالوا للخدامة :»أخذها أنتم أكلوها». لا واحد منا مدا يده عليها وأحضروا لنا سمن ومِش وجبنه، فطرنا عليه. ونحن على غفلة حتى حضر عندي على بك شريف ويوسف أفندي شعله، وحسن أفندي الصول وقال سعادة على بك شريف: «عليك كيلتين عيش سلفه للحكومة بالتمن الجاري، ويقيدوا لكم بدفاتر الحكومة لغاية فك الحصار يدفعوا لكم الثمن». قلت له: يا سعادة البيك نحن ليس عندنا عيش». قال: يا يوسف أهو البتاب[4] على خشم المطمورة[5]، وإخوانك أخذوا عيش كتير قبل سفرهم إلى باره»، قلت لهم: «حقيقي كان عندنا العيش لاكن عندنا عايلة كبيرة بخلاف أهلنا الذين انضموا علينا». على بك شريف قال: «حقيقي عندكم عايله كبيره، إنما أنا لا نطلع من عندنا فارغ، وأنتم من رجال الحكومة». أخيراً أعطيتهم كيله[6] بمبلغ ستمايه وخمسين ريال (650 ريال [أي] 130 جنيه) وصار قيدها بدفتر الحكومة، وطلعوا من عندي،

(1) دحش هو إقلاب للكلمة العربية جحش. والجحش هو الحمار حديث الولادة.
(2) يقصد بعيد الخمسين خَمِيسُ العَهْدِ أو خَمِيسُ الفِصح أحد أعياد النصارى.
(3) الأوقه هي وحدة وزن.
(4) المخطوط: البُتَّاب هو قشر الذُّرة الذي ينفصل بعد أن يُدَقّ ويُذرّى.
(5) المطمورة هي حفرة كبيرة تستخدم لحفظ الحبوب.
(6) الكيلة هي وعاء لقياس الحبوب.

وحمدنا الله على ذلك وقلت: البلا يرفعوا بالكرامه، وحقيقي عندنا العيش الذي أخذوه إخواني قبل السفر، أخذته جمعيه ووضعته داخل برام[1] كبار وغطيته بالصمغ خُفْتَا من الناس والتفتيش. وصارت الناس تأكل بعضها. وأما إخواني يحضروا للحصار ويدخل العبد علينا بالليل، ويعرفني بكل شي و [يـ]حضر معه رغفان ولحمه، ويرجع بوقته، كونه عند [ي] شباك مفتوح على حفرة الخندق. وبعد ذلك حضر الصنجك الجمري أغا نقطه على الضلع بتاعنا[2]وهو على بيتنا البر [ا]ني مكث فيه تلاته أيام، وكسر منه وتوجه إلى الدراويش، وحضر موسى أفندي حسين عوضاً عنه أيضا المذكور طلع كمثل أخيه، وأنا توليت أمره بعد [52] المذكورين الذين هربو. ولما توليت أمر النقطة، وزعت كافت عساكر الجموعية كونه حصل مرض شديد من الجوع. صار العبد يدخل عندي كمثل العادة ويقول: «أخوانك منتظرين طلوعك تحت الحايط الذي ما بينكم والقيقر»[3]. قلت له: «لوقت آخر». وأنا أخبرت موسى أفندي حسين قبل طلوعوا من الخندق يقابل إخواني، ويعرفهم بعد اكام يوم نطلع. أخيراً قلت إلى ابن عمي اسكندر بطرس: «إخواني كل يوم يحضروا لأجل خروجي ماذا فكرك؟ قال: «أطلع أنا كمان قصدي الخروج»، وأخبرت والدتنا وإخواني بذلك قالوا: «أحسن شي طلوعك لأجل ما تأخذ معك كافت المصاغ والذهب الموجود عندنا خُفْتَا من الغنيمة فيما بعد، وقد كان عملت لي كمر[4]، وأدخلت فيه كافت الذهب الموجود عندنا، وربطته على بطني، وانتظرت حضور العبد عندي ما سمعت صوتي إخواني يكلموني بهذا الكلام: «أطلعوا يا ترك يا جعانين»، نقول لهم: «امشوا يا عرب أنتم عريانين»، بذلك يعلموا حضوري في النقطة، يدخل عندي العبد بالشباك. وفي ذلك اليوم طلعت مع العبد أخذني من يدي، ونـزل في حفرة القيقر وطلع قبلي، ومن بعدها مددت له يدي وجذبني. طلعت

---

(1) البُرام (أو البرمة) هو إناء يصنع من الفخار لحفظ المواد الغذائية. وعلى وجه التحديد منتوجات الألبان.

(2) المخطوط: باعتنا.

(3) المخطوط: إلا القيقر.

(4) الكمر هو حزام يربط في الوسط. ويُستعمل في الغالب لحفظ العُملات أوالمعادن النفيسة.

وجدت إخواني ومعهم الجماعة الشيخ إلياس، والشيخ إسماعيل، وعبد الصمد، وأولاد مالك وجملة من إخوانا الأقباط سلمت عليهم، وطلعت معهم. ونحن في الطريق واحد من أولاد مالك الدنقلاوي أخذني من يدي وقال لي: «إذا عندك شي مخبيه أعطني هو لأجل مانسلمه إلى إخوانك». عند ذلك حصل لي زعل شديد قلت له : «أنا ليس عندي شي». سمع ذلك أخوي الشيخ إلياس كنونه أخذوني من يدي، وأحضروا لي حمار لأجل الركوب عليه، ليس قبلت ذلك. وقلت لهم نحن عندنا العيش، والقمح، والسمن، والمش، ليس طلعت إلا لأجل إخواني، تاني مرة لا يسألني ا [لـ]ناس عن شي حتى وصلنا بقعة الجنـزاره عن صلاة الصبح.

وبعد وصولنا إخواني أحضروا الفطور: قرعه كبيرة مليانه[1] لبن رايب[2]، ومقدار عشرون رغيف[3]، وهما خمسة أنفار [53] إخواني اتنين، وبشارة عبد السيد، وسليمان وداود، وسيدهم روفايل. أنا دخلني الشك في نفسي قلت: إخواني أحضروا هذا الطعام الكتير أظن قالوا أخونا طلع جيعان من القيقر»، وفضلت ساكت لما اجتمعو، قالوا لي: «تقدم على الفطور» قلت لهم: «ليس عندكم معلقه؟ القرعه كبيرة، أحضروا لي مغرافه من القرع، أخذتها وشربت بها تلاته جرعات[4] من اللبن الرايب وأخذت لُبت رغيف صغيرة جدا أكلتها، ورفعت يدي. نظروا علي، وقالوا: «أكل»، ومسكني إسحاق من يدي، وقال :»لما لم تأكل؟» قلت له شبعت». وأخونا الكبير ساكت بعد ذلك قال لإسحاق: «خليه على كيفه عنده فكر أحسن من فكركم». قال إسحاق: «أظن شاف الأكل كتير دخله الشك». إن هذا دايماً نحن نعمل[5] مثل ذلك، والباقي يأخذوا الخدام». قلت لا ياخي: «أنا مصراني ضيق لأني لا[6] نأكل مديدة، وسمن في

(1) المخطوط: ملايانه.
(2) اللبن الرائب هو اللبن الذي يخمر أو يختر إلى أن يصبح مذاقه حامضاً.
(3) الرغيف هو ضرب من الخبز المصنوع من دقيق القمح. ونلحظ أن المؤلف قد جمعه على رغايف أو رغفان.
(4) المخطوط: رجعات.
(5) المخطوط: نمعل.
(6) المخطوط: لو أني.

الخندق إنما نأكلوا الصمغ، وأولاد القرض، والمحلب، كير الملح، وملوة المفرش بريال، وملوه تنباك[1]، سفه واحدة بريال، السجارة الرفيعة[2] ريال، لحم العناقريب[3] خلص، وأما لحم الحمار الاوقه[4] ستون ريال، والحصان سبعين ريال، وجميع ذلك خلص ليس موجود في داخل الخندق إلا السما والأرض، الذرة ضاع عن وجه الأرض». عند ذلك قام أخونا إسماعيل (الاسم الجديد بدل جورجيوس صار اسمه إسماعيل) أخذ كبده إبل وأحضرها قطع منها تلاته قطع صغار، وعمل عليها ليمون، وشطه، وملح خفيف قال: «أكل هذا لأجل الدم يطلى المصران». أكلت ذلك، وعند الظهر قلت لإسحاق: «اعملوا بليله من المليل، وهاتو[5] الموية بتاعتها تكون كمثل الشوربا وعليها شوية سمن». أخذت ذلك وشربت فيه بدون أكل البليله. أن جميع ذلك لأجل المصران يكون ينطلق شي في شي، ومع ذلك الكمر الذي فيه الذهب مربوط على بطني، وإخواني ليس عندهم خبر بذلك إلا بعد الليل، والناس تفرقت منهم، قلت لأخونا إسماعيل: «حل الكمر الذي على بطني». قال: «كمر أيه؟» قلت له: «أنت أحضر وفكه من بطني». قرب علي، وطلع الكمر جميعه مليان ذهب، قلت لهم: «إن هذا حقكم، وحق والدتنا وإخواني»، احفظوا لحين خروجهم». أخدهم العجب، وقالوا لي: «من أمس بالليل ولغاية ساعة تاريخه وأنت رابط بطنك لغاية الكمر أثر فيك، وأنت صابر عليه». قلت لهم: «لو الموجودين معنا أولاد عمنا لا تظهر لهم ذلك [54] الزمان ليس أمان». ضحك إسماعيل وقال: «بارك الله فيك عملت عمل الرجال طلعت أموالنا خُفْتَا من الغنيمة، ولو عندنا أمر من المهدي بعدم الغنيمة لكم لاكن أحسنت ماعملت».

---

(1) التنباك أو التمباك هو ضرب من التبغ يعالج بطريقة معينة ويستعمل للسف كمخدر أو مكيف. ويغلب استعماله في وسط وشمال وشرق السودان. وتعتبره بعض الطوائف الإسلامية من المحظورات التي يحرم تناولها شرعاً.

(2) المخطوط: الرفعيه.

(3) المخطوط: الاعنقريب.

(4) المخطوط: أولاقه.

(5) المخطوط: حاتو.

وفي تالت يوم بعد طلوعي حضرت مكاتبه من محمد سعيد باشا، وعلي بك شريف، وأحمد بك دفع [الله]، والقمندان إسكندر بك، وكافت الظباط بأختامهم إلى المهدي لأجل أخذ الأمان والتسليم. عند ذلك أرسل المهدي خليفة الصديق، وأحمد ود سليمان[1] أمين بيت المال، وبعضاً من الأمراء الكبار، وأمر خليفة الصديق عبد الله التعـ [ايـ]شي «بأن يعطيهم أمان الله ورسوله وأماننا تحت شرط يوضعوا كافت السلاح من أيديهم، ويكون في أماكن الحكومة، ويطلعوهما وكافت العساكر ماشيه من وراهم طابور خالين اليد، ولا يأخذوا عصا في يدهم ويحضروا أمامنا. وقد كان طلعوا كافت حكام المدينة، والعساكر أذلا [ء] صاغرين[2] ماشين على أرجلهم من المديرية لغاية الجنـزاره في حالة الكآبة[3] والخجل والذل ولا سيما محمد سعيد باشا، وأحمد بك، ومحمد أغا يسين، وخصمهم إلياس باشا أم برير موجود مع المهدي في حالت التسليم، وطلعت أهل المدينة على وجه العموم من كافت القبايل، ودارت فيهم الأنصار لأجل أخذ الغنائم، وأحمد ولد سليمان أمين بيت المال، ومعه الأنصار من أولاد الدناقله، ووضعوا يدهم على أموال الحكومة وكافت بيوت الأكابر، وأهل المدينة جملة، وجمعوا الأموال بالكوم من منازل الخواجات والتجار شي لا يوصف، ولا له عد من كترة الأموال. والمهدي أمر حاج خالد العمرابي بتفتيش كافت الرجال والنسا الخارجين من الخندق يكونوا محل واحد لأجل التفتيش. ليس تركوا كبير ولا صغير يفتشوا النسوان لغاية القرباب[4]، وبنت الريف تحل السروال، والأطفال يفتشوا جيوبهم وتنظر الخلق واقفين في الشمس كأنه يوم القيامة، واقفة الخلق لأجل الدينونه جياع عطاش، وتصيح النسا والأطفال إلى الله: «خلصنا يا ربنا من هذا العذاب الذي حل بنا ليتنا متنا، ولا كان هذا حصل بنا».

---

(1) هو أحمد ود سليمان من محس رفاعة، وكان من أبكار المهدية، وخدم المهدي ثم الخليفة عبد الله أميناً لبيت المال العموم بإمدرمان، واتهمه الخليفة بالتآمر مع الأشراف فاقاله من منصبه، وبعث به إلى الأمير الزاكي طمل في فشودة حيث أُعدم عام 1889م. عون الشريف قاسم، 1996م، جـ 1، ص 72-73.

(2) المخطوط: صارغين.

(3) المخطوط: الكعابة.

(4) القُربَاب هو الإزار الذي تربطه المرأة في وسطها.

والحاج خالد يدور عليهم مع الأنصار، وله قلب قاسي لا يرحم كبير ولا صغير كأنه عنده هذا اليوم يوم عيد، ولمدت تلاته أيام أعطوهم الإذن بالدخول في البقعة. ونحن من فضل الله علينا من بدري الوقت توجهوا إخواني، ومعهم الشيخ إلياس كنونه، وعبد الصمد أبو صفية، وطلعوا عايلتنا وجيرانا وكافت من لاذ عليهم، وحضروا بهم في البقعة.

وأما من خصوص حكامنا [55] من بعد مقابلة المهدي بحالت الذل والهوان أمر بتسلـ [يـ]مهم إلى الأمير حمدان أبو عنجه[1]، أمير كافت الجهادية. ومن [بعد] ستة أو سبعة أيام صار نفيهم في الجهات، محمد سعيد باشا صار تسليمه إلى الشيخ إسماعيل الأمين في حلة علوبه، وعلي بك شريف إلى الملك عمر مك التمام، وأحمد بك دفع الله، ومحمد أغا يسين إلى إبراهيم ولد المليح في حلة أم بَلّ، وعموم الظباط وعايلاتهم إلى الشيخ عبد الرحيم أبودقل في أبوزبد.

وأما من جهة الغنايم التي جمعها أحمد ولد سليمان بخلاف الذي أخذوا العربان من الذهب الغشيم، والفضة شي لا يوصف. وأما من العملة من الجنيهات، والفرج الله، والبندقي، والمجر، والمحمودية، والمجيدية، والخيرية، والربعية، عملت الذهب شي كبير خلاف عملت الفضة، المجيدي، وأبو شنيكو، والمصري، وأبو مدفع، وأبو مسلا، وأبو نقطه، والقشلى، والخرده من الأرباع، والقروش، والطبر، والدمج، [2] مال لا يأكله

(1) هو حمدان أبوعنجة الذي ينحدر من مجموعة المندالة (المنضلة) النيلية التي امتزجت بالتعايشة في دارفور، وعمل في خدمة الزبير باشا ثم انضم إلى المهدية فور اندلاع الثورة في كردفان. ولعب دوراً رائداً في تحرير الأبيض والخرطوم. وفي القضاء على كثير من الثورات التي واجهت الخليفة عبد الله التعايشي بعد وفاة المهدي. و له سجل حافل بالانتصارات المشهودة للأنصار ضد الأحباش في شرق السودان. توفي في القلابات عام 1888م. رتشارد هل، 1967م، ص 147-148.

(2) الفرج الله هي نصف، وقيه من الذهب وتسخدم أيضاً كوحدة نقدية؛ والخيرية، والربعية، والقرش عملات مصرية؛ المحمودية والمجيدية عملات عثمانية؛ أبو مدفع، أو أبو مسلا ألفاظ محلية تطلق على الريال الإنجليزي الذي أصدره شارلس الرابع؛ أبو نقطة أو القشلي ألفاظ محلية تطلق على عملة نمساوية تعرف بالماريا تريزا؛ والبندقي عُملة نقدية مصنوعة في البندقية؛ والمجري علمة نقدية مصنوع في المجر؛ والطبر والدمج هي ألفاظ محلية تطلق على النقود المعدنية التي امَّحَتُ آثار الكتابة عليها؛ والخردة تعني البقايا المتخلِّفة من النقود المعدنية الصغيرة. لمزيد من التفصيل انظر: أحمد إبراهيم أبوشوك:

M. ,1898-Ahmed Ibrahim Abu Shouk, The Fiscal Administration of the Mahdist State in the Sudan, 1881 .105-Phil. Thesis, Bergen University, 1991, pp. 104

التراب، جميعه بيد أحمد سليمان أمين بيت المال، بخلاف سلاسل الذهب الكيس في الكيس، لغاية سقف المربوعه.

وأما الخواجات الذين طلعوا من الخندق، سلموا إلى محمد سعيد المسلماني وهو الخواجه جورجي اسلامبولية الذي خرج مع محمد عثمان حاج خالد العمرابي عندما كسر إلياس أم برير. وكافت أهل البلد صار عند المهدي من الأبكار سلموه كافت الخواجات من كل طايفه، وأيضا الرهبان والقسيسين والراهبات[1] الذين أحضرهم عمر مك التمامي من جبل الدلنج سلموهم للمذكور، وصار مقدم عليهم.

ونحن من بعد نصف شهر المهدي طلب الشيخ إلياس كنونه، وأخينا إسماعيل جورجيوس، وذاكرهم بأن يكونوا إخوان في دين الله تعالى. [قال] «وأنت ياسماعيل كنت أمين زمن الترك الكفار الآن أنت أمين المهدي، توجهوا جميعكم مع إلياس إلى داركم دار الغديات، وأجمعوا حقوق الله من الغلال والخيول، وتحفظ بالقرب إلى الرهد لحين تعيين حمدان أبو عنجه إلى جبل الداير لأجل جهاد النوبه. وأنت يا إسماعيل عفونا عنك أخذوا إخوانكم وأولادكم، وأسكن في دار الغديات لحين صدور أمرنا إلى أبو عنجه». وصرنا فرحانين بذلك، وأولاد علي كنونه أكرمونا إكرام زايد كبيرهم وصغيرهم، وصرنا معهم كمثل الإخوان، ومكثنا مدة كبيرة، وجمعنا الغلال والخيول حتى حضر الأمير حمدان أبوعنجه. صرفنا لهم ما يلزمهم للسفر كونه عنده سرية كبيرة وجميعهم جهادية، وبعضنا من أولاد العرب، وتوجه إلى جبل الداير، ونحن مبسوطين على رأي [56] المثل: «الدار دارنا والسلطان خالنا». نحن ومشـ[ا]يخنا نشربوا خمره وعسليه[2] على كيفنا[3] لا يقدر واحد أنصاري يتعدا علينا، ونحن في الديار، وعندنا الوادي واسع، وفيه صيد كتير، وملكنا حريتنا كونه الأنصار يخافوا من الغديات. وتوجه حمدان أبو

(1) المخطوط: الرهابات.
(2) العسلية هي شراب مُسكر مصنوع من عصير البلح المُخَمَّر والمعالج ببعض البهارات.
(3) المخطوط: كفينا.

عنجه أخذ مدة شهرين في الجبل، وقتل النوبه، وأحضر الرقيق الضباب غنيمة كبيرة.

وأما ما كان من أمر حكام الحكومة الذين فرقهم في البلاد، قال المهدي جاته حضره نبوية في حقهم بقتلهم أرسل إلى الشيخ إسماعيل بقتل محمد سعيد باشا، وإلى الملك عمر بقتل على بك شريف، وإلى إبراهيم المليح بقتل أحمد بك دفع الله ومحمد أغا يسين، وأصدر لهم الأو [ا]مر بذلك وصار قتل الجميع. وإن جميع هذا من تحت رأس إلياس أم برير، وأمر الشيخ عبد الرحيم أبو دقل يرسل كافت الظباط المنفيين عنده وأعطـ [ا]هم الأمان وسكنو[1] في البقعة معه. وعند ما بلغنا قتل الحكام صار كدر شديد لنا، وأولاد علي كنونه على المذكورين والدوام لله، ونفذ القضا والقدر عليهم المساكين.

ودارت الأيام على حسب الفلك الدوار بأمر الملك العلام، وما نسمعوا إلا بجردة هكس[2] باشا أبو ذر [ا]ع دقل حاضر لكوردفان لأجل قتل المهدي ويملك البلدان كما كانت، ومعه واحد اسمه علي الدين باشا[3] إنما الاسم إلى هكس باشا الإنجليزي، وطار اسمه ما بين الخافقين وهز[4] الأرض هزاً شديداً حيث أنه إنجليزي لازم يقتل المهدي، ويملك كوردفان. وفي من هو فرحان بقدومه وفي من [هو] غضبان من العربان. أما أولاد علي كنونه الغديات صاروا في اشد الفرح بقدوم هذا البطل الدرغام أبو ذراع دقل، يكون هو بطل السودان. وفي سيره عندما قام من البحر أوسعت له الطرق كافت العربان، ومن عارضه قتله، وجعل لحمه للصقور والغربان. وقد صار هكسي باشا له اسم

---

(1) المخطوط: سكونو.

(2) المخطوط: هسك. هو وليم هكس باشا. جندي بريطاني عمل في الهند تحت خدمة التاج البريطاني. ثم عُين عام 1883م برتبة فريق في الجيش المصري. أوكلت إليه مهمة القضاء على الثورة المهدية. وحضر إلى السودان على رأس جيش كبير قوامه الجنود المصريين والسودانيين. وهُزمت قواته هزيمة نكراء أمام جيوش المهدية. في واقعة شيكان عام 1883م. وقتل الجنرال هكس في شيكان مع عدد كبير من قادة جيشه. والجنود الذين رافقوه إلى كردفان. رتشارد هل. 1967م. ص 164-165.

(3) هو علاء الدين باشا صديق. لواء في الجيش المصري. تقلد عدداً من المناصب القيادية في السودان أعلاها درجة منصب حكمدار عام السودان. ورافق هكس باشا في حملته ضد المهدي في كردفان. وقتل في واقعة شيكان عام 1883م. رتشارد هل. 1967م. 43-44.

(4) المخطوط: حزا.

كبير، وشأن عظيم من كترت جيوشه الجراره، وجميعهم عساكر حربية، وصار كل من له الرغبة في حضوره يعدوا له الأيام، ومشتاقين لوصوله في أقرب الأيام كمثل الإنسان الظمآن[1]، لشرب المياه [57]، وتفرقت عن طريقه كافت أهل الحلال لهذا الفارس الصنديد صاحب الاسم الكبير، وعساكره الجراره، وفرسانه الأسود[2] الكواسر، حتى وأنه وصل إلى الرهد ونـزل به من اليم الغربي، وعملوا لهم زريبه ومكسوا فيه مدة مديدة لأجل أخذ الراحة للإنسان والراحلة، وقلنا لازم يكون طريقهم بطريق الجميزه. عند قيامهم من الرهد أوسعنا لهم الطريق من حلة الدويمة كونه الطريق يكون عليها. وأولاد علي كنونه، ونحن في فرح زايد من هذا الفارس الذي شقا أرض السودان لغاية وصوله إلى الرهد، ما هو فارس شديد. ونحن دخلنا الوديان منتظرين سيد الفرسان، وما نشعروا إلا بلغنا الخبر الشنيع أنه توجه بطريق أبو الروس يقصدوا علوبه أو البركة، وليس لنا علم بما هو مدخر في قديم الأزمان، ولا يعلم به أي إنسان، وأن المقدر من الله لابد أن يكون، وأن الخبير الخاين قام بهم إلى شيكان، وأدخلهم في وسط الوديان، وهم مسافرين بدون مويه لهم تلاته أيام، ونـزل بهم في هذا المكان، وهرب منهم وتوجه إلى المهدي، وأخبره بما كان: «إني أنـزلت هكسي وعموم الكفار في وسط شيكان، وهم بدون مويه لهم تلاته أيام». عند ذلك قام المهدي وأمر الخليفة عبد الله التعـ [ا]يشي بضرب أم بابا، والنحاس حربي لأجل اجتماع الأنصار، وصار يذاكر فيهم ويقول: «يا خوانا أنصار الدين أبشروا بالكرامة والغنيمة التي أرسلها لنا رب العالمين. أخبرني سيد الوجود، والنبي الخضر عليه السلام إن هذا الجرده تقتلوها في أقل من نصف ساعة. وأنتم ليس المحاربين، بل أنتم إلا إشارة إنما الذين يحاربوا عنكم الملايكة، وكافت الجن أجمعين يحضروا على خيول تبر كبار يحاربوا من فوق، وأنتم ما عليكم إلا الطعن بالحراب، لأجل ما يفوتكـ [م] الأجر والثواب من رب الأرباب، كونكم أنتم الأصحاب، ولا تخشوا من كترتهم

(1) المخطوط: الظمعان.

(2) المخطوط: الأوسد.

مدافعهم وسلاحهم، وكترت جيوشهم أرواحهم[1] مقبوضة». وعندما وصلوا إلى البركة قام بوقته وهجموا عليهم، وهما عطاش حتى صاروا العساكر من شدة العطش يشقوا بطن البعير، ويأخذوا فرته[2] يشربوا منه، وعند صلاة الصبح غطاهم وأدار الحرب فيهم. ونحن في حلة الدويمة، وسمعنا صوت المدفع ضرب مرتين وسكت علم لنا من ذلك ليس في فايده، ودخلنا الخوف على هذا الجردة الكبيرة ماذا حصل لهم؟ هل انتصروا أو قتلوا؟ لأجل سكوت ضرب المدفع قلنا [58] إن الرجل الخبير أوقعهم في طريق ليس يسلك في إنسان إلا شيطان لعنه الله الكلب الخاين. وحصل لنا جميعنا الزعل، وأولاد علي كنونه أيضاً، والشيخ إلياس ليس كان حاضر عندما سمع ضرب المدفع ركب حصانه، وتوجه باسرع ما يكون كونه المحل بالقرب لنا، وحضر في ساعة آخر القتلة، وكأنه كان حاضر من كترت الجيش ليس أحد عالم بذلك. وتاني يوم مروا علينا العربان ماشين بالغنيمة، وملبوسات العساكر ملطخه بالدم قلنا: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. قتل ذاك الفارس، وكافت جيشه إن هذا الرجل نجمه طالع حتى، وأنه ملك عموم أرض السودان وقتل هذا الجيش الجرار الأمر لله وحده!»

وأما ما كان من أمر المهدي وخلفاه، صاروا في اشد الفرح والسرور خصوصاً المهدي أظهر فرحه الزايد بقتل هكسي باشا ويقول: «إن هذا بطل الإنجليز وفارسهم الذي كان يخشوا منه بعض من كان ليس له إيمان ها هو مطروح في الميدان مع أخوه علاء الدين وأتانا الله بالنصر المبين على هذا الفرسان. انظروا ياخوانا أنصار الدين على قتل هذا الجرده الكبيرة التي لا يكون لها نظير، فيها كل فارس صنديد، وبطل شديد وعنيد، وكافت الإنجليز الشياطين، وفارسهم العجمي هكسي البطل الشديد، قتلوهم الملائكة وكافت ملوك الجن وملاك النصر ماشي. أما رأيتي وحاربت يوم الجمعة الكرامة الكبيرة ليست حصلت لأصحاب رسول عند الفتوحات. وبعد هذا الجرده لا يكون عندكم

(1) المخطوط: أروحاهم.

(2) الفرته أو الفَرْث هي الأحشاء سواء كانت أحشاء حيوان أو إنسان. إلا أن المقصود في هذا السياق أحشاء البعير.

تعب. وأما الخرطوم أول وصولنا يكون يوم[1] ويقتل به غوردون. ابشروا بالخير والسلامة من كل ندامة بعد قتل هذا الفارس البر [يـ]طاني، ومن معه، نتوجهوا للخرطوم بإذن الله القيوم». فما كان من المذكورين بعد المذاكرة جمعوا كافت الأموال والذخيرة والمواشي، وتوجهوا إلى بقعة الجنـزاره وفرحوا بهذا الغنيمة التي ليس لها قدر وقيمة، ويقولوا: «أبشر يا غوردون بالخيبة وعدم النصر في القيقر!».

(1) المخطوط: لوم.



الفصل الرابع

الطريق إلى الخرطوم



ومن بعد ما فاقوا من سكرة فرحتهم ذاكرهم المهدي بالهجرة إلى الرهد: «لازم تكونوا مستعدين للسفر عندما يصدر لكم أمرنا». وقد كان بعد أيام قلايل اصدر أمره بالرحيل إلى الرهد، وصاروا متوجهين للرهد – جيوش وبقاره راكبين على التيران، جيش كبير ليس له مثيل، قاموا كمثل السيل الدافق، بعد مدة كبيرة حتى تكامل الجيش في الرهد، ونحن مقيمين في حلة تندلتي [59] حلة الشيخ أحمد كنونه، أيضاً دخلنا إلى الرهد وسكنا معهم. أخذ مدة وكان زمن الخريف صبر لغاية الأرض جبرت، لأجل مسك المياه كمثل الترعه والبركة، وعلى المقدر كان محمد سعيد المسلماني عنده ولد اسمه الهادي لابس[1] جثت الصليب على رقبته عندهم خدامة توجهت للمهدي وقالت له: «إنَّ محمد سعيد للآن نصراني[2] عنده الصليب لابسه ابنه الهادي!». وقد ظبطوا الولد الصغير على حين غفلة، وجدوا عنده جثت الصليب، جردوا منـزله وصار سجنه سبعة أيام وبعد ذلك [أ]طلق سراحه. قام محمد سعيد أخذ جنـزير حديد، ووضعه على رقبته، وتوجه للمهدي وقال له: «يا سيدي أنا حصل مني ذنب في ذلك اعفني عني». قال له: «عفونا عنك، ويكون مقدم عليكم عبد الله الرومي الشهير بمكادي». عند سجن محمد سعيد حصل رعب شديد لكافت الرهبان القسسين، والخواجات، وحمدوا الله على العفو عنه[3].

(1) المخطوط: لاسبل.
(2) المخطوط: نصاري.
(3) المخطوط: منه.

وبعد كام يوم حضر سلاطين باشا، واسمه عبد القادر سلاطين[1]، معه جماعة حضر بهم من الغرب، وأعطوا خبر للمهدي بدخولهم الرهد. أذن لهم بالدخول يكونوا واقفين على شاطي الرهد من الغرب لغاية ما يقابلهم خليفة الصديق. عند ذلك أمر الخليفة عبد الله بمقابلت عبد القادر سلاطين. ضربت أم بايا والنحاس، وطلعت كافت الأنصار لأجل مقابلت عبد القادر سلاطين، ويتفرجوا عليه. وعبد القادر سلاطين راكب على حصان جميل، وعلى السرج تركابتين، حراب صغارن والحربة الكبيرة بيده، والسيف معلق على كدموش الحصان من قدام، وصار يلعب[2] بالحصان، ونزلت له الأنصار راكبه على خيولهم، وقلبوا معه بالخيل على شاطي الرهد بحضور الخلفا التلاته[3]. صاروا

(1) هو رودلف فون سلاطين المعروف بعبد القادر سلاطين أو أحياناً « عبد القادر شوطين». من أصل نمساوي. جاء إلي السودان سائحاً عام 1874م، وبعدها عينه غردون مفتشاً للمالية عام 1879م، ثم حاكماً على دارفور عام 1881م. وبعد سقوط دارفور أعلن إسلامه تُقيّة وانضم إلي صفوف الأنصار حيث أطلق عليه المهدي اسم عبد القادر سلاطين. ظل رهين محبسي السلطة المهدية والاعتقاد الزائف ثلاثة عشر عاماً، لكنه استطاع الفرار إلي مصر بمساعدة بعض العناصر المناوئة للمهدية، وبفضل تخطيط مكتب قلم المخابرات المصرية في العشرين من فبراير 1895م. وبعد أن حطَّ رحاله بمصر أصبح مصدراً مهماً في رسم الخطط العسكرية، والسياسية الخاصة بالقضاء على الدولة المهدية، وألف أيضاً كتابه الموسوم بـ «السيف والنار في السودان»، وقد ساعد نشر هذا الكتاب بعد ترجمته إلي عدة لغات أوربية في تأليب الرأي العام الأوربي ضد الحكومة المهدية باعتبارها حكومة إرهاب وظلم. وأخيراً عاد مع جحافل الجيش الغازي إلي السودان 1898م، وعمل في وظيفة مفتش عام للضرائب والشؤون الدينية إلي عام 1914م حيث استقال من منصبه نتيجة لانضمام النمسا إلي القوات الألمانية المناوئة لمعسكر الحلفاء. زار السودان عام 1931م، وقابل عدداً من أصدقائه القدامى، وتوفي بعد عام من هذه الزيارة في وطنه الأم في النمسا. رتشارد هل، 1967م، ص 339-340.

(2) المخطوط: يعلب.

(3) الخلفاء الثلاثة هم الخليفة عبدالله الملقب بخليفة الصديق؛ والخليفة علي ود حلو الملقب بخليفة الفاروق، وهو من زعماء قبيلة دغيم التي تسكن منطقة النيل الأبيض، انضمَّ إلى المهدية في الجزيرة أبا، وأختاره المهدي ثاني خلفائه، وأسند إليه قيادة الراية الخضراء التي كانت تضم قبائل وسط السودان، واستمر الخليفة علي قريباً من المهدي ووفياً لبيعته. وبعد وفاة المهدي كان أول مَنْ بايع الخليفة عبد الله ليخلف المهدي، ثم تبعه الخليفة شريف، وبقيه أعيان المهدية. وبعد ذلك ركن إلى تقديم المشورة للخليفة عبد الله كلما طلب منه، ولعب دوراً وسيطاً في تسوية الخصومة التي وقعت بين الخليفة عبد الله والأشراف. واشترك في واقعة كرري عام 1898م، وبعد هزيمة الأنصار رافق الخليفة في هجرته إلى الغرب، واستشهد معه في واقعة أم دبيكرات عام 1899م. أما ثالث الخلفاء فهو محمد شريف حامد، أحد أقرباء المهدي الذين لازموه منذ إعلان المهدية في الجزيرة أبا عام 1881م، ولقبه المهدي لاحقاً بخليفة الكرار، وعقد له لواء الراية الحمراء التي ضمت بين ظهرانيها الأشراف وأهالي شمال السودان، ومن أشهر قادتها عبد الرحمن النجومي، ومحمود عبد القادر، ومحمد خالد زقل، وكرم الله الكركساوي. ودخل الخليفة شريف في صراع مكشوف مع الخليفة عبد الله التعايشي، وأخيراً قاد هذا الصراع إلي تجريده من منصبه، ثم حبسه في سجن الساير بأم درمان. وقد أطلق سراحه قبيل واقعة كرري حيث اشترك في المعركة، ولكن بعد هزيمة الأنصار في كرري انسحب مع اثنين من أبناء المهدي هما: البشري والفاضل إلى الجزيرة أبا، وتمّ أخيراً أسر ثلاثتهم بمنطقة الفشاشوية على النيل الأبيض، وأرسلوا إلى سجن حلفا، وبعد إطلاق سراحهم رُحلوا إلى الشكابة على نحو عشرين ميلاً من سنار. إلا أن

فرحانين به وأخذوا مدة في ميدان اللعب بالخيل وبعد ذلك دخلوا سوياً، وقابل المهدي، وأعطاه البيعة، وأكرمه، وقال للخليفة عبد الله: «عبد القادر سلاطين يسكن عندك». وفرح المهدي بذلك وقال: «الحمد لله تعالى إن كافت الترك الذين بكردفان والذين في الغرب سلموا لنا. أننا قتلنا مديرية كوردفان وجهاتهم وجردت هكس العظيمة، وحضروا عندنا حكام الغرب من الأتراك وليس فاضل عندنا إلا غوردون وفتح الخرطوم [60]، ما دام الخريف رفع عن نـزول الأمطار نتوجهوا للخرطوم».

ومن بعد اكام يوم نشر أوامره لكافت القبائل وأمرهم: «بأن يكونوا مستعدين للسفر كونه حضرت عندنا حضره نبوية[1]، وأخبرنا نبي الله الخضر عليه السلام بالهجرة إلى الخرطوم، ومن خالف وتخلف عن السفر يذوق سوء العذاب، ويندم اشد الندم، بادروا وأسرعوا إلى السفر ولا يهمكم شي من الزاد بل يرزقنا الله الملك الخلاق، وأخلصوا بصافي النية وحسن الطوية لأجل لقاء رب البرية، لكي[2] ما تنالوا الأجر الدايم والخير الأبدي الذي أوعدنا به الله عز وجلا». فما كان من عموم أهل السودان قامت الدنيا بأسرها وتزلزلت الأرض جميعها من كترة الجيوش، حتى صار تمن الجمل بماية ريال، والحصان خمسين ريال، ومعدومين، وذلك في أواخر الخريف.

وقد منا الله تعالى علينا نحن الضعفا حضر عندنا واحد أمير حَمري، ومعه أربعة مقاديم، وصادفوا أخونا إسماعيل قالوا له: «السلام عليك يا أنصاري». قال لهم: «وعليكم السلام». قالوا: «نحن ندوروا على كاتب يكون معنا، سيدي يعقوب[3]

سلوك الخليفة شريف المناوئ للاستعمار قاد إلي إعدامه بعد محاكمة عسكرية في 27 أغسطس 1899م. انظر رتشارد هل، 1967، 47، 273؛ وعون الشريف قاسم، 1996م، جـ 2، ص 655-658، جـ 3، ص 1224-1226.

(1) المخطوط: نباوية.

(2) المخطوط: لكلي.

(3) هو الأمير يعقوب بن محمد، أخو الخليفة عبد الله من أبيه، وأكثر إخوته شهرة في المهدية. إنضمَّ يعقوب إلي المهدية فور اندلاع الثورة في الجزيرة أبا، وقد اختاره الخليفة عبد الله مساعداً في تصريف شؤون الراية الزرقاء التي لعبت دوراً مميزاً في حروبات المهدية ضد الحكم التركي المصري، وفي تمكين سلطة الخليفة بعد وفاة المهدي. وبعد مبايعة الخليفة عبدالله عام 1885م صار يعقوب الرجل الثاني في الدولة، والمشرف على شؤون الأمن، والمال، والقضاء، وإدارات الأقاليم، وتصريف شوؤن العاصمة القومية أم درمان. واشتهر يعقوب بالرزانة، وسعة الصدر والحكمة، والدهاء

قال كل أمير يكون عنده كاتب على شأن الصرفية». قال لهم: «وصلتوا إلى طلبكم أنا الكاتب إنما أنا مع الشيخ إلياس كنونه إذا وجدت راحتي عندكم نسافر معكم». قالوا: «ماذا طلبك؟» قال لهم: «أنا عندي عايله كبيرة، وعندي اتنين جمال وليس كفاية، إذا تعطوني جمال توصلني معكم لحد الخرطوم نتوجه معكم، وتجدوا راحتكم». قالوا له: «مرحبا بك يا أنصاري الدين». وأخذوا الفاتحة مع بعضهم عليذلك، وقالوا: «تعالى نتوجهوا لمنـزلتنا لأجل ما تعرف المحل». وتوجهنا نحن الاتنين معهم صادفنا نظيم أفندي في الطريق، وسموه «النضيف»، قالوا له: «وجدنا هذا الأنصاري كاتب ما تعرفو؟» قال لهم: «نعرفه إسماعيل جورجيوس مع إلياس كنونه كاتب عرب يريحكم في [61] أشغالكم». ووصلنا لمنـزلتهم بعد المغرب، ودخلنا فريقهم وطلبوا كافت مقاديمهم، وقالوا لهم: « [أ]حضرنا الكاتب تعالوا باركوه». واحضر لنا قدح عصيده بملاح روب، وأخذوا منه في صباع الأمير، ووضعه نقطة على جبهة إسماعيل، وقال: «مبروك!». كافت العربان قالت: مبروك! مبروك وبخيت علينا». ونحن نأكل في تلك العصيدة، ونضحكوا عليذلك في أنفسنا، وتوجهنا منهم، وعند السفر يحضروا لنا الجمال. قلت لأخينا إسماعيل: «العربان أخذوا حصان أو جمل؟ مبروك! وبخيت! وعملوا الجيار على قورتك!»[1]. ضحك قال: «هذا عادة العرب». وعندما قام المهدي احضروا لنا الجمال حسب وعدهم، وسافرنا سويا متوجهين للخرطوم.

واسمعوا بحال قيام المهدي من الرهد إلى الخرطوم بالجيوش الجراره التي ليس لها نظير قامت الدنيا بأثرها. وتوجهنا مسافرين كأننا قرعه على البحر عايمه لا نعرفوا أولنا من آخرنا، شي لا يوصفه، بل توكلنا على الله مع القوم. توجهنا وأخذنا المويه الكفاية، وعندنا القِرَب بزيادة خفتاً من العطش في الطريق، ومع كل ذلك عندما نحصلوا مشروع مويه، نحن قدام الجيش مع محمل المهدي، والخلفا، والرايات نشربوا المياه الصافية، والذي

حتى لُقب بـ»جراب الرأي». واستشهد في واقعة كرري في الثاني من سبتمبر 1898م. وبموته فقد الخليفة عبد الله عضده الأول. وحزن عليه حزناً شديداً. رتشارد هل، 1967م، ص 383.

(1) يعني وضعوا علامة بيضاء من ملاح الروب على جبهة إسماعيل. وذلك تيمناً بالفأل الحسن.

يحضر متأخر يشرب بول البهايم والطين، والمويه تكون خضره تقول حشيش أخضر من كترت نـزول البهايم عليها. والناس كمثل الجراد المنتشر، والكسيح يركب على الأعمى، وأغلب البيوت العالية عايلاتهم تركب التيران، وذلك بخلاف المشاة على أرجلهم ألوف ألوف ورايات[1]. نمسكوا الصيد بيدنا في الخلا هذا يذبح، وذاك يقطع الورك ويهرب، وجداد الوادي[2] قبض باليد ليس يجد له طريق. عرض الجيش مسافت نصف يوم نمشي تلاته ساعات، وينـزل الجيش لتاني يوم حتى يستكمل، وإذا ضاعت منك بهيمة لا تجدها إلا بعد أربعة أيام. وعندنا البروش[3]، والمطارق[4] على ظهور الجمال عند نـزولنا نعملوا كرانك ظل العلايات يدخل علينا جداد الوادي هارب من الناس نقبضوا عليه باليد. وإذا خلص منا الما نركبوا مع عرب حمر ليلاً، وندور على منهل المياه حتى نجدوا المياه في واسع الوديان، كونه العربان [62] لهم خبره بذلك، ونحضروا بها بعد كل ليل على حس النقارة التي عند عرب حمر، لغاية مانـزلنا في العقيلة، ومدفون بها والد الخليفة عبد الله التعـ [ايشـ [ي]، توجهنا وزرنا قبر والده، وذبحوا هناك الذبايح، وأقمنا فيها أربعة أيام، ودخلنا أبو ركبه، ومنها سافرنا بعد أخذ الراحة، والجيش في حال ما يعلم به إلا الله من شدت التعب الحاصل، ودخلنا البساطة وأقمنا بها خمسة أيام، منها الجيش مسافر لغاية ما دخلنا في شاة، وأقمنا بها عشرة أيام لأجل أخذ الراحة. والمدافع جارنها البغال، والتيران تحضر لآخر كل ليل. وعبد القادر سلاطين صار سجنه بالطريق بالقرب إلى شاة، وضعوا على رجليه قيد حديد، وجنـزير حديد، وراكب على حمار بعد الحصان. ومن بعد ذلك دخلنا الدويم، وعمرنا السوق كونه في كل مرحلة بها الحلال ينصبوا السوق واللحم رخيص ربع الخروف بقرشين، ويحضروا الجلابة بالتمر، والملح، والبصل نأخذوا منهم. وأنا مع إسحاق نشتروا البلح من الجلابه بالكوار أي بالجملة، ونبيعوا فيه بالقطاعي لأجل

(1) المخطوط: وريورات.

(2) نوع من الطيور الخلوية يعرف بدجاج الوادي.

(3) البروش هي أبسطة تصنع من سعف الدوم.

(4) المطارق هي عيدان من أشجار السلم وغيره. وتوضع كقوائم أو عوارض تُلف حولها البروش لإعداد المنازل السكنية المتنقلة، والثابتة التي تُعرف بالكرانك. ومفردها كُرُنُك.

مشتري العيش، نربحوا فيه أرباح زايدة. وسلكنا مع القوم حيث كان، ونحن محترمين عندهم حيث أننا الأبكار الذين بايعوا المهدي في الجنـزاره. وعند وصولنا الدويم نـزلنا على البحر[1]، لأجل الفرجه عليه كونه قبل ذلك ما نظرناه، ووجدنا الأنصار واقفه[2] على شاطي البحر وطلع تماسح عشاري[3] كبير من البحر، وأخذ واحد من الأنصار، وصاروا باقي الأنصار الواقفين يقولوا: «في شأن الله. في شأن الله». وتاني يوم حضروا كمثل العادة يقولو: «تعالى يا تمساح أخذ صيدك». كذلك يضرب واحد منهم، والباقين ينقزوا بالحراب ويقولو: «في شان الله». وعندما بلغ الأمر إلى المهدي بنـزول الأنصار إلى البحر، ويقفوا للتمساح ويقتل فيهم، عرف خليفة الصديق: «تاني لا يطلعوا إلى التمساح». وقد كان خليفة الصديق جمع الأنصار، وعرفهم لا ينـزلوا في البحر لأجل التمساح. وقفنا عن ذلك إنما وجدنا صيادين مسكوا سمكه كبيرة، وطلعوها من البحر، وصاروا يضربوا فيها بالعصا، قلنا لهم: «لا تقتلوها بل اذبحوها بالسكين». صاروا يضحكو[4] علينا، قالوا: «أنتم أولاد ريف! السمك [63] لا يذبح بل يموت لوحده». قلنا: «يا هل حلال أكله، وهو ميت؟ قالو: «حلال يا أهل السودان ناس كردفان». ضحكنا عليهم وهم يضحكوا علينا. قالوا: «حقيقي أنكم ناس الغرب». لأنه[5] قبل ذلك نحن ليس نظرناه. وبعد ذلك حضر عندنا وابور الترك طليعه ومرا بالقرب على الشاطي نـزلوا عليه الأنصار، لأجل قبضه من الدولاب الوراني أخذ منهم جملة ناس، وغرقهم في البحر، وهما على وابورهم أخذهم العجب من ذلك، ناس لا يخافوا من الموت حقيقي أنهم دراويش. دور الوابور وفات طوالي وفي ذلك الوقت كانت الناس لا تبالي من الموت، كونه على حسب كلام المهدي الذي يموت في الجهاد يدخل الجنة بدون عقاب، ويحظى مع بنات الحور العين، لذلك صارت الخلق لا تبالي من الموت كونه [من] مات شهيد في سبيل الله.

(1) البحر المعني بالأمر هو النيل الأبيض.
(2) المخطوط: وقافه.
(3) أي تمساح طوله عشرة أذرع.
(4) المخطوط: يحضكو.
(5) المخطوط: لونه.

ومن بعد أخذ الراحة استعدينا للسفر، وأمر المهدي بضرب النحاس لأجل السفر وقامت كافت الجيوش، والرايات، وعايلات المهدي ماشه أمام الجيش، وهو راكب على هجين بشاري[1] قصير القامة حلو المنظر، ومعه الملازمية كفايه عن تلتماية ملازم ماشين على أرجلهم حوالي الهجين. وفي أثنا الطريق نـزل لأجل أخذ الراحة، وتصادف في هذا اليوم نحن ليس عندنا مويه كونها خلصت. أخذت القِربه ونـزلت في البحر ومليتها مويه، والبندقية على كتفين، والقِربَة على الكتف التاني، والكوز بيدي، وصرت ماشي لأجل ما نحصل إخواني وجماعتنا من كترت الخلق، لم عرفت لهم محل، وحصل بي التعب الشديد من مسافت الطريق، ونظرت المهدي قام من تحت الشجرة وركب على الهجين معه الملازمية، وقابلتهم من قدام، وقلت: «سبيل ياأصحاب المهدي عليه السلام. اشربوا المويه في سبيل الله». عند ذلك وقف المهدي وقال لي: «اسقي إخوانك يا أنصاري! ماذا اسمك؟ قلت له: «اسمي يوسف يا سيدي»، عند ذلك بكا بعين واحدة وقال: «يا أنصار الدين الأجر طلاقيت، بارك الله فيك يا يوسف». وكان في ركوبه يرخى الرجلين من قدام على المخلوفه، وكل رجل على [64] كتف واحد من الملازمية بالمناوبا. ومن بعد شرب المويه قال: «يا بخيت اطلع يحضر يوسف عوضاً عنك». أخذت رجله ووضعتها على كتفي، والجمل يمشي الهوينه، وعندما قربنا إلى واحد فريق من فريق الحسانيه[2]، أخذت بخيت الملازم من يده، وادخلته عوضاً عني وتأخرت شويه من المهدي. بعد ما فات مني ذهبت إلى الفريق، ودخلت في عشة واحدة حرمه حسانية، وقلت لها: «أعطني مويه». قالت: «يعلم الله مويه مافي». ونظرت برمه كبيرة مليانه[3] مويه، قلت لها: «ما تخافي[4] الله يا إنسانه البحر». أخذت البرمه وفي واحد اسمه محمد جوده من عربان حمر، قلت له: «افتح لي خشم القربه»، وشلت البرمه ومليت قربتي كما كانت.

(1) أي بعير أو جمل بُشاري، وقد اُشتهر البشاريون بتربية الإبل الجيدة.

(2) فريق الحسانية: الفريق مصطلح يطلق على القرية الصغيرة في البادية، أما الحسانية فهم من قبائل النيل الأبيض، وينتسبون إلى مجموعة جهينة.

(3) المخطوط: ملايانه.

(4) المخطوط: ماتاخافي.

عند ذلك حضر عندنا رجل حساني، وقال «لماذا تأخذوا مويتنا يا أنصار؟ قلت له: «أنتوا المتخلفين عن الجهاد، ونحن الأنصار، اسكت ياعدوي المهدي».

وتوجهنا لغاية ما وصلت وجدت الجيش نـزل، أولادنا عطاش والعبيد نـزلوا للبحر ليس حضروا لهم قوام. نـزلت القربة عن كتفي، وشربوا أولادنا وإخواني قالوا لي: «أنت شايل القربة من وقت ما نحن فارقنا؟ حكيت لهم بما حصل جميعه ضحك أخونا إسماعيل على ذلك، وأخذنا راحتنا، وتاني يوم قام الجيش على حسب العادة، ودخلنا شبشه وفتنا منها إلى الترعه الخضرة، وتاني رحلنا للسفر لغاية ما وصلنا في مُشرع الجموعية أخذنا فيه راحة تلاته أيام، وأخذنا عيوشهم، والكبكبيك[1]، ولا يقدر واحد يتكلم معنا من كترة الجيش، صاروا ينظروا علينا بالعين. وبعد ذلك توجهنا ودخلنا في مُشرع القيعه، ونـزل الجيش لمدة عشرون يوم أو زيادة، تكامل الجيش المتأخر، وأخذنا راحتنا تمام.

وصدر أمر المهدي بالحصار على قيقر أم درمان، وأمر الأمير حمدان أبو عنجه يحاصر[2] بكافت الجهادية يعلموا لهم متاريس يكونوا فيها خفتا من رصاص الترك، وقسم ارباع الرايات حوالي أم درمان، يحفروا الأرض ويتخبوا فيها من ضرب الرصاص، وعموم أهل الرايه الزرقا يكونوا محل واحد في هذا الحصار، ويعلموا [65] كمثل حمدان أبو عنجه متاريس، ويضربوا الترك منها. وأهل القيقر يضربوا فيهم أيضاً، وفي مدفع موضوع على المقرن[3] يضرب من هناك إذا تبينوا له الدراويش، وفي مراكب مرصوصه واقفه أمام مشرع أم درمان، وكل مركب عليها القريه وهما جوار بعضهم. نـزلنا نحن جماعة، وليس شفنا المراكب، بل نظرنا القريا قلنا إن هذا سواقي قلنا لبعضنا: «تعالوا نمشوا للبحر في هذا السواقي لأجل ما نأخذوا لنا بصل»، وعند نـزولنا وجدناها مراكب، وضرب فينا مدفع

(1) الكبكبيك أو الكبكبيق هو مصطلح سوداني نوبي، ويقصد به الحُمُّص.
(2) المخطوط: يحصار.
(3) يقصد بالمقرن ملتقى النيلين الأبيض والأزرق في الخرطوم.

المقرن، هربنا منه وصرنا نضحك على بعضنا من هذا الأمر. قلنا: «أن المراكب غشتنا نحن قلنا إن هذا سواقي»، وما زال الحصار دام مدة طويلة حتى سلمت أهل أم درمان كان بها فرج بك إنما حاربوا محاربة شديدة، وحصل لهم الجوع، وليس حضرت لهم امدادية من الخرطوم، بل أرسلوا جواب بأخذ الأمان من المهدي. أعطاهم الأمان، وطلع فرج بك مع عموم من في القيقر، ووضعوا السلاح، ودخل عليهم الأمير حمدان أبوعنجه، واستلم منهم النقطة يجمع ما فيهم، وأخذوا أموالهم غنيمة، وتوجهوا بهم إلى الخليفة عبد الله. أخذ الجميع وتوجه إلى الإمام المهدي وأ [و]قفوهم أمامه أعطاهم الأمان، وأخذوا منه البيعة على الطاعة والاتباع له في كافت أو [ا]مره، وسلم فرج بك وكافت العساكر إلى حمدان أبوعنجه أمير عموم الجهادية، وأوصاه على فرج أم درمان وقال له: «أكرمه غاية الإكرام يكون مساعد لك على طول الزمان إذا كان سلك بالأمانة». وأمر خليفة الصديق يعطيهم شي من أموالهم وفراشهم. هذا ما حصل لام درمان.

وصار المهدي فرحان بفتوح أم درمان، وحصل له الفرح والسرور أنه بلغ مقصوده[1] بهذا الفتوح المبين، وبشر الأنصار أن أمر الخرطوم بعد أم درمان قد حان لنا فتحه بإذن الرحمن، وجاتني حضره نبوية، والخضر عليه السلام، وبشروني بفتوح الخرطوم أو يسلم غوردون. وصارت المكاتبات ما بينه وبين سعادة غوردون باشا لها مدة. وبعد ذلك أرسل لسعادته هذا المنشور رداً على ما[2] أرسله سعادة غوردون:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الوالي الكريم والصلات [والسلام] على سيدنا محمد وآله مع التسليم. وبعد فمن العبد المعتصم بمولاه محمد المهدي بن عبد الله إلى غوردون باشا هداه الله إلى طريق النجاة قبل أن يتلاشا [66] آمين. نعلمك أن جوابك رد المحرر منا وصل إلينا

(1) المخطوط: مصقوده.
(2) المخطوط: عليه فما.

وفهمنا مضمونه [و]قد عذرناك في عدم إذعانك، وإجابتك لنا بالطاعة، كما طلبنا منك ذلك لأنك لم تدر الحقيقة التي نحن عليها، وبحسب مقامنا ودلالتنا إلى الله وشفقتنا على عموم خلق الله حتى مَنْ هو مثلك لم يطب قلباً بصرف النظر عنك، ولا زلنا ندارجك عسى الله يهديك إلى سو [ا]ء السبيل. فأجب داعي الله، واغتنم سلامتك من الشر الوبيل، فقد رأيت ما حلَّ ونـزل، ولا زلت ترى ولا طاقة لك، ولا لأعوانك على حرب جند الله عزَّ وجل. وقد ذكرت أن عبد القادر ولد أم مريوم[1] حبيبك، وتقبل قوله ونصيحته وطلبت إرساله لك فعلى ماذا[2] هل أنت منيب إلى الله، وقصدك التسليم لنا على يد المذكور؟ أم أنت على تصميمك في إعراضك ومعاداتك لربك؟ فأفدنا على هذا لنعلم طلبك له على أي الوجهين، ونرسله لك أن رأينا في ذلك صلاحاً للدين، وأقول لك أن عزة الإسلام خير لك، وأبقى لدوام احترامك في الدارين، فتحلَّ بها إن عقلت. والسلام. في 21 ربيع الأول سنة 1302هـ[3]

وبعد فتوح أم درمان ومخابرة المهدي لسعادة غوردون باشا، صاروا الأنصار مسرورين بفتوح أم درمان، واخذ الغنايم، وبعد ذلك أذن لهم المهدي بحصار الخرطوم زيادة على الأمر والأنصار المحاصرين[4] عليه من سابق، بل زادهم بالجيوش وضايقوا على الخرطوم أشد الضيق، حتى ضاق بهم الحال من الجوع وعدم الموجود، وأكلوا الجلود، وقلب النخيل، وليس تركوا شي إلا أكلوه. وأخيراً فما كان من المهدي جمع كافت الأنصار وقال لهم: «أتتني الحضرة النبوية من النبي صلى الله عليه وسلم ونبي الله الخضر عليه السلام وأمرني[5] سيد الوجود بقتل أهالي الخرطوم، وأرو [ا]حهم مقبوضة ما عليكم إلا

(1) هو عبد القادر بن إبراهيم بن محمد حفيد الشيخ حمد ود مريوم. كان قاضياً على قرية الكلاكلة في العهد التركي-المصري. وله نفوذ عظيم بين قبائل النيل الأبيض. وخاطبه المهدي فور إعلان الثورة المهدية. وانضم إلى صفوف الأنصار في بداية حصار الخرطوم. وأضحى من المقربين للإمام المهدي. ثم عضواً رئيساً في مجلس شورى الخليفة عبد الله التعايشي. عون الشريف قاسم. 1996م. جـ 5. ص 1823.

(2) المخطوط: فعلى م ذا؟.

(3) الموافق 8 يناير 1855م.

(4) المخطوط: المحصارين.

(5) المخطوط: أمره.

الطعن بالحراب»، وقطع البحر من البر الغربي إلى البر الشرقي بمشرع الفتيح[1] قصاد شجرة غوردون[2] ليلاً بكافت الأنصار، وطلب المرابطين من سابق كافت الأمرا حضروا عنده [67] ليلاً، وأعطاهم البيعة على الجهاد من بعد المذاكرة، وأمرهم بالهجوم عليهم ليلاً على المدينة عند صلاة الفجر، وتوجهوا منه على هذا النية، وراحوا في أماكنهم، وهو رجع إلى أم درمان. والمذكورين عملوا ترتيب الحرب والهجوم، وقد كان هجموا عليهم، وكان على الخندق البعض فيهم نيام حتى هجم عليهم الموت الزوام، وعلى مدينة الخرطوم، هذا المدينة العامرة بالخيرات، وقتلوا فيها كل عزيز وغالي، ليس تركوا فيها أحد، والعساكر هربت من الخندق، وقتلوا فيهم الألوف، ودخلت العربان من كل مكان، وسال الدماء من الكهل والشباب، وليس وجدوا من يرد الأعدا على الأعقاب، بل أخذوا عموم أهل المدينة على أسنت الرماح حتى بعضاً من الشبان ألبسوهم هدوم النسوان خفتاً من قتلهم، وصار حالهم حال من الأحوال.

وكان سعادة البطل الصنديد حاكم عموم السودان وسواحل البحر الأحمر غوردون باشا لابس بدلته ونـزل من الصراية لأجل مقابلة المهدي، وهو نازل من أعلا السلالم حتى وإن هجموا عليه الدراويش، وقتلوه مع كاتبه قرياقيص أفندي القمص، وهو خالي اليد عن السلاح[3]. وطابت لهم البلاد وأخذوا الأموال والرقيق وكافت

(1) يقصد به مُشرع الفتيحاب. والفتيحاب قرية صغيرة تقع جنوب أم درمان. وتسكنها بعض بطون وأفخاذ قبيلة الجموعية. وهم ينقسمون إلى قسمين: أهل كتاب. وأهل ركاب. وأهل الكتاب هم رجالات العلم والدين. وأهل الركاب هم الفرسان والمحاربون.

(2) شجرة غردون هي إشارة إلى قرية صغيرة تقع جنوب الخرطوم. وتعرف الآن بحي الشجرة الشهير. وسُميت في بادئ أمرها على شجرة نـزل بها حكمدار السودان في العهد التركي المصري. ماحي بك. ويقال أنه قد تميز بطيب خُلقه مقارنة بسلفه عثمان بك. لكن اسمها تغير بعد ذلك وأصبحت تُعرف بشجرة غردون. نعوم شقير. 1967م. 213.

(3) فيما يخص اغتيال غردون. يوجِّه نعوم شقير أصابع الاتهام إلي محمد ود نوباوي زعيم بني جرار بحجة أنه أول مَنْ طعن غردون. ثم تلاه نفر من الأنصار قاموا بقطع رأسه وعرضه على عبد الرحمن النجومي. ثم على الخليفة محمد شريف. ثم على المهدي. (نعوم شقير. 1981م. ص 535) وحسب رأي علي المهدي. مؤلف جهاد في سبيل الله. فإن قاتل غردون هو شخص يدعى مرسال يعمل بيرقدار (أي حامل رأية) للأمير ميرغني سوار الدهب. وقد أطلق رصاصة على شخص كان يطل من نافذه في قصر الحكمدار المحاصر. وعندما صعد المرافقون لمرسال اتَّضح لهم أن المقتول هو غردون. أما ضرار صالح ضرار فيوجه الإتهام إلى رجلين من قبيلة البجا. ويتضح من هذه الروايات المتعارضة أن قاتل غردون لا يزال مجهولاً.

مدخرات الخرطوم من الغالي والنفيس، وليس تركوا شي بداخل المدينة إلا وأخذوه غنيمة، وصار لهم الفرح والسرور الزايد. والمهدي من شدت فرحه بقتل الخرطوم ما فاضل عليه إلا يطير من شدة الفرح، وزادت عزيمة العربان فيه صار سيد البلاد، وهو ولي الأمر في هذا الآن على سائر الإنس والجان.

ومن بعد قتل الخرطوم بتلاته أيام حضرت وابورات الإنجليز[1] على شان غوردون باشا، لما نظروا العربان وهما قرب المقرن، علموا أن الخرطوم قتل، ورجعوا حالاً، وأسرعوا في طريقهم إلى بحري. والمهدي ملك عموم السودان، وليس فاضل عليه إلا مديرية سنار محاصر[2] عليها ولد المكاشفي وجملة من الأمر العظام، وبها النور بك القمندان ليس صار فتحها إلا من بعد وفات المهدي، فتحت على يد الخليفة عبد الله من بعده. ومن بعد ما ملكوا الخرطوم صارت جميع الدناقله بالأخص بخلاف أخذ الأموال والرقيق وجميع الموجودات مدوا يدهم على النسا الأحرار بنات الجعليين والشايقية، وبعضاً من بنات الريف، والقبائل الأخرى يقولو: «نحن الأشراف، وهتكو[3] الاستار وآمنوا من نكبات[4] الزمان، ليس يعلموا [أن] المنتقم حاضر [68]. ومن بعد ذلك نفوا أهل الخرطوم طلعوهم خارج المدينة رجال وحريم وأطفال، واسكنوهم تحت شجرة غوردون قصاد الكلاكله، أخذوا فيها مدة شهر فراشهم الأرض وغطاهم السما. وبعد ذلك صدر لهم الأمر بالعفو،

وحسب رواية سلاطين باشا أن المهدي كان حريصاً على القبض على غردون حياً، ليدعوه إلي الإسلام، ثم يسلمه للحكومة البريطانية مقابل إطلاق سراح المناضل المصري أحمد عرابي باشا، تحسباً أن عرابي كان سيعينه في بث الدعوة المهدية في مصر ونواحيها. انظر سلاطين باشا:

R. Saltin Pasha, Fire and Sword in the Sudan: A Personal Narrative of Fighting and Serving the Dervishes, 1879-1895, (translated from German to English by F. R. Wingate), London: Eward Arnold, 1899, p. 210.

(1) يقصد المؤلف الحملة الإنجليزية التي أُرسلت لإنقاذ غردون بقيادة ولسلي باشا، ولكنها بعد أن علمت بتحرير الخرطوم والقضاء على غرودن وأعوانه أَدبرتْ راجعة، و على اثر ذلك طاردها الأنصار بقيادة موسى ودحلو والحاج عبد الله ودسعد زعيم الجعليين، لكنهم لم يفلحوا في ذلك وهزموا في واقعة أبوطليح شمال قرية المتمة في السابع عشر من يناير عام 1885م.

(2) المخطوط: محصار.

(3) المخطوط: حتكو. يقصد أنهم بالرغم في إدعائهم للنسب الشريف إلا أنهم قد هتكوا أعراض الحرائر من النساء.

(4) المخطوط: نقبات.

وإنهم دخلوا المدينة، واجتمعت عليهم أهليتهم وشافوا خاطرهم. وانتهى ملك الخرطوم منذ ما حكمت الحكومة التركية المصرية: ملكت سته وستون سنة وأربعين يوم انـ [تـ] هت فيه من ملك السودان.

قيام المهدي ابتدأ من سنة 1297هـ في بس الدعوة، وملك كوردفان سنة 1300هـ إلا يومين. ومن بعد فتوح الخرطوم نقلنا من مُشرع القيعه من بعد فتوح الخرطوم بأربعة أ [يا]م وسكنا في أ [ر]ض وشل وهي الآن أم درمان. وأما حقيقتها وشل كانت في الزمن الغابر مسكن الفنج[1] عربان طوال القامة سكنوا بها، وبشرق النيل بحلالات شندي من الصعيد، ومكثنا في أم درمان وصارت مدينة عامرة بالبنا من الشوك والشرقاني. ومن بعد وفاة المهدي صار البنا بالطين. وأما المهدي من بعد فتوح الخرطوم بعد اكام شهر حصلت له حمه شديده ليس لها نظير[2]، ومن شدت الحرارة صاروا يصبوا الما داخل المربوعة[3] محل إقامته فيها، وخليفة الصديق أمر كل الناس رجال، وحريم أحرار، وعبيد، يقروا الإخلاص، ومن بعد أكام يوم توفا المهدي لرحمت الله تعالى وانتهى ملكه في سنة 1302هـ.

(1) أو الفونج. وهم إحدي المجموعات القبلية التي تسكن منطقة النيل الأرزق. إلا أن النسابة اختلفوا حول أصلهم. ففريق ارجعهم إلى قبيلة الشلك النيلية. وفريق آخر ردَّ نسبهم إلي البرنو في غرب إفريقيا. وثالث رجَّح بأنهم أمويون. وهم الذين قاموا بتأسيس سلطة الفونج في سنار في القرن الخامس عشر الميلادي.

(2) يذكر نعوم شقير أن وفاة المهدي حدثت ضحى الاثنين 22 يونيو 1885 الموافق 8 رمضان 1302هـ. ويرجع سبب الوفاة إلى حمَّى خبيثة تسمى بـ «أبودم». وتُعرف بين الأطباء بالالتهاب السحائي الشوكي. أما سلاطين فيرجع سبب الوفاة إلى حمَّى التيفوس التي عجلت بوفاة المهدي. ويبدو حسب ما جاء في منشور الخليفة أن الحمَّى قد استمرت لبضعة أيام. ثم أُعلنت الوفاة رسمياً في منشور أصدره الخليفة للأنصار في 8 رمضان 1302هـ. وكان عمره حيذاك يناهز الواحد والأربعين عاماً تقريباً. لمزيد من التفصيل انظر: نعوم شقير. 1981م. ص. 603؛ وسلاطين باشا. 1889م. ص 228-229؛ ونعوم شقير. 1967. 644-645.

(3) يقصد بالمربوعة الغرفة التي كان يقطنها المهدي فترة حياته.



الفصل الخامس

الخليفة عبد الله وقيادة الدولة المهدية[1]

(1) العنوان الأصل: «مُلك الخليفة عبد الله بن السيد محمد في 1302هـ». يوافق هذا التاريخ 1885م.



ولما انتقل المهدي من دار الفنا إلى دار البقا، وصار دفنه في ذات المربوعه، كانوا حاضرين وفاته جملة من الأكابر، والخلفا، والسيد المكي، وجد الأشراف أحمد شرفي[1]، والفكي الداداري[2] عَالم من قبيلة فلاتة، وعدة من الأكابر. من بعد دفن المهدي اجتمعت الأشراف لأجل َالخلافة إلى السيد محمد شريف خليفة الكرار، وباقي الجموع عارضهم فيذلك قالوا لهم الخلافة إلى خليفة الصديق عبد الله بن السيد محمد على حسب ترتيب الخلافة. وكما قال المهدي: «إن الخليفة عبد الله هو خليفتي، هو مني وأنا منه، اتبعـ [و]ه في كل أمرٍ». وصاروا القوم في القيل والقال، والخليفة عبد الله ساكت ليس تكلم شي، بل يسمع بأذنه وينظر بعينه. ثم قام الفكي [69] الداداري، وأخذ الخليفة عبد الله التعـ [ايـ]شي بيده، وقال له: «بايعنا يا خليفة المهدي». أيضاً قام جد الأشراف أحمد شرفي أخذ سيف المهدي والعمامه، [و]سلمهما إلى الخليفة عبد الله، وقال له: «اعطينا البيعة». وبعدها تقدم خليفة الفاروق، والسيد المكي، وأخذوا البيعة. وفي آخر كل شي تقدموا بعضاً

---

(1) هو أحمد شرفي ابن عم المهدي، ووالد زوجته أم الفقراء التي أنجبت له من الذرية: الفاضل، ومحمد، والبشرى، وزينب. ويُلقب أيضاً بجد الأشراف نسبة لصلة القرابة التي تربطه بأبناء المهدي. يُعَدُّ أحمد شرفي من أبكار المهدية، وفي مقدمة الذين ساندوا الخليفة عبد الله التعايشي في صراعه مع الخليفة محمد شريف. انظر عون الشريف قاسم، 1996م، جـ 3، ص 1217-1218.

(2) هو محمد الفكي الداداري، عالم فولاني من شمال نيجريا، ومن تلاميذ الشيخ عثمان دان فوديو في سكتو. يقال إنَّ الشيخ عثمان دان فوديو قد بشَّره بأنه سيكون وزيراً للمهدي المنتظر الذي سيظهر في الشروق. ويبدو أن هذه القراءة المستقبلية لأحداث التاريخ قد اختمرت في ذهنه، وحفزته على شدِّ الرحال إلي بلاد السودان الشرقي، (أي جمهورية السودان الحالية). ويُرجح الرأي أنه قد عمل مستشاراً للزبير باشا رحمه في دارفور، وهو أحد العلماء الذين توسَّطوا له، ليفرج عن عبد الله بن محمد تورشين (لاحقاً الخليفة عبد الله) الذي بشَّر الزبير باشا بأنه المهدي المنتظر. ويبدو أن هذه القضية واحدة من القضايا التي وثقت الصلة بين الخليفة عبدالله، والفكي الداداري. وكان الفكي الداداري من أوائل العلماء الذين خاطبهم المهدي وحثهم على الهجرة إلى قدير. واستجابة لهذه الدعوة انضمَّ الفكي الداداري إلي صفوف المهدية في مرحلة الثورة على الحكم التركي، وأضحى تدريجياً من ذوي القدم الراسخ، والباع الطويل في تصريف أمور الدعوة والدولة. لذلك نجده قد لعب دوراً محورياً في تنصيب الخليفة عبد الله التعايشي بعد وفاة المهدي في أم درمان عام 1885م. لمزيد من التفصيل عن سيرة الشيخ محمد الداداري وعلاقته بالمهدية انظر: جون هنوك وآخرون:

John O. Hunwick, etal, ‘‘Between Niger and Nile: New Light on the Fulani Mahdist Muhammad Al-Dadari’’, Sudanic Africa, vol. 8, 1997, pp. 85108-.

من الأشراف وأخذوا البيعة، كمثل السيد عبد القادر ساتي علي[1]، والسيد عبد الكريم[2]، حتى تقدم خليفة الكرار، وأخذ البيعة. وعند المغرب نصبوا منبر عالي له ثلاثة سلالم، وحضر الخليفة وعلا[3] على الكرسي، واجتمع كافت الأنصار بالجامع أمام الكرسي، وأعطاهم البيعة، وواقف الفكي الداداري أمامه مع الخليفة على ولد حلو. وأخيه الأمير يعقوب بعد أخذ البيعة مستعد بالسلاح والرجال، ليس مستأمن[4] من جهة الأشراف، كونه الأمير يعقوب في كل الفتوحات يجمع المال والرجال، والسلاح، والخيول، والدناقله الأشراف يجمعوا المال والنسا. وصار الخليفة ملك البلاد، وصاروا في ترتيب بيت المال فيه أحمد ولد سليمان، ومعه جملة من الكُتَّاب وفيه عهدت مصالح كمثل أمين المبيوعات، وصراف الخزنة، وأمين الدفترخانه[5]، وأمين بيت مال الفي الخاص للخليفة، وأمين مبيوعات الرقيق، وأمين الشونه، وأمين سجن بيت المال، ومحل للمطبعة، ومحل للبارود[6]، وبيت الأمانـ [ة] لأجل جمع كافت السلاح، وفيه عموم الرايات، ومحل لأجل النحاس، والورشه[7] الحربية، وسجن الساير أحمد[8]، وكاره للجهادية، وسوق الرقيق بجوار بيت المال، وفيه محكمة شريعة. وفي السوق الكبير،

(1) هو السيد عبد القادر ساتي علي ابن عم المهدي، وأحد زعماء الأشراف الذين نكثوا بيعتهم مع الخليفة عبد الله التعايشي، وناصبوه العداء ترجيحاً لكفة الخليفة محمد شريف، ومن ثم فقد كان مصيره النفي إلى فشودة (الرجاف)، حيث أُعدم مع نفر من الأشراف بواسطة الزاكي طمل. انظر عون الشريف قاسم، 1996م، جـ 5، 1826.

(2) هو عبد الكريم بن السيد ساتي، ابن عم المهدي، ومن المناصرين لشرعية خلافة الخليفة محمد شريف، وله من الأنباء الذكور محمد أمير المهدية الذي قُتل في فتنة الأشراف، وعلي الذي نسبت إليه بدعة رفع التكليف بانتهاء المهدية، ونُفِي إلى حلفا عام 1900م، وأحمد، وعبد الرحيم، وخليل، ومحمود. انظر: عون الشريف قاسم، 1996، جـ 5، ص 1972.

(3) أي اعتلى على الكرسي، ولفظ علا من الناحية اللغوية أيضاً صحيحاً إلا أنه أقل شيوعاً.

(4) المخطوط: ما من.

(5) الدفترخانه: مصطلح فارس-تركي مركب، يعني مخزن الأرشيف، أومكتب المكاتبات الحكومية.

(6) المخطوط: إلي البارود.

(7) المخطوط: الروشة.

(8) يقصد يوسف ميخائيل سجن إدريس الساير، وإدريس الساير هو رجل من قبيلة الجوامعة في كردفان، عينه المهدي رئيساً للسجانين، وفيما بعد نُسب اليه السجن العموم بأم درمان، أي أضحى يُعرف بسجن الساير. وفي هذا يقول عبد القادر سلاطين: «إنَّ المرء في أم درمان يسمع مراراً وتكراراً من المارة في أقوالهم: لقد أخذوا فلاناً إلى الساير، ومعنى الساير عندهم هو السجن الذي يلقى فيه المغضوب عليهم عذاباً شديداً. ومجرد ذكر هذه الكلمة يُولد شعوراً بالاضطراب، والفزع في نفوس سامعيها». سلاطين، 1899م، ص 352-353.

سوق عموم التجار والنسا، [توجد][1] محكمة أي ظبطيه عليها وهبي ولد حسين أُذي، وعنده سجن ومعه كافت عمال مقدار أربعة وواحد قاضي. ويعقوب نظم كل شي، ومكتب للرايه الزرقا فيها زيادة عن خمسة وعشرون كاتب، واسبتاليه[2] داخل بيت المال. وفي الخرطوم عمَّروا الترسانة لأجل تصليح الوابورات[3]، وكافت الطلبات وكافت الرايات لهم كُتَّاب، عن كل أمير رايه عنده كاتب لأجل صرف الأنصار من مكتب عموم الرايه الزرقا من النقود، والعيوش أي الغلال. وكافت المراكب التي في البحر لها مركز، وكُتَّاب في بيت المال. إنَّ هذا الخاص بالمصالح العمومية بخلاف الذي يخص الأمير يعقوب، عنده بيت خازن فيه كافت الأصناف كأنـ [ه] بيت خصوصي. والخليفة في أول الأمر ماشي بأحسن ما يكون في المملكة [70]، وجاري الصرف على عموم الرايات، المجاهد عشره غروش والعايله خمسه غروش، وفي الذره[4] المجاهد ربع عيش، والعايله نصف ربع، والحصان ستة أرباع عيش، والجهادية عليهم الأمير حمدان أبوعنجه، وأخيه عبد المولا صابون[5]، لهم كُتاب وقاضي، ويصرفوا لهم من بيت المال. وبعد ذلك عين سريه لأجل فتوح سنار يساعدوا ولد المكاشفي، ومن معه من الرايات، قد استعد بسريه كبيرة، وجعل عليها السيد [محمد] عبد الكريم[6] من الأشراف، وأرسل معه تلك الأنصار لأجل فتوح سنار. وكان البحر دميره[7]، وأغلب الجيش سافر بالبر، والباقي

---

(1) المخطوط: ومحكمة.

(2) المخطوط: استباله. أي مستشفي.

(3) إشارة إلى البواخر النيلية التسع التي صادرتها المهدية من الحكومة التركية المصرية بعد تحرير الخرطوم. وهي: الطاهرة. والبردين. والصافية. والإسماعيلية. والفاشر. ومحمد علي. والمسلمية. والتوفيقية. والزبير.

(4) المخطوط: أي الدره.

(5) هو الأمير عبد المولا (أو المولى) صابون. أخ الأمير حمدان أبوعنجة. ووكيل الراية الزرقاء في أم درمان. وكان من رجال المهام العسكرية الصعبة في المهدية. إلا أنه اتهم بموالاة الأشراف. فكان مصيره الرفت من الوظيفة والاعتقال في سجن الساير.

(6) هو السيِّد محمد عبد الكريم من أبناء عمومة المهدي الذين أسهموا إسهاماً فاعلًا في نُصرة المهدية. لكنه اختلف مع الخليفة عبد الله التعايشي فكان مصيره النفي إلي فشودة (الرجاف) مع عبد القادر ساتي علي. وأحمد ود سليمان. وسعيد محمد فرح. حيث أُعدموا جميعاً عام 1891م. بتهمة التآمر على الخليفة عبد الله. ومساندة الخليفة محمد شريف. انظر عون الشريف قاسم. 1996م. جـ 5. ص 2188-2189.

(7) يقصد بالبحر النيل الأرزق. وبالدميرة موسم الفيضان.

في الوابور بردين وجار [ي] اتنين صنادل (عندنا الصندل يقال له الكبك) [(1)]، لما قرب السيد محمد عبد الكريم إلى سنار الكبك قطع القطارة وسحبه البحر بالأنصار الذين داخلين[(2)] فيه حتى وصل أم درمان، صاروا أهل أم درمان يقولو: «وحيات الله وحات الرسول الكبك سافر خلا الوابور». عندما سمع خليفة المهدي بذلك حصل عنده زعل، أحضروا الوابور الصافية، وزاد الجيش، وأخذوا الصندل، وأرسله مع أمير آخر، وطلب السيد محمد عبد الكريم يرجع إلى البقعة[(3)] كونه حصل منه اهمال، وليس عنده تدبير في الحرب[(4)]. وبعد حضوره عند الخليفة وبخ عليه وقال له: «أنا عارف الأشراف ليس لهم قصد في الجهاد إلا في جمع الغنايم، لازم الفروه في الجامع»[(5)]. وبعد وصول السرية حاصرو[(6)] سنار، واشتد عليها الحصار كونها مكثت زمن كبير، وحاربوا كمثل أهل كوردفان، وصبروا على البلا والجوع حتى أكلوا الحمير، وليس تركوا شي. وبعد ذلك سلم النور بك[(7)] وكافت الظباط وأهل المدينة، والأنصار أخذوا الغنايم وسبوا النسوان، وخصوصاً أمراء الأشراف عملوا في الخلق شي لا يرضي الله بخصوص الحريم. وأخذوا الأموال وضربوا الديار، وقتلوا أشراف أهلها وتركوها خراب. وبحضور الغنايم لبيت المال، وحضر النور بك، والظباط، والعساكر، قابلوا خليفة المهدي [الذي] أكرم النور بك، والظباط وعفا عنهم بعد أخذ البيعة. وأما عموم العساكر سلموهم إلى حمدان

---

(1) صنادل مفردها صندل. والصندل هو الجزء الملحق بالسفينة البُخارية. يُعرف عند أهل السودان بالكبك أيضاً.

(2) المخطوط: دخالين.

(3) البقعة إشارة إلى أم دمان حاضرة الدولة المهدية.

(4) حسب رواية سلاطين أن محمد عبد الكريم عاد إلى أم درمان بعد تحرير سنار. إلا أن عملية التحرير تمت على أمير الأمراء عبد الرحمن النجومي الذي انتدب لهذه المهمة بعد إخفاق محمد عبد الكريم. انظر سلاطين. 1899. ص 237.

(5) ملازمة الفروه في الجامع هي نوع من العقوبات التي كان يفرضها الخليفة عبد الله على خصومه.

(6) المخطوط: حصارو.

(7) هو النور بك محمد. بدأ حياته العملية جندياً في الجيش التركي المصري. وعمل مع صموئيل بيكر في خط التستواء. ويوغندا في الفترة من (1869-1973م). وبعدها نُقل إلى مديرية التاكا في شرق السودان. حيث رُقي إلى منصب أميرلاى. ثم عاد مرة أخرى إلى خط الإستواء. وعام 1882م انتدب للعمل في شمال السودان لمكافحة الحركة المهدوية. وفي إطار هذا التكليف عُين مديراً على مديرية سنار عام 1884م. وقد دافع عن سنار ببسالة نادرة حيث فقد كلتا رجليه. وأخيراً وقع في أسر الأنصار. ورُحل إلى أم درمان حيث قضى باقي حياته إلى أن توفي عام 1905م. رشل هل. 1967م. ص 297.

أبو عنجه كافت السلاح. وصار الخليفة فرحان بفتوح سنار كونه حصل في أول مُلكه. وأيضاً التاكه أي كسلا بعد ذلك ما حاربت كمثل سنار سلمو، وحضروا بأم درمان، وأحضروا منهم الغنايم [71] زاد فرحه وسروره.

وبعد ذلك عُين الأمير حمدان أبو عنجه بكافت الجهادية، لأجل قتل جبال النوبه، كونهم قتلوا الشريف محمود الذي [كان] عاملاً بكردفان، قتلوه أهل جبل الداير[1]. وقد كان توجه حمدان أبو عنجه قتل جبل الداير، والغلفان، وكافت جبال جهة كوردفان، وحضر بالغنيمة وأحضر عبيد كتيره، البعض أدخلوهم جهاديه، والبعض أدخلوه بيت المال. وصار الأمير حمدان في جيش كبير من الجهادية، وأولاد العرب. وأمر الخليفة بتعـ[يـ]ين كُتَّاب لأجل حصر جيش حمدان أبو عنجه، وتوجهوا عشرة كُتَّاب من مكتب الرايا الزرقا، وحصروا الجيش، وجدوه مايه ألف مجاهد. ومدة ما كان الأمير حمدان أبو عنجه في الجبال حضر بكردفان، وتصادف محمد خالد زقل[2] حضر من الغرب، وأمر الخليفة حمدان أبو عنجه بتجريده، وجُرِّد زقل في باره وأخذ منه كافت الجهادية والأموال التي حضر بها، وأحضروا معه إلى أم درمان حتى صاروا حريم جماعة زقل يقولو:

(1) الشريف محمود عبد القادر هو ابن عم المهدي وعامله على كردفان بعد تحرير الأبيض، ولكن بعد وفاة المهدي تشكك الخليفة في ولائه للمهدية، فاستدعاه إلى أم درمان لتجديد البيعة والعهد، وعين مكانه عثمان آدم. وفي أثناء فترة استدعائه إلى أم درمان تمرد الجهادية في الأبيض، وجاهروا بالعداوة ضد المهدية، ثم هربوا إلى جبال النوبة. ويقال إنَّ محمود عبد القادر قد طلب الأذن من الخليفة لاحضار أسرته من الأبيض، ولكنه في نفس الوقت كان ينوي القضاء على تمرد الجهادية. وبعد وصوله إلى الأبيض قاد قوة عسكرية إلى جبال النِمَنْق، حيث فشل في التفاوض مع فصائل النوبة المتمردة، وأخيراً دخل معهم في معركة خاسرة انتهت بمقتله قرب جبل الداير في 20 ديسمبر 1885م. لمزيد في التفاصيل حول الظروف السياسية التي قادت إلى رفع محمود عبد القادر من عمالة كردفان انظر: محمد محجوب مالك، المقاومة الداخلية لحركة المهدية (1881-1898م)، بيروت: دار الجيل، 1987، ص 200-204. يشير سلاطين أيضاً إلى حادثة تمرد الجهادية وموت محمود. انظر سلاطين 1899م، ص 242.

(2) هو محمد خالد بن حاج شرفي بن سالة بن عبد القادر بن حاج شريف، تربطه بالمهدي صلة قرابة أو بالاحرى ابن عمه. وكان والده تاجراً بُوَدَاي ثم دارفور، حيث ولد ابنه محمد الذي تزوج من الميرم (أو الأميرة) عرفة شقيقة السلطان إبراهيم قرض. والتحق محمد خالد في بداية حياته العملية بخدمة الحكومة التركية، فاصبح مديراً لشكا عام 1879م، وأسهم في قمع ثورة سليمان بن الزبير باشا، وفي عام 1882م صار مديراً لدارا وحاز على رتبة البكوية (أي منح لقب بك)، وانضم إلى المهدية بعد سقوط الأبيض، حيث عينه المهدي مديراً على دارفور بدلاً عن سلاطين. لكن الخليفة تشكك في ولائه بعد ثورة الأشراف، فنفاه للرجَّاف عام 1889م، وبقي رهين منفاه في الرجاف إلى أن أطلق البلجيك سراحه مع محمد عثمان أبو قرجة عام 1897م، ومن هناك شدَّ رحاله إلى دارفور، إلا أن السلطان على دينار تشكك في نواياه السياسية فأعدمه عام 1903م. عون الشريف قاسم، 1996م، جـ 2، ص 1019.

«كمَّا القدر كمَّا القدر **** ما شفنا العبيد جرد زقل»

ومن بعد حصر جيش حمدان أبو عنجه، وكافت الرايات التابعة له من أولاد البلد صار تعيينه إلى القَلاّبَات[1]، وعند قيامه من أم درمان بَلَغ الخليفة أن الشيخ المرضي أبوروف[2] شيخ مشايخ عربان جهينه عصا وقصده يعدي البحر الأزرق ويدخل بلاد الحبش. صدر أمره إلى حمدان أبو عنجه بمحاربت المذكور، ومن بعدها يتوجه إلى [الـ] قلابات. ومن الضمن تعين أحمد النخيلي، وأخينا إسماعيل، ومعه إسحاق توجهوا قبل وصول جيش حمدان أبو عنجة، وملكوا الرصيرص، لأجل ما يقدر يعدي الشيخ المرضى أبو روف، وحمدان أبوعنجه أسرع بالجيوش قبل جهينه ما تعدي البحر، ودار فيهم الحرب قتلوهم أشر قتله، وأحضروا منهم الغنايم. الإبل ليس لها عدد، والرقيق ذكور وإناث شي كتير، كونه جهينه غنيه، عربان رحل بداخل الجزيرة. ومن كثرة الغنايم حمدان أبو عنجه ترك الشيخ إسماعيل الأمين بدار جهينه، وأرسل إلى أم درمان [72] للسيد يعقوب بإرسال كُتَّاب من الرايا الزرقا لأجل حصر الغنايم. من كترة الإبل صار الجمل بعشرة غروش. وقتل أبو روف وخربت ديارهم، وحضروا كافت جهينه بعايلاتهم إلى ام درمان، ومن كترة جمال جهينه صاروا يصرفوا فيهم إلى الرايات، وأما الرقيق

(1) القَلاّبَات منطقة بين نهر الدندر والرهد وعطبرة، ومركزها المتمة التي تُعرف بالقلابات على خور أبي نخيرة في سفح جبال الحبشة الشمالية الشرقية على الحدود بين الحبشة والسودان. وكان بها عدد من التكارنة الذين أقاموا لأنفسهم فيها مشيخة، ونحاساً أي أصبحوا أهل سلطة، وسيادة في المنطقة.

(2) الشيخ المرضي أبو روف من أكثر المشائخ الذين لعبوا دوراً بارزاً في الانتصارات التي حققتها المهدية في الجزيرة، ومناطق النيل الأزرق، وسبب خلافه مع الخليفة عبد الله التعايشي يعود إلى المنشور الذي أصدره الخليفة في مايو عام 1899م آمراً عُمَّالَه في منطقة جنوب الجزيرة بالهجرة إلى أم درمان في موسم عيد الأضحى للمفاكرة، وتجديد البيعة. وفي هذا المنشور أشار إلى المرضي أبي روف شخصياً بالحضور بعدته وعتاده إلى أم درمان، إلا أن المرضي تلكأ في تنفيذ هذا الطلب، لأن هجر البادية والاستقرار في الحَضَر لم يكن بالأمر الهين عليه، وعلى عربان جهينة. ومن ثم فقد جاء ردُّ الخليفة حاسماً، حيث أصدر منشوراً يعزل فيه المرضي أبي روف من الإمارة، ويصفه بالطغيان، وإثار الحياة الدنيا، ونقض العهد والميثاق. وفي ضوء هذه التهم أصدر الخليفة أمراً إلى حمدان أبوعنجة، وعبد الله ود إبراهيم، والزاكي طمل، وإسماعيل ود الأمين من مشائخ حمر، ليقوموا بإعلان الحرابة على المرضي أبوروف وأعوانه. وبالفعل تمَّ القضاء على الشيخ المرضي أبوروف في واقعة قوز الهجليج مع نفر من وجهاء قبيلته وأنصاره. ونذكر منهم: الشيخ محمد بن مالك، ومردس شيخ العلاطين، وإبراهيم ود صابون شيخ العقليين، والفقيه إبراهيم ود خالد. أما الأسرى والغنائم فقد أُرسلوا لبيت المال بإم درمان. انظر: محمد محجوب مالك، 1987، ص 256-257.

أغلبه أخذه السيِّد يعقوب، وجعل عليهم ريس منهم وفيهم اسمه الرضى سعد الآن صار عُمدة[1] جهينه في سنجه. وأيضاً الأمير يعقوب عمل بادية من هذا الجمال، وصار في نعمه كبيرة ووسع الدايره كونه أخيه ملك البلاد، وصار [مسؤول من] تنظيم المملكة وجمع المال والرجال والسلاح والخيول.

ومن بعد قتل جهينه صار قتل الكبابيش الشيخ صالح ولد فضل الله، والتوم أخيه، وخربوا ديارهم، و [بـ]قتل الشيخ صالح وأخيه وصارت عموم الكبابيش غنيمة، وأحضروا منهم أموال جسيمة والإبل شي لا يحصا، وهلكوا أشرافهم وصاروا جميعهم غنيمة، وأحضروا عموم عربانهم. وبعد ذلك عفا عنهم الخليفة بعد دخول الأموال غنيمة في بيت المال، وجعل عليهم الأمير الكبير عوض السِيَّد ولد قريش، وتحته عشرة أمرا من الكبابيش[2].

وبعد ذلك عين الخليفة الأمير يونس ولد الدكيم[3] لأجل قتلت قبيلة سليم،

(1) المخطوط: عمدت. الرضي سعد هو أحد العاملين في بيت المال، وقد كان مسؤولًا من شؤون الرقيق والمواشي.

(2) عوض السيِّد ولد قريش، عيَّنه المهدي أميراً على إمارة الكبابيش، وليس الخليفة عبد الله كما يزعم يوسف ميخائيل. أما سبب العدواة بين الشيخ صالح ود فضل الله والخليفة عبد الله فتتمثل في تعاون صالح فضل الله مع الحكومة التركية في مصر، لأنه ظل يراسل الخديوي في القاهرة، ويطلعه على أخبار المهدية، وحيثه على القضاء عليها. ويتجلى ذلك في إحدى رسائله للخديوي التي يبيِّن فيها أن أهل دنقلا قد انحازوا لمحمد الخير عبد الله خوجلي عامل المهدية على تلك الجهة، وذلك لخوفهم من بطشه ولعدم وجود حكومة تحميهم، ويطلب منه أن يرسل إليه في أقرب فرصة ممكنه ثلاثة آلاف عسكري ليضربوا جماعة محمد الخير في الضفة الشرقية للنيل، ويقوم الكبابيش بمهاجمتهم في الوقت نفسه من الضفة الغربية. ويذكر في ذات الخطاب أن «زقل الدنقلاوي [يعني محمد خالد زقل عامل المهدية على دارفور] حضر إلى بارة ومعه واحد يسمى محمد تركاوي كلهم مخالفين لأمر الشقي [الخليفة] عبد الله، إنما هو قاعد في قلة قليلة في الخرطوم، وأما كافة الجيوش من متية [أي وفاة] الشقي محمد أحمد [المهدي] فرت عنهم، وأغلب [أهل] السودان راغبين [في] الحكومة الأولى [أي التركية] ... عجلوا بالجيش المنصور لأجل قتل الشقي محمد الخير». انظر: رسالة من صالح فضل الله سالم إلى الخديوي، أرشيف مجلس الوزراء المصري، محفظة رقم 103 ملف 1/1/2/3، نقلاً عن: محمد محجوب مالك، 1987م، ص 238.

(3) هو يونس ودكيم ابن عم الخليفة عبد الله، ومن زعماء التعايشة الذين أبلوا بلاءً حسناً في نُصرة المهدية، حيث اشترك في وقائع جبل قدير، وحصار الأبيض، وتحرير الخرطوم. وبعد وفاة المهدي أضحى من أكثر المقربين للخليفة عبد الله الذي أوكل إليه عدداً من المهمات العسكرية والإدارية الصعبة في النيل الأبيض، والجزيرة، والقلابات، وأخيراً عينه عاملاً على عمالة دنقلا. وبعد هزيمة الأنصار في واقعة كرري رافق الخليفة عبد الله في رحلة المعاناة إلى مناطق النيل الأبيض، وشهد استشهاده في واقعة أم دبيكرات عام 1899م، ثم عاد إلى أم درمان ليقضي باقي عمره الزاخر بالمجاهدات السياسية، والعسكرية إلى أن وافته المنية عام 1936م، بعد عمر ناهز العشرين عاماً بعد المائة. رتشارد

والجمع[1]، توجه لهـ [م] المذكور ومعهم جهادية وأنصار أولاد عرب سرية كبيرة، حيث أنه من أقارب[2] الخليفة وله مكانة عظيمة. توجه بجيش كبير وقتل سليم، والجمع، وأحضر منهم الغنايم والأبقار والرقيق. وحضر المذكور في ولد العباس،[3] وأعطا خبر إلى الخليفة بحضوره في ولد العباس. عند ذلك كان خليفة المهدي عفا عن عبد القادر سلاطين وجعله من الملازمية المقربين، عيَّنه يتوجه إلى ولد العباس لأجل ضبط يونس الدكيم، وعرَّف عبد القادر سلاطين بأن يأخذ يونس الدكيم بالـ [لـ]ين ويحضر الغنايم الموجودة عنده بموجب كشف. وأرسله بالوابور الطاهرة وأعطاه كاتب وبعضاً من الجهادية وأولاد العرب يكونوا معه، وقد توجه عبد القادر سلاطين، وقابل ولد الدكيم، وسلموه الأمر الصادر من الخليفة بظبط الغنايم، وأخذ الأمر وامتثل[4] لذلك، وأكرم عبد القادر سلاطين غاية الإكرام. وأحضر منه [73] الكشف بحصر الغنايم، وصار عبد القادر سلاطين محبوب عند الخليفة، بعد ما كان مسجون في الساير بمكيِّه اسمها الحاجة فاطمة صار في نعمه كبيرة، وملازم عند الخليفة.

وفي سنة 1304هـ صدر أمر من خليفة المهدي بحضور كافت أهالي الجزيرة، ورفاعه أولاد أبوسن، والضبانية ود زايد[5]، والعبدضلاب ناصر ولد جماع[6]، حضروا جميعهم بكافة عايلاتهم جيوش ليس لها نظير، وصارت الجزيرة خالية من السكان. وبعد

هل، 1967م، ص 285.

(1) قبيلتا سليم والجمع هي من جملة القبائل التي رفضت الهجرة الإجبارية إلى أم درمان، ومن ثم أمر الخليفة عماله في الجهات المعنية أن يسدوا عليهم الطرقات، ويقتلوهم ويصادروا أموالهم.

(2) المخطوط: أقربون.

(3) ولد العباس هي قرية تقع علي النيل الأزرق.

(4) المخطوط: امتسل.

(5) الضبانية هم قبيلة من جهنية، يسكنون البطانة جهة القضارف والقلابات إلى حدود الحمران وغرباً إلى نهر الرهد، ومنهم مزارعون وأرباب إبل، وقد اشتهروا بالكرم حتى صار يضرب بقدح زعيمهم محمود ود زايد المثل، وأولاد زايد هم أهل الرئاسة. عون الشريف قاسم، 1996، جـ 3، ص 1353-1355.

(6) العبدضلاب (أو العبدلاب) هم فرع من قبيلة القواسمة التي تُنسب إلى مجموعة جهينة، ويُشتق اسمها من عبد الله جماع مؤسس مملكة قري شمال الخرطوم، وحليف السلطان عمارة دنقس رابع ملوك سلطنة الفونج في سنار (1504-1821م). ويتمركز العبدلاب في حلفاية الملوك، وقرّي، وشمبات، والهلالية على النيل الأزرق.انظر عون الشريف قاسم، 1996م، جـ 4، ص 1483-1485.

حضورهم بأم درمان أمرهم بالنـزول خارج أم درمان من بحري، وصار لهم ديم كبير، وأمر أخيه يعقوب يرسل لهم كُتَّاب، لأجل حصر جيش عموم الجزيرة، وعين الخليفة واحد ملازم محمد ولد منصور يكون ريس على الكُتّاب، كونه له معرفة بأهل الجزيرة، والمذكور رجل عاقل، وحسن السيرة، وهو جعلي، و [عين] أيضاً معهم الشيخ بان النقا موسى الريس الكبير، وتوجهوا الجميع لذلك المصلحة.

وكان في واحد رجل من بعض قبيلة العبدضلاب مخاصم ناصر ولد جماع، وصار يلغى في حقه عند الخليفة لأجل وقوعه في أي جريمة. قال المذكور لخليفة المهدي: «إنَّ ناصر ولد جماع ليس راضي أن يسلك كمثل الأنصار، للآن متبع في عوايد أهله زمن الملوك، لا يركب الحمار إلا الحصان، أو على هجين كمثل عادة أهله، وعنده سيف عجيب الشكل ليس له نظير، سيف قاطع من سيوف أجداده زمن ملك العبدضلاب». وكان ولد منصور دايماً يعطي أخبار أهالي الجزيرة للخليفة في حصر الجيش. عند ذلك سأل ولد منصور عن حقيقت ناصر جماع قال له: «يا سيدي إنَّ هذا الرجل متواضع لكافت أوامر سيدي الخليفة، وليس عنده كبر النفس، غير أنَّه الرجل محسود من بعض أولاد العبدضلاب على شان سيف». قال له: «باكر أحضره معك في صلاة الظهر لأجل مقابلتنا». وقد كان حضر عنده قال له: «يا ناصر جماع بلغني على أنك ليس تركب الحمار إلا الحصان، أو على هجين، إنَّ هذا عادة قديمة، وأنا عارفها، أبطل هذا العادة، واركب على الحمار، وعلى الحصان وخلافه، وأبطل العوايد القديمة. فرجني علي سيفك». أعطاه إلى الخليفة، أخذه وتفرج فيه قال له: «إنَّ هذا السيف في نظري كمثل السيوف، إنما يقولوا عنـ [ه] سيف ضارب». قال له: «نعم يا سيدي أن هذا السيف له أمر عجيب، وأصله من سيوف أجدادي، وصار أمره إليَّ من والدي، كونه سيف ضارب قتلنه به حرابت أبو روف أربعين شخص، يأخذ البندقية من بيت النار وصاحبها، وجملة من الأمرا والأنصار يشهدوا ليَّ بذلك، كونه السر في السيف عند الضرب خشمه

يوقد[1] كمثل النار، ولا يوم واحد وضعته على حجر مسن، وليس [74] يوجد له نظير». عند ذلك قال له الخليفة: «أخذ سيفك يا ناصر مبارك عليك هذا السيف، وأنا عفوت عن عموم أهل الجزيرة لأجل خاطرك، يرجعوا كافت القبائل إلى ديارهم، ويعمروا أوطانهم كما كانو، كونك رجل صادق وأمين». عند ذلك حصل الفرح والسرور بالفرج الذي حصل لهم، وكان أسبابه السيف. قاموا حالاً رجعوا إلى أوطانهم وعمروا ديارهم.

ومن بعد وصولهم[2] بمدة أرسل الخليفة أحمد ولد علي[3] من التعايشه ومعه أمرا من أولاد البلد، وضم عليهم ناصر ولد جماع، وبعضاً من أمرا الجزيرة، و [لـ]يحصلوا جيش حمدان أبوعنجه في القلابات، ويكونوا تحت أمره لأجل محاربة[4] الحبش. وأما كافت أمرا الكبابيش وأمرا جهينة تبع أبا سام تعـ [ا]يشي، وصار عليهم ريس ربع. وبعد وصول أحمد ولد علي عند حمدان أبو عنجه قام الأمير حمدان بكافت الجيش، ودخل أرض الحبشة لحد مدينة قندر[5]، [و]قتلوا فيهم مقتلة عظيمة، ومن الضمن وجدوا في المدينة أربعة قساوسه[6]، وبأيدهم الكتب الدينية، والذين وجدوا القسس عبد الرحيم أبو دقل، وعبد الله ولد إبراهيم، لما نظروا على القسسين بأيدهم الكتب وليس خافوا من أي إنسان، أوقف على المذكورين عبد الرحيم أبو دقل حراس لأجل ما يدخل عليهم إنسان ويقتلهم، وتوجه للأمير حمدان أبوعنجه وأعطاه خبر القسسين وبأيديهم[7] الكتب، وفي

(1) المخطوط: يقيد. يعني أن الشرر يتطاير من حوافه.

(2) المخطوط: وصلوهم.

(3) هو أحمد ود علي ود أحمد من التعايشة الجبارات، وأحد أبناء عمومة الخليفة عبد الله التعايشي، ومن أمراء المهدية المشهود لهم بالبسالة الحربية والتآمر على الخصوم. ويقال إنَّه لعب دوراً مهماً في إعدام الأمير الزاكي طمل، لأنه اتهمه بالتآمر مع الطليان لتسليمهم كسلا بشرط أن يكون حاكماً عليها. وبعد رفع الزاكي، وإعدامه عُيِّن أحمد ود علي عاملاً على كسلا، حيث واصل الحرب ضد الطليان إلى أن قُتل قرب أغردات عام 1893م. رتشارد هل، 1967م، ص 29. لمزيد من التفاصيل عن الصراع السياسي الذي نشب بين الزاكي طمل وأحمد ود علي انظر: محمد سعيد القدال، المهدية والحبشة: دراسة في السياسة الداخلية والخارجية لدولة المهدية (1881-1898م)، ط 1، بيروت: دار الجيل، 1992، ص 155-161.

(4) المخطوط: محابرة.

(5) يقصد مدينة غندار عاصمة الدولة الحبشية آنذاك.

(6) المخطوط: قسس.

(7) المخطوط: ابديهم.

صلاتهم، ولا خافوا من أي إنسان هل يجوز عليهم القتل؟ قال له: «لا يجوز قتلهم، بل اتركوهم، ولا تأخذوا من منازلهم أو كنيستهم أي شي. أن هذا أهل الكتاب حرام عليكم قتلهم». قال عبد الرحيم أبو دقل رجعت عندهم وقلت لهم: «عليكم الأمان من أمير الجيوش حمدان أبوعنجه». قال المذكور: «عرفوني أنكم موعدني بحضوركم إلى هذا المدينة ومنها ترجعو». يمدح الرسول في حقهم عبد الرحيم [أبودقل] من السبات وعدم الخوف، ولهم وجوه تضي كمثل الأقمار، وبالكلام الذي سمعه منهم أيضاً أخبر به حمدان أبو عنجه، بل أخذوا الغنايم من تلك الديار، وأحضروا أحباش كتيره رجال ونسا، وأموال ورجعوا إلى القلابات بوقته.

وأما عبد الرحمن النجومي[1] تعين إلى دنقله[2]، ومعه جيش كبير جرار، وحضرت عندهم جردت الإنجليز في أبو طليح[3] توجهوا لهم الأنصار فما كان من الإنجليز ضربوا [75] الأنصار، وقتلوهم أشر قتلة، ومن بعدها أخذوا ذخايرهم ورجعوا بها، وحضروا بعض الأنصار مكسرين من ضرب الرصاص، وفَضَل عبد الرحمن النجومي مقيم في دنقلة. ومن بعد مدة كبيرة أمره الخليفة بفتح الجهات المصرية، وأرسل له الجيوش الكفاية، وتوجه بهم كونه صار عنده جيش جرار وفرسان معدودين لأجل الحرب والقتال، وعندما

---

(1) هو عبد الرحمن ود النجومي، أمير أمراء المهدية، وقائد الرَّاية الحمراء التي تضم معظم قبائل شمال السودان. انضم إلى الثورة المهدية عام 1881م، ولعب دوراً مهماً في تمكين الدعوة وبناء الدولة. وبعد تحرير الخرطوم أوكلت له مهمة تأمين الجبهة الشمالية، وفتح مصر، إلا أنه هُزم هزيمة نكراء أمام القوات الانجليزية-المصرية في واقعة توشكي عام 1889م، واستشهد في ذات الواقعة وشتت شمل قواته. رتشارد هل، 1967م، ص 17.

(2) يطلق اسم دنقلا على المديرية الشمالية التي كانت تتخذ من مدينة دنقلا العرضي حاضرة لها. وتقع دنقلا العرضي (أو الأوردي) بين حظي 29: 30 شمالاً، و10: 19 شرقاً، وقد سميت العُرضي تميزاً لها عن دنقلا العجوز التي كانت عاصمة النوبة السفلى (أو الجزء الشمالي من سودان وادي النيل) قبل الإسلام.

(3) إشارة إلى الحملة التي أُرسلت لأنقاذ غرودن تحت قيادة ولسلي باشا.

وصل إلى حلفا[1] وفات دبروسه[2] قتل بجهة كورسكو[3] هو وجيشه، ليس طلع منهم إلا من كان له عمر طويل . والحكومة أخذت منهم أسرا كتيره، وغنايم عظيمه، وانتهى أمره. وقد تعين عوضاً عنه مساعد قيدوم[4]، وزقل إلى دنقله، ويونس الدكيم إلى بربر.

وأما عثمان دقنه[5] من وقته في سواكن مرابط[6] عليها، والخليفة أرسل له سريه كبيرة

(1) حلفا مدينة صغيرة في شمال السودان، وتقع بين خطي 55: 21 شمالًا، و 19: 31 شرقاً، وكانت معسكراً لجيوش الأنصار المرابطة في الحدود الشمالية، ثم اصبحت عاصمة لمديرية حلفا في أوائل العهد الإنجليزي المصري (1898-1956م)، ولكن عندما ضُمت مديرية حلفا إلى المديرية الشمالية اضحت دنقلا العرضي هي العاصمة وحلفا مقراً لنائب مدير المديرية.

(2) المخطوط: دبارسوه.

(3) المخطوط: كرسكي. كورسكو هي بلدة صغيرة، ويربطها بأبي حمد طريق تجاري شهير طوله نحو 400 ميلًا. وقد اتخذت القوات الإنجليزية المصرية من كورسكو مركزاً عسكرياً، وبعد انشاء خط السكه الحديد بين حلفا، وأبي حمد تحولت إلى مخرن لوقود (الفحم الحجري) البواخر النيلية التي كانت تعمل بين أسوان وحلفا.

(4) هو مساعد قيدوم من زعماء الهبَّانية في دارفور، درس مبادئ الفقه، والقرآن في خلوة الفقيه محمد علي تورشين في دار الرزيقات، ثم انتقل مع أستاذه إلى دار الجمع غرب الدويم، وأخيراً انضم إلى الثورة المهدية في جبل تقلي عام 1882م. واشترك في تحرير الأبيض والخرطوم، وحارب ضد الإيطاليين في شرق السودان، ثم شهد واقعة الحفير عام 1896م، وواقعة كرري عام 1898م. وأخيراً قبضت عليه القوات الإنجليزية المصرية عام 1899م، وظلَّ رهين المحبس السياسي إلى عام 1920م، وبعد أن أُخلي سبيله عُين عمدة في دار الهبَّانية بدارفور، وتقاعد عن العمل عام 1932م، ووافته المنية بعد عامين من تاريخ تقاعده. رتشارد هل، 1967م، ص 285.

(5) هو عثمان أبوبكر محمد علي دقنه، ويقال أن أصله يرجع إلى رجل من الأكراد الذين جاءوا إلى سواكن مع السلطان العثماني سليم الأول عام 1518م، وتصاهر هو ومن خلفه من الذرية مع الهدندوة والبشارياب، وكونوا أسرة دقنة المعروفة في شرق السودان. وكان في بادئ حياته يعمل تاجراً في منطقة البحر الأحمر، وفي عام 1877م قبض عليه الإنجليز بتهمة العمل في تجارة الرقيق (النخاسة)، وسُلِّم إلى السلطات التركية-المصرية التي سجنته، وألحقت به خسائر مادية فادحة، فحقد على الانجليز والأتراك، ومن ثم ناصر الثورة العرابية، وسعى لتفعيلها في سواكن إلا أنه لم ينجح فطردته السلطات المحلية، فذهب إلى الأبيض وبايع المهدي 1883م، وعيَّنه المهدي أميراً على الشرق، فرجع إلى جبال البحر الأحمر حيث جمع البجا تحت لواء المهدية. واكتسح حامية سنكات عام 1884م، واستولى على طوكر عام 1886م، ولقن القوات البريطانية درساً قاسياً في وقائع هندوب، وبعد ذلك شهد واقعة عطبرة (النخيلة)، واشترك في المعركة الفاصلة في كرري عام 1898م، إلا أنه عندما شعر أنَّ كفَّة القوات الغازية هي الراجحة انسحب إلى جبال البحر الأحمر، وقُبض عليه عام 1900م، وسجن أولاً في رشيد بمصر، ونقل إلى سجن ليمان طرَّة في الدلتا، ثم قضى باقى عمره الزاخر بالمجاهدات بسجن وادي حلفا في شمال السودان، حيث انصرف للعبادة ومجاهدة النفس، وأذنت له السلطات البريطانية بعد تمنع بأداء شعيرة الحج عام 1924م، وبعد ثلاثة أعوام من زيارته للأراضي المقدسة توفى بمنفاه في وادي حلفا. واحتلفت البلاد بنقل رفاته من وادي حلفا إلى أركويت في منطقة البحر الأحمر في أغسطس 1963م. لمزيد من التفصيل انظر، رتشارد هل، 1967م، 367-368؛ حسن دفع الله:

Hassan Dafallah, The Nubian Exodus, London: C. Hurst & Company, 1975, pp. 38-41, 262-66.

(6) المخطوط: مرباط. وسواكن هي ميناء قديم العهد على البحر الأحمر، ويربط السودان خارجياً بالحجاز والهند ومصر، وداخلياً عبر مدينة بربر بعدد من المدن التجارية، ويقع الميناء على خطي 7: 19 شمالاً، و20: 37 شرقاً، ويقال أن أصل الكلمة هندي معناها المدينة البيضاء، أو مدينة الأمان، أو بر السلام، لأنها كانت أول ميناء في ذلك الوقت تصل إليه السفن من الشرق الأقصى. نعوم شقير، 1967م، ص 121-124؛ وضرار صالح ضرار، تاريخ سواكن والبحر الأحمر،

تحت أمره لأجل الجهاد بهم من سواكن إلى التليان[1]. وأما كوردفان بعد قتل الشريف محمود كان بها وكيله من الأشراف، تعين عوضاً عنه إبراهيم ولد الشريف، وليس أقام بها كتير حتى تعين إلى جهة دار قمر، وحضر عوضاً عنه إبراهيم القيصر، وأمين بيت المال علي ولد الهاشمي، وليس أقام كتير حتى تعين بدلاً عنه الختـ [يـ]م موسى[2]، وأقام في كوردفان. عربي دفع الله[3] وحاج محمد أبو قرجه[4] تعينوا إلى بحر الجبل الرجاف.

وأما ما كان من أمر الأمير حمدان أبو عنجه عندما رجع من بلاد الحبشة صار يتعلم في العلوم الدينية على يد الأمير الحاج مرزوق الشايقي[5] يأخذ منه الدرس في العلوم

الخرطوم: دار الكتب السودانية، 1991م، ص 25.

(1) يقصد بالتليان الإيطاليين الذين احتلوا كسلا في نهاية القرن التاسع عشر. وأحياناً يكتب المصطلح بالطاء: الطليان.

(2) هو الختيم ود موسى أحد أمراء المهدية من التعايشة الحازمية، اشترك في تحرير الأبيض عام 1883م، وقضى على فتنة يوسف إبراهيم قرض بدارفور، واشترك مع الأمير محمود ود أحمد في تهجير أهالي قرى كردفان، وانضم إلى الجيوش المرابطة على النيل لحماية الحاضرة أم درمان عام 1897م، وأبلى بلاءاً حسناً في واقعة كرري، وبعدها رافق الخليفة في رحلة المعاناة إلى مناطق النيل الأبيض، حيث جُرح في واقعة أم دبيكرات عام 1899م، وأطلق سراحه بعد فترة أسر قصيرة، وعاش حتى وافته المنية عام 1914م. رتشارد هل، 1967م، ص 201.

(3) هو عربي دفع الله، من قبيلة التعايشة، ومن أوائل المنخرطين في الدعوة المهدية، وأمراء الراية الزرقاء المشهود لهم بالكفاية العسكرية. قضى الجزء الأول من حياته المهدوية عاملاً في صفوف الأنصار بعمالة دنقلا. وفي عام 1890م عُين أميراً على الاستوائية خلفاً للأمير محمد عثمان أبوقرجة، حيث استبسل في الدفاع عن الحدود الجنوبية ضد أمين باشا والغزو البلجيكي، لكنه هُزم بواسطة البلجيك عام 1897م، وبعدها انسحب الأمير عربي دفع الله مع نفر من رجاله من الاستوائية إلى دار التعايشة، حيث ناصر السلطان علي دينار، وبقي في صحبته إلى أن توفي عام 1915م، وبعض المصادر تشير إلى أنه أُعدم بواسطة علي دينار. رتشارد هل، 1967م، 58.

(4) هو محمد عثمان أبوقرجة، من الدناقلة الجابرية بالقطينة، بدأ حياته بالعمل التجاري والملاحة في شركة العقاد في المديريات الاستوائية، ثم انتقل إلى خدمة الزبير باشا رحمه وإدريس ابتر الدنقلاوي في بحر الغزال. وانضم إلى المهدية في مرحلة مبكرة، واشترك في انتصاراتها في كردفان، وتولى دوراً قيادياً في القضاء على حملة هكس باشا عام 1884م وتحرير الخرطوم عام 1885م. ولقبه المهدي بأمير البحرين (أي النيلين الأزرق والأبيض)، وبعد تحرير الخرطوم أصبح أميراً للأمراء، وعاملاً على الجزيرة بسنار، وانتدب لكسلا لرد غارات الإيطاليين، ثم عُين أميراً لبربر، ومنها انتدب للعمل تحت إمرة عثمان دقنه لمساعدته في إنجاد جيوش المهدية بسواكن. ويقال أن الإنجليز عرضوا عليه التعاون معهم لكنه رفض. وأخيراً تشكك الخليفة عبد الله في نواياه السياسية فاستدعاه إلى أم درمان، ثم عينه أميراً على الرجاف، وبعث بعربي دفع الله لعزله والحلول محله، وسجنه إلى أن افرج عنه البلجيكيون بعد احتلالهم الرجاف عام 1897م، وبعد اطلاق سراحه ذهب إلى الفاشر، وعمل في خدمة السلطان على دينار، وأخيراً عاد إلى وطنه الأم، وحاول الاشتغال بالزراعة في منطقة أم غنيم بالنيل الأبيض حيث عُيِّن عمدة على دناقلة وجابرية المنطقة إلى أن توفي في أم درمان عام 1917م. رتشارد هل، 1967م، ص 269.

(5) هو الحاج مرزوق الشايقي، من علماء العهد التركي الذين خاطبهم المهدي فاستجابوا لدعوته، لكنه ظل في حوار دائم مع المهدي حول القضايا الخلافية. ويقال إنّه سأل المهدي ذات مرة: «معلوم أن المذاهب هي أربعة: الحنفي،

حتى أنه تنور فكره بذلك، وفي ذات يوم هو في مجلس كبير، ومعه الأمرا والأنصار، وحضر عنده حاج مرزوق وقال له:»السلام عليك يا سيدي». قال له: «يا و [ا]لدنا حاج مرزوق تاني لا أحداً منكم يقول لي يا سيدي، بل أنا عبدكم، كان في الزمن الغابر نخدمكم ونشيل السن[1] على رأسي لكم». قال له: «حقيقي كنت عبداً لنا، والآن صرت سيداً علينا، ربنا أعطك الملك يجب علينا طاعتك، ونقول لك يا سيدي، إذا كان نحن لا نعتبرك لنا سيداً من يعتبرك؟». سكت عند ذلك حمدان أبو عنجه، إنما من نور العلم الذي تعلمه صار ينكر في ضميره مسألة المهدية، وسفك الدماء، وضمر أنه يدخل الحبشة أو التليان بجيشه ولربما تفوه[2] بهذا الكلام، حتى أنه بلغ مسامع الأمير يعقوب أو حصل له الحسد من أولاد التعايشه، حتى أنهم بلغوا الأمير يعقوب بذلك الأمر، وقد يكون أن السيد يعقوب عرف الخليفة بذلك الأمر. [76] وبعد ذلك فما كان من يعقوب أرسل إلى حمدان أبو عنجه سراري من الخدم المولدة[3] وعليهم حرمة كبيرة، ومتقدمة في السن، بصفة هدية لمحبتهم فيه، وأعطا تلك الحرمة التعليمات[4]: أعطاه شربه داخلها سم بعد إقامتها معهم، وتأخذ مدة، وتبذل كل جهدها في تقديم هذا الشربة له لأجل أعدامه سراً. وقد كان وصلت تلك الحرمة مع الخدم السراري[5] ولتنفيذ القضا والقدر، أدخلت عليه الحيلة[6]، وأخذ الشربه، ومن بعد شربها شكا من مصارينه. وحضروه

والشافعي، والمالكي، والحنبلي، ماهو مذهب المهدي»؟ فردَّ عليه المهدي بقوله: «هؤلاء الأئمة جزاهم الله، درّجوا الناس واوصلوهم إلينا، كمثل الراوية وصلَّت الماء من منهل إلى منهل حتى وصلت صاحبها البحر، فجزاهم الله خيراً، فهم رجال ونحن رجال، ولو أدركونا لاتبعونا، وإنَّ مذهبنا هو الكتاب والسُّنّة والتوكل على الله، وقد طرحنا العمل بالمذهب ورأي المشائخ». لمزيد من التفصيل انظر: أحمد إبراهيم أبوشوك، «منجهية التشريع المهدوي في السودان (1881-1898م)، كتابات سودانية، العدد 7، مارس 1999م، ص 10-30.

(1) إشارة إلى سن الفيل، وهي واحدة من عروض التجارة التي كانت رائجة في السودان التركي المصري، ويعني ذلك أن حمدان أبوعنجة كان في خدمة الجلابة الذين اشتهروا في مجال العمل التجاري آنذاك.

(2) المخطوط: تفوح.

(3) أي المولدات، والمولدة أيضاً صحيحة في حالة الجمع لكنها أقل شيوعاً.

(4) المخطوط: التلعمات.

(5) المخطوط: السراير.

(6) المخطوط: الحلية.

الحاج مرزوق الشايقي، وعبد الرحيم أبودقل، وتوفا لرحمت الله تعالى[1]. وحضر لنا الخبر في البوسطة[2] من أحمد ولد علي التعـ [ا]يشي بوفات حمدان أبو عنجه.

عند ذلك الخليفة أمر يعقوب بأن يجمع كافت أمرا الرايه الزرقا، ويحضروا أمام الخليفة، وأخيه عبد المولا صابون المقيم بالكاره لأجل أعطاهم خبر وفات حمدان أبو عنجه. وكان بالتصادف أنا عيان بصدري، وأرسلت إلى واحد بصير اسمه ولد الكناني، حضر وكواني بالنار في صدري، وأمرني بعدم القيام إلا بعد أربعين يوم. ليس مضت عليَّ إلا عشرة أيام حتى وحضر خبر وفات حمدان، وما نشعر إلا مرسال الأمير يعقوب حضر عندي وقال: «سيدي يرغب حضورك حالاً». ليس يمكني التأخير أو المخالفه، بل وتوجهت له وأخبرني بالأمر وقال لي: «أجمع الأمرا على حسب أمر خليفة المهدي». قلت له: «ياسيدي أنا عيان بصدري، وكواني البصير بالنار». قال» «هذا أمر الخليفة يا يوسف». قلت له: «حاضر السمع والطاعة». عند ذلك قال: «تعالى». رجعت عنده، قال ليّ: «إنَّ هذا الأمر ضروري، وإذا كان أنا عارف الكُتَّاب فيهم إنسان مقتدر كنت أرسلته، إنما أنت عارف كافت الأمرا ومنازلهم أتوجه، وأحضرهم وربنا يشفك». وقد كان دخلت الجامع، الذين وجدتهم أعطتهم الخبر بالحضور أمام الخليفة بعد صلاة المغرب، وعن كل واحد منكم يعطي الخبر لإخوانه لأجل الحضور. وتوجهت إلى عبد المولا صابون، وعرفت بأن الأمير يعقوب يطلب حضوركم بمنـزله. إنَّ هذا كما عرفني طلبه يكون مخصوص لوحده، وقد كان حضروا كافت الأمرا، وذلك بخلاف أمرا الخليفة علي ولد حلو أرسل لهم الخليفة من عنده رسول لوحدهم. واجتمعت كافت الناس، وطلع الخليفة على المنبر وصار يذاكر الناس بوفات الأمير حمدان أبو عنجه. فقد أظهروا

(1) لا يؤيد القدال رواية يوسف ميخائيل حول سبب وفاة حمدان أبو عنجة، بل يذهب إلى القول: إنَّ وفاة حمدان كانت «فجأة نتيجة علة في بطنه تناول لها بعض الأدوية المحلية من الأعشاب فأودت بحياته». وذلك في 29 يناير 1889م الموافق 27 جمادى الأولى عام 1306 هـ. راجع: محمد سعيد القدال، 1987م، ص 124.

(2) يقصد البوستة أو وسائل البريد التي كانت سائدة في ذلك العصر. وكانت البريد ينقل بواسطة الدواب (أو الجمال على وجهة التخصيص) التي يستغلها مجموعة من عمال البريد الذين يعرفون الهجانة، ويلعبون دوراً مزدوجاً يتمثل في توزيع البريد وتقديم تقارير سرية للحكومة المركزية عن العاملين في الأقليم.

حزنهم عليه وفي مَنْ بكى [77] بكا الكاهنة، وتفرقت الجموع، وارتاح يعقوب لهذا الأمر كونه ليس سبق إلى أي واحد أمير عملوا له كمثل ما عمل لوفات حمدان أبو عنجه، جمعوا له كافت الأمرا لأجل وفاته.

وبعد ذلك صدر الأمر من الخليفة إلى أحمد ولد علي يكون هو أمير الجيوش بالقلابات لحين حضور الزاكي طمل. من بعد مدة كبيرة تعين الزاكي طمل من أم درمان يستلم من أحمد ولد علي [و] يكون هو الأمير القايم بالأمر، [و] أحمد علي يكون وكيل عليه في أشغال الجيش، ويكونوا يداً واحده.

وبعد ذلك صدر الأمر من خليفة المهدي لأخيه الأمير يعقوب بأن كافت أولاد الريف، والمغاربة، وأولاد الترك، والجعافرة يكون لكل قبيلة أمير، وعن كل قبيلة تكون لوحدها قايمة بأمرها بدون تداخلهم في القبائل الغير. وقد كان عند صدور الأمر طلعت كافت الأنصار من الرايات، وعن كل قبيلة اجتمعت لوحدها، وجعلوا لهم أمير.

ومن الضمن نحن الأقباط اجتمعوا أهلـ [يـ]تنا الذين بالرايات الغير محل واحد وقصدهم يعملوا لهم أمير. عند ذلك اجتمعوا إخوانا الكبار، ومن هم أكبر منا في السن، وعقدوا رأيهم لا يكون علينا أمير إلا يوسف مخاييل، لا نرضى بخلافه. وقد كان حضروا عندي بالمنـزل ساعة المغرب من بعد شرب الشاي والقهوة قالو: «نحن حضرنا عندك لأجل ما تكون أمير علينا في القبيلة». قلت لهم: «أنا أشغالي كتيرة بمكتب الرايه الزرقا، وبيت المال، وطلبات اسيادنا». ليس قبلوا مني ذلك، بل توجهوا إلى أخينا إسكندر، وعرفوه بحقيقة الأمر. قال لهم: «يوسف لا يقبل منكم ولا مني ذلك بل نحن الجميع نتوجه إلى الشيخ بان النقا موسى هو الذي يقدر عليه». وقد كان تاني عند المغرب أيضا حضروا بمنـزلي إبراهيم خليل، وإسماعيل بولص، ويوسف عبد الملاك، ورزق الله حبشي، وغالي عبد الملاك، واسكندر، والشيخ بان النقا، مع الجميع، وفتحوا معي الكلام قلت لهم كمثل السابق. وقالو: «إذا كان القبيلة أرادت تقتل ابنها تقلته، ونحن

ليس نرضا بخلافك». والشيخ بان النقا قال ليَّ: «إذا رضيت بخاطرك أو نتوجهوا للأمير يعقوب ما دام أهلك حضروا أجبر بخاطرهم». بعد كلام كتير، أخيراً غلبوا علي ورضيت إنما قلت لهم: «أنا ليس نرفع رايا، بل تكون مقدميه وعندها مقاديم على الأنصار». قالو: «هذا ترتيبك أنت ما دام قبلت بأن تكون الريس علينا أنت مخير». وقد كان يوم الجمعة حضروا في العرضة بكافت الأقباط، ونقزو[1] أمام الأمير يعقوب وقالوا له: «نحن قدمنا يوسف علينا باركه». قال لهم: «بارك الله فيه عليكم». قال الأمير يعقوب: «ضروري يكون لك وكيل». قدمت يوسف نسيم قلت له: «هذا [78] الوكيل». قال: «يا يوسف نسيم لازم تقوم بالأمر، وتسمع أمر يوسف كونه مشغول دايماً عندنا في مصالح الدين، ولأجل أهلكم قبلت لهم فيه». وقد كان بعد العرضا نـزلنا، وتفرقت الجموع كل واحد راح إلى منـزله.

وفي سنة 1305هـ ظهر بالغرب رجل ساحر اسمه أبوجميزه[2] بجهة تامة غرب الفاشر معه جموع كتيره على قدر ما أرسل له عامل الفاشر عثمان جانو[3] ناس يقتلهم، أخر شي جند جيش كبير، وأرسله له قتل فيهم مقتلة شديدة، وظهر أمره واشتهر أبوجميزا، حاضر يقتل الفاشر ويملك عليها. وبلغ خبره إلى الخليفة من الأمير عثمان ولد آدم التعـ [ا]يشي[4]. فما كان من الخليفة جند سرية كبيره من كافت الرايات،

---

(1) أي وثبوا، أو رقصوا أمام يعقوب فرحاً.

(2) هو أحمد أبوجميزه، من زعماء المساليت في دارفور، أدعى أنه الخليفة الثالث للمهدي، وجمع حوله نفراً من المعارضين لحكم الخليفة عبد الله، ونذكر منهم: أبو الخيرات إبراهيم قرض، وإبراهيم الولي من بني هلبة، وجموع من الماهرية، والزغاوة، والميدوب، وبني حسين، واستطاع بفضل تأييد هؤلاء أن يهزم جيوش المهدية بقيادة الختيم موسى، ومحمد بشارة، وهزم أيضاً قوات عبد القادر دليل، إلا أنه أصيب الجدري، وتوفي في فبراير 1889م. فتولى القيادة اخوه صاغة وأبوالخيرات إبراهيم قرض إلا أن قواتهما هُزمت في فبراير 1889م، نتيجة للحملات العسكرية المكثفة التي شنها ضدهما الأمير عثمان آدم عامل دارفور. رتشارد هل، 1967م، ص 34.

(3) المخطوط: هو عثمان آدم. انظر الترجمة ص 71/165.

(4) هو عثمان آدم المشهور بجانو (1866-1889م)، من أقرباء الخليفة عبد الله التعايشي، وأمراء المهدية المشهود لهم بالكفاية العسكرية. عُيِّن عام 1886م عاملاً على عمالة كردفان، وقاد الحملة التأديبية على الكبابيش التي انتهت بقتل زعيمهم صالح فضل الله سالم في جبل العين عام 1887م. وانضم إلى كرم الله الكركساوي في شكا، وعُيِّن عاملاً على عمالة الغرب (دارفور وكردفان)، برتبة أمير الأمراء. وقضى على فتنة أبوجميزة قرب الفاشر عام 1889م، وتوفي بعد ذلك بقليل، وخلفه محمود ود أحمد على إدارة عمالة الغرب. رتشارد هل، 1967م، ص 367.

وجعل عليها الريس الأمير الكبير حامد مجبور التعـ [ا]يشي. وتصادف كان أخينا إسماعيل، وإسحاق حضروا من الرصيرص، كان إسماعيل عيان، وأخذ إذن من الأمير يعقوب بالحضور لأجل المعالجة. لما جندوا السرية الخليفة أخبر أخيه يعقوب: «عايزين كاتب لسرية حامد مجبور»، عند ذلك يعقوب عَرَّف الخليفة، قال: «إسماعيل حضر من الرصيرص عيان، إذا كان وجدته طيب هو الذي يكون كاتب ووكيل لحامد مجبور، كونه كان مع أحمد النخيلي في حرابت أبو روف». ونحن على حين غفلة حضر رسول يعقوب يطلب إسماعيل. عند وصوله سأله: «هل للآَن أنت عيان؟» قال له: «أنا ملكت صحتي». قال له: «طالبك خليفة المهدي». قاموا سوياً ودخل يعقوب على أخيه، وأخبره بحضور إسماعيل طلبه الخليفة، دخل عليهم عند ذلك الخليفة عَرَّف إسماعيل: «أني عينتك كاتب لسرية حامد مجبور ووكيل له كونه ظهر رجل في الغرب اسمه أبو جميزه، ويمدكم عثمان ولد آدم بسريه كبيره». وأيضاً أرسل إلى حامد مجبور، وحضر عندهم في تلك الساعة، وقال: «ياسماعيل أنت كاتب السريه، وإنما وقت الحرب أنت الذي تكون قايد الجيش، كونه حامد مجبور قبل ذلك ليس دخل الحرب، وأنا سلمتك أمر السرية».

وتاني يوم طلع[1] الخليفة للهجرة في القصير بجوار بر أبوالبتول الذي بالقرب على مقرن البحر[2]. وطلعت كافت الأنصار والأمرا المسافرين، وأيضاً الجهادية وعليهم واحد أمير، وأعطاهم البيعة وأمرهم بالجهاد في سبيل الله، وقتل أبو جميزه ومن معه. و [قال]: «اسمعوا يا كافت الأمرا إن كاتب السرية، ووكيل حامد مجبور إسماعيل إبراهيم، اسمعوا كلامه، وأطـ [يـ]عوا أمره، وسافروا على بركة الله تعالى». وقد كان سافروا من أم درمان، وأخذوا عايلاتهم، وقصدوا طريق [79] الفاشر بطريق باره، عند ذلك إسماعيل أرسل واحد مخصوص لأجل حضور أخيه إسحاق من شاة، كان توجه لها لأجل أشغال، وعَرَّفه بحقيقة الحال بالسفر إلى الفاشر حالاً. قام إسحاق وتوجه قابل أخيه في

(1) المخطوط: تطلع.

(2) يقصد بمقرن البحر ملتقى النيلين الأبيض والأزرق في الخرطوم.

باره، وسافروا سوياً كونه لا يقدروا يتفرقوا عن بعضهم، دائماً يكونوا في حالت السفر مع بعضهم. وقاموا من باره، وهما مسافرين لغاية ما وصلوا إلى الفاشر، قابلهم الأمير عثمان ولد آدم بأحسن مقابله، وبعد أخذ الراحه الأمير عثمان آدم عين معهم سريه كبيره فيها جملة أمراء كبار، كمثل العطا ولد اصول الشايقي،[1] وعبد القادر دليل،[2] وعبيد الحاج أحمد البدوي[3] وجملة أمراء وجيش كبير، وتوجهوا إلى أبو جميزا [و] حاربوه مراراً، وصار القتل في الجيش. وكان ذات يوم عملوا غفر ميت، وثارت[4] النوبه علي حامد مجبور وإسماعيل ومعهم ماية من الأمرا، تأخروا عن السريه، غفر ميت، بمسافة بعيدة عن العادة والسريه مسافره بعيد عنهم. وفي آخر الليل هجم أبو جميزه بجيشه الجرار، ودار الحرب بينهم حتى قتل حامد مجبور، وإسماعيل، وسبعه وأربعين أمير، أما الأنصار شي كبير، وأبو جميزه كسب منهم الهجين الذي كان راكب عليه إسماعيل، وغنموا الخيول والسلاح. وبلغ خبرهم أمرا السريه رجعوا عندهم العطا أصول، وعبد القادر دليل، والضو ولد الخواجيه، وإسحاق، وبعضاً من الأمراء، وجيش من الأنصار، وجدوا الأموات دفنوهم. ومن بعدها دار الحرب مع أبو جميزه قتلوا في جيشه خلق كتير.

ومن بعد ذلك فما كان من إسحاق جمع عايلات الأمير حامد مجبور، وعايلة

---

(1) العطا أصول من شايقية حجر العسل (1842-1898). تعلم الضروري من الدين. ثم انخرط في سلك جنود الباشبوزق. واشتهر بكفايته العسكرية حتى رُقى إلى رتبة سنجك لأحد فرق الباشبوزق بدارفور. ولما انتدب محمد خالد زقل أميراً على دارفور سلم له العطا أصول. وبايعه. وأخلص للمهدية. ولقب أميراً. ورافق الشريف محمود عبد القادر. وحارب معه الجهادية الذين ثاروا بالأبيض. ثم بعد ذلك انتقل إلى أم درمان. وظل وفياً للمهدية إلى أن استشهد في واقعة النخيلة عام 1898م. عون الشريف قاسم. 1996م. جـ 4. ص 1575.

(2) هو عبد القادر دليل أحد أمراء المهدية المشاهير. تولى إمارة غرب دارفور في عهد الأمير عثمان آدم. اشترك في حروبات المهدية ضد الثائر أبوجميزة لكنه لم يوفق في القضاء على الثوار. بعد وفاة الأمير عثمان آدم عام 1890م. تمّ استدعاؤه للفاشر لكي يصرف الشؤون الإدارية لحين وصول الأمير محمود ود أحمد. وصحب جيش محمود ود أحمد في رحلته إلى النيل. واستشهد في واقعة النخيلة عام 1898م. رتشارد هل. 1967م. ص 12-13.

(3) هو عبيد الحاج أحمد البدوي. من زعماء البديرية الدهمشية في وسط كردفان. أعلن ولاءه للثورة المهدية في مرحلة مبكرة. واشترك في معظم مجاهدات المهدية في كردفان ضد الحكم التركي. وبعد تحرير الخرطوم رافق جيش حمدان إلى الحدود الحبشية مع نفر من أمراء البديرية. والشويحات أمثال: النصري عالم. وصالح عبد الجبار. وسلامة عبد القادر. إلا أنهم جميعاً استشهدوا في ساحات القتال مع الأحباش. ما عدا عبيد الحاج الذي توفي في العهد الانجليزي المصري. أحمد إبراهيم أبوشوك. 1998م. ص 58.

(4) المخطوط: صارت.

أخيه، وحضر بهم من دار تامه إلى الفاشر بعد كل مشقه، وتعب شديد، ومحاربات في الطريق، القوي يأكل الضعيف. عندما وصل الفاشر قابل الأمير عثمان ولد آدم وسلموا عايلات ابن عمه حامد مجبور، وشكر إسحاق على ذلك، وأنـزله أحسن منـزله عند كاتبه الخصوص إبراهيم محمد. وبعد أخذ الراحه طلب منه السفر، والمساعده في الرواحل، اعطاه كفايه، وأعطاه أمر بيده لعدم المعارضه له في الطريق حتى وصلوا كوردفان والفشليك[1] على بطنه من دار تامه إلى كوردفان، حضر ونـزل عند أهلنا الأقباط حتى أنهم جبروا عليه بحل الفشليك لأجل أخذ الراحه. ومن كوردفان حضر في أم درمان بعد مقاساة[2] شديده من تعب السفر مع العايلات حتى وصلوا لنا في سنة 1306هـ.

وأما أبو جميزه من بعد ذلك مات بالجدري، وحارب أخوه عوضاً عنه قتلوا في الحرب مع كافت جيشه، وقتل الهجين، واحضروا [80] منهم الغنايم، وتامه وسلطانهم يوسف، وكافت عايلاتهم حضروا بام درمان، ورجع الجيش إلى الفاشر بالنصر عند الأمير عثمان آدم، وفرح الخليفة بذلك.

[المهدية والحبشة]

محاربت الجيش وقتل الملك يوحنا ملك ملوك الحبشه علـ[ي] يد الزاكى طمل، وأحمد ولد علي. حضر الملك لمحاربت الدراويش على شان قتلت قندر، جمع كافت الجيوش وحضر للحرب، وأخبر منليك[3] بجمع كافت الجيوش، ويحضر بها لأجل محاربت القلابات، فقد تأخر منليك عن الحضور، وعرف الملك أن الجيش[4] باطراف

(1) الفشليك هي كلمة دراجة سودانية تطلق على النطاق الذي يربط في الوسط لحفظ الطلقات النارية. وهو أشبه بالكمر.
(2) المخطوط: مقاسات.
(3) المخطوط: مليلك.
(4) المخطوط: الجيش الجيش.

الضيعه متفرق، عند ذلك حصل له الزعل الشديد، وضمر في نفسه بعد قتل القلابات يحضر ويقتل منليك، ونـزل للحرب بذات نفسه، ونصب صيوان بالقرب لزريبة الدراويش، ودار فيهم الحرب مده[1] طويله، قتلوا الدراويش وحرقوا الزريبه بالنار وسبوا بعض الحريمات، ليس فضل إلا ربع عبد الله ولد إبراهيم[2]، وعبد الرحيم أبو دقل، وأحمد ولد علي، واقفين في الحرب، ونظروا إلى الجيش من بعد ما كانت النصره لهم صاروا مكسورين. قال عبد الله ولد إبراهيم: «الجيش كسروا لربما ملكهم مات». طلعوا وراهم، والحرب داير حتى وصلوا صيوان الملك، وجدوه قتيل، أخذوا رأسه، والتاج، والبغله، وكافت موجودات، وظفروا بالجيش قتلوا فيهم قتل شديد، ورجَّعُوا منهم الحريم، وغنموا كافت الجيش من الرجال إلى الحريم، واحضروا منهم حبش كتيره.

وأسباب قتل الملك مات بضربت رصاص ليس معلوم لها حال سوى كان دسيسه من منليك أو خلافه. وحضروا الأنصار بالنصر، كونهم قتلوا ملك الحبش حصل عندهم سرور عظيم، وحالاً أرسلوا رأس الملك في مخلايه، واحضروا التاج الملوكي مرصع بالجواهر، والسيف، والبغله ركوبه بسرج عليه رخت، وجملة ذخاير، حضروا بها إلى أم درمان عند خليفة المهدي. حالاً ضربت أم بايا والزمر والنحاس، وحضرت كافت الجيوش راكبه على الخيل الصافنات، وعرضوا خارج المدينة، وصاروا الخيل يلعبوا عليها الفرسان، والدنيا قامت بالفرح والسرور على قتل الملك يوحنا، الذي قتل على عهد ملك البلاد الخليفة عبد الله، وصاروا يقولوا له: «يا سيدي الله أيدك بالنصر والظفر ليس أحداً قبلك دخل أرض الحبش. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: اتركوا الحبش إذا تركوكم». وصار الخليفة يذاكر في الأنصار بهذا النصر العظيم، وعلى [81] حضور

(1) المخطوط: مدته.

(2) هو عبد الله ود إبراهيم الجعلي، انضمَّ إلى المهدية في مرحلة مبكرة، فعينه المهدي أميراً قبل تحرير الأبيض، وبعد القضاء على قيادة الحكومة التركية في الخرطوم رافق جيش حمدان أبوعنجة إلى الحدود الحبشية، حيث استشهد عام 1893م خلال معركة دارت رحاها بين الإيطاليين والأنصار تحت قيادة الأمير أحمد ود علي. رتشارد هل، 1967م، ص 4-5.

رأس ملك الجيش العظيم، وهو راكب على الهجين، وفي داخل القلعه حصانه عصار، وأربعماية من الملازميه حوله، وقد أظهر الرأس، والتاج، والسيف، والبغله أمام الجيوش، وصاروا في أشد الفرح وخصوصاً الأمير يعقوب مسرور بتوسيع الملك من هذا على عهد ملكهم. وبعد النـزول من العرضه أهدا [الخليفة] البغله إلى السيد المكي، ومعها جاريه حبشيه، وأما التاج، والسيف، وباقي الذخيره ادخلوهم في دارالخلافه، وأما باقي الغنايم عرضوها على الأمير يعقوب، أخذ ما أخذه من أولاد الحبشه جعلهم ملازميه الخليفة المهدي، والبعض عنده من النسا والرجال، والباقي أرسلوا إلى بيت المال لأجل مباعه[1].

فتنة الأشراف الثانية

بعد زمن كبير حصل الخلاف ما بين خليفة الكرار، وخليفة المهدي. ليس عندنا خبر ذلك إلا من الأمير يعقوب قال: «اجمع كافة الأمرا الذين لهم سلاح في بيت الأمانه لأجل صرفه لهم ليلاً، كونه حاصل خلاف شديد من خليفة الكرار، وشقا عصا الطاعه على خليفة المهدي عليه السلام، كونوا مستعدين بكافت الأنصار لحين صدور الإشاره الكريمه من سيد الجميع[2] عليه السلام». وأسباب الخلاف الحاصل أن الخليفة مراعي خاطر الخليفة علي ولد حلو خليفة الفاروق، وليس جاعل نظره على خليفة الكرار، وأولاد المهدي. والأشراف حضروا عند [82] خليفة الكرار، عبد القادر ساتي علي، والسيد عبد الكريم، وأحمد ولد سليمان أمين بيت المال سابق، وجملت من الأشراف، [و] قالوا له: «لازم محاربت الخليفة عبد الله التعـ [ا]يشي، وقتله كونه انفرد بالملك لوحده مع أخيه

---

(1) لمزيد من التفصيل عن غنائم الحبشة التي تم جردها ببيت المال العموم بأم درمان انظر: أحمد إبراهيم أبوشوك واندرس بيركيلو:

Ahmad Ibrahim Abu Shouk and Anders Bjorkelo, eds., The Public Treasury of the Mahdist State in the Sudan: A Monthly Budget of 1897, Leiden: Brill, 1996.

(2) سيد الجميع إشارة إلى الخليفة عبد الله.

يعقوب، وأنت اسمك أسد الله الغالب». وجمعوا أهليتهم لأجل المحاربه. عند ذلك خليفة المهدي أرسل إلى السيد المكي، والقاضي أحمد علي،[1] وولد أم مريوم، وحسين ولد جزو[2] وخليفة الفاروق وبعضاً من الأكابر، وأخبرهم بما حصل من خليفة الكرار والأشراف. وأما الأمير يعقوب صرفنا سلاحنا ليلاً، وأصبحنا عنده بالباب. وحضر عبد المولا صابون بكافت الجهادية رتبهم يعقوب بداخل الجامع على أربعه أرباع، وأما نحن الأنصار بداخل الجامع وقفنا صفوف سلاح نار، وحراب، وكافت الأنصار.

ومن بعد ساعة الأشراف ضربوا طلقتين نار على دار الخلافه بوجود خليفة الفاروق، والسيد المكي، ومن معهم. بعد ذلك حضر أحمد شرفي جد الأشرف عند خليفة الكرار، ووبخ عليهم في هذا العمل وقال له: «أن تسمع كلام الأشراف، وتخاصم خليفة المهدي، وليس عندكم طاقة على مقاومته ومحاربته، بل تكون متبع لأمره، وأفهمني ما أسباب الخصام؟» قال له: «يا جد الأشراف أن الخليفة عبد الله انفرد بالملك مع أخيه، وصهره خليفة الفاروق، وتركني أنا، وأولاد المهدي، والأشراف بدون صرف شي من بيت المال». قال له «هل[3] تخابرت معه قبل ذلك بهذا الخصوص؟» قال له: «ليس أعطيته خبر بذلك إنما هو ليس عارف بحقيقتنا». عند ذلك قال أحمد شرفي: «لا أحد منكم يضرب بندقيه واحده، وأنا متوجه إلى خليفة المهدي لأجل ما ننظر في هذا الأمر، ونتفاوض معه لأجل راحتكم، ولا يكون بينكم خصام».

---

(1) هو أحمد ود علي من قبيلة بني هلبة في دارفور، عمل قاضياً شرعياً من منطقة شكا في العهد التركي المصري، وعندما اندلعت الثورة المهدية هجر الوظيفة إلي كردفان، حيث بايع المهدي، ولعب دوراً مهماً في تحرير الأبيض، وبعد وفاة القاضي أحمد ود جبارة ود جلاب عينه المهدي قاضياً للإسلام، وقد اشتهر بالقاضي الأزرق. وخدم المهدي والخليفة عبد الله عشر سنوات، ونال حَظّاً من السلطة، والمال جلب عليه غيرة الخليفة الذي بدأ يسمع ما يقوله أخوه يعقوب عن مناقص قاضي الإسلام أحمد ود علي. ومن ثم اتهمه باستغلال منصبه، فحبسه في سجن الساير، حيث توفي في ظروف غامضة عام 1892م. رتشارد هل، 1967م، ص 29.

(2) هو حسين جزو الحمري، من قضاة المهدية المشهورين، وأعضاء مجلس الخليفة الخاص بإصدار الأحكام والأقضية المهمة. وهو من ضمن الأربعين قاضياً وسياسياً الذين وقعوا على الحكم الذي أجازه الخليفة عبد الله في حقّ الخليفة محمد شريف.

(3) المخطوط: حل.

وقد كان حضر أحمد شرفي في باب الخليفة، وطلب الإذن بالدخول. دخل واحد ملازمي وأعطى خبره إلى الخليفة، أذن له بالدخول. وأما الأمير يعقوب أرسل البدوي ولد العريق، ومعه الخيول الجراره، والعساكر والأنصار حالاً، يضربوا قلعه[1] على بيوت الأشراف بالسلاح الناري، ووقفوا لهم بالمرصاد كل طريق عدموهم النفس لا يقدر أحداً منهم يطلع، أو يدخل على التاني، بل لبدوا كمثل الفيران من هذا الجيش الجرار والفرسان، ليس كمثل الدناقله ادخروا فيه شي لنفسهم خلاف جمع النسوان. وطلع الأمير يعقوب كمثل الأسد الغضبان، وحوله الأمرا والفرسان من كل جانب ومكان، وأردنا الهجوم على الأشراف قال: «اصبروا أيها الإخوان، لنا فيهم الفرصه، وإذا خالفوا لا بد من المحاربه معهم».

وأما أحمد شرفي عندما دخل على خليفة المهدي اعطا سلام الطاعة، واعتذر إلى خليفة المهدي بهذا العبارة التي صدرت من خليفة الكرار والأشراف و [قال]: «إنَّ جميع ذلك بدون علم مني، كونهم إذا أعطوني خبر بذلك ليس نوافقهم عليه، وعندما سمعت بضرب السلاح اتضح[2] لي الخبر وبان، وحالاً توجهت لهم والزمتهم عرضهم، واوضح[3] لي [83] خليفة الكرار بما هو حاصل لهم من الضرر بعدم الصرف من بيت المال هو وأولاد المهدي، والأشراف. قلت له: «هل أعطيت خبر للخليفة بذلك؟» قال: «إنَّ الخليفة ليس خافي عليه أخبارنا، وليس جاعلني كمثل خليفة الفاروق». قلت لهم: «أنا نتوجه إلى خليفة المهدي، لأجل رد ظِلومتكم، وأني قد حضرت لسيادتكم»، عند ذلك هان الأمر، واتسع الطريق لأجل حَله.

عند ذلك قال خليفة المهدي: «يا والدنا أحمد شرفي عذرك عندنا مقبول، إنما خليفة الكرار ليس قابل بنا، ولا يوم واحد حضر عندي، ولا في الجامع يحضر للصلات،

(1) يعني المؤلف بمصطلح قلعة أي أن يطوقوا بيوت الأنصار ويضربوا عليهم حصاراً عسكرياً.
(2) المخطوط: اضتح.
(3) المخطوط: وواضح.

ولا في العرضه يطلع، بل ملازم بيته وهو جماعته منفصلين لوحدهم، ومع ذلك راتب أولاد المهدي، وراتبه يصرف لهم. وأنا عارف أن هذا الأمر ليس صدر منه، بل من الأشراف، ومع كل ذلك أنا راضي عليهم، وخاطرك عندي عظيم، حيث أنك ومتقدم في السن لك الاحترام والاكرام. فالآن يقوموا معك خليفة الفاروق، والسيد المكي، والقضاة، وجميعكم تكونوا معه بداخل قُبَّة[1] المهدي عليه السلام، ويكتب لكم كشف بجميع طلباتهم، وأرسلوه لي، لأجل الاعتماد عليه، وتحت شرط يحلف على كتاب الله على ضريح المهدي بالطاعه لي ولا يخالفني في أمري، ويحضر معكم سويا عندي لأجل الصلح والسلام، ولا يخالف في جميع ما نقوله له، ونحن إخوان في دين الله تعالى». وقد قاموا الجميع من عند الخليفة بهذا الكلام الذي صدر منه – الخليفة علي ولد حلو، والجماعه دخلوا القُبه، وتوجه أحمد شرفي، ومن بعدما ذاكره بالكلام الطيب، أخذه من يده وقال له: «قوم معنا في داخل قُبة المهدي، ولا يكون معكم أحد إلا السيد عبد القادر ساتي علي، والسيد عبد الكريم. امتثلو[2] له وقاموا الجميع مع أحمد شرفي، ودخلوا القُبَّة، وقاموا لهم الجماعه بالسلام والاحترام، وعند ذلك قام خليفة الفاروق، والسيد المكي، وأخذه بالمذاكره ولين الجانب. بعد ذلك قالوا له: «لا يكون عندك خلاف لخليفة المهدي حيث أنك شقيت عصا الطاعه له، وإنَّ هذا مخالف لأمر المهدي عليه السلام، واوضح لنا جميع طلباتكم بموجب كشف، لأجل الاعتماد يكون عليه، ويمضي لكم خليفة المهدي على الكشف في كل ما يلزم لكم». عند ذلك رخا أُذنه، [و] كتب لهما الكشف [84] أخذوا خليفة الفاروق، وتوجه إلى خليفة المهدي وامضا عليه، وأمرهم حضوره عنده لوحده بدون أن يكون معه واحد من الأشراف بخلاف أحمد شرفي. وحضر لهم الخليفة ولد حلو بعد مضى الكشف من خليفة المهدي وقالوا له: «قم معنا لأجل مقابلة خليفة المهدي، لأجل الصلح والسلام بينكم». أخذوه لوحده ومعهم

(1) القبة هي بناء سقفه مستدير مقعر يبنى فوق أضرحة أو قبور الأولياء والصالحين. والقبة المعنية في هذا الشأن هي القبة التي شيدها الخليفة عبد الله على قبر المهدي.
(2) أي امتثلوا.

أحمد شرفي، عند دخولهم على الخليفة، ونظروا كافت الأنصار كبروا عليه» الله أكبر عليك! شقي! شقي»، لغاية ما دخلوا به على الخليفة. من بعد المقابلة به صاروا بمعاتبه معه في الكلام بينهم، وطلَّع الخليفة شريف هو الخاطي. قال خليفة المهدي: «إذا حقيقي قلبك صفا معي لله ولرسوله، ورغبت تأخذ رضاي وخاطري تدخل سجن الساير تلاته ساعات». عند ذلك طبقوا عليه الجماعه: «لازم تأخذ رضا خليفة المهدي عليه السلام وما هي تلاته ساعات»[1]. وأحمد شرفي قال له: ضروري من ذلك أن هذا خليفة مهدي الأنام لا بد من أخذ رضاه». قد امتسل لذلك وقال له: «يا خليفة المهدي نذهب للسجن لأجل خاطرك». قال له: «بارك الله فيك». وعلى باب خليفة المهدي ألوف من أولاد التعايشه، والجهادية واقفين بالسلاح، وأخذه أحمد أبوجكه، وعلي جُلَّه من يده وضربوا عليه قلعه، وخرجوا به للساير. أيضاً عند خروجه من الخليفة عموم الأنصار من الألوف والرايات كبروا عليه: «الله أكبر عليك شقى! شقى!» لغا [ية] ما وصلوا به إلى الساير،ووضعوا على رجله المكاكي الكبيره وواحد جنـزير حديد، وتركوه كالدنيا عند الله حقير ذليل.

وعند ذلك أمر السيد يعقوب بالقبض على كافت الأشراف، ودار عليهم القبض، وملوا سجن الساير من أكابر الأشراف، وليس تركنا منهم واحد يدور في المدينة إلا ألقوا عليه القبض، لمدة عشرون يوم القبض داير عليهم، ويعقوب رتب في كل مُشرع عساكر، وعليهم مقدم لمدت شهر أو زيادة لأجل قبض الأشراف، وأرسل إلى القطينه، وودمدني، والكاملين، لأجل القبض على كافت الدناقله وإرسالهم إلى أم درمان، بعدما يجردوا منهم الأموال، وأغلب الناس منهم نكروا [85] قالو: «نحن ليس أشراف بل نحن دناقله نجارين المراكب».

(1) وبعد أن تم التنفيذ تحولت هذه الثلاث ساعات الموعودة إلى سنين عجافٍ ذاق فيها الخليفة شريف أصنافاً من العذاب والإذلال. وفي هذا يقول علي المهدي: «ومكث الخليفة شريف نحو سنتين في السجن. حتى أُخرج في عام 1311 هجرية. ونقل من السجن إلى بيت عبد الله أحمد سوار الذي أعدوه خصيصاً لقربة من الخليفة علي. لأن بيت الخليفة شريف هُدم وأُخرج أهله منه بعد دخوله السجن». علي المهدي. ص 176.

عند ذلك أخلا سبيلهم السيد يعقوب، بل أخذنا الروؤس[1] الكبار كمثل السيد طه، وعبد القادر ساتي علي، والسيد حامد عبد الكريم، وأحمد سليمان كفايه عن خمسه وأربعين من أعز الأشراف المسجونين عند الساير، وأنا [و] الشيخ بان النقا أمرنا خليفة المهدي: بحضور وابور، وادخال المذكورين فيه ليلاً،[2] وبوقته يسافر الوابور، «وعند قيامه تكونوا أنتوا الاتنين ماشين بالبر، وعند وصوله شجره غردون القبطان يعطكم اشاره بالصفاره، ويتوجه طوالي. وقد كان جمعنا مايه وخمسون نفر من الأنصار لأجل ما يكونوا حرص على الوابور، وعليهم واحد ريس اسمه رحمه ولد برمه من الجوامعه دايماً نرسلوا إلى بحر الجبل بالمذنبين. ومن بعد حضور الوابور أوقفناه أمام مُشرع الساير كمثل العادة، ونـزلت الخمسه وأربعين من الأشراف مكبلين بالحديد لحد الركبه، إلا يشيلوهم على الدمير واحد بعد واحد، وأدخلناهم الوابور بموجب كشف لأجل تسليمهم إلى برمه المذكور، وأيضا اعطيناه التعليمات[3] عندما يصلوا الشجره يعطونا صفاره، ويمشوا طوالي. وجميع ذلك ليلاً وخليفة المهدي جالس في منـزله، ومنتظر حضورنا بعد سفر الوابور. وعندما الوابور سافر لغاية الشجره اعطانا صفَّاره، ورجعنا منه، وأعطينا الخبر إلى الأمير يعقوب. قال: «توجهوا إلى الخليفة، وأعطوه الخبر بذلك كونه جالس للآن في انتظاركم». وقد كان توجهنا لخليفة المهدي، وأعطيناه الخبر بسفر الوابور. قال لنا: «بارك الله فيكم توجهوا لمنازلكم». وعند وصول الوابور والبوسطة عند الأمير عربي دفع [الله]، والحاج محمد أبوقرجه، فما كان من عربي دفع الله طلع كافت الأشراف في الجزيره، وقتلهم

(1) المخطوط: روس.

(2) يبرر الخليفة عبدالله هذا القرار المفاجئ الذي لا ينسحب مع بنود الاتفاق التي مَهَّرها مع الأشراف بحضرة نبوية أصدر بشأنها منشوراً عاماً جاء فيه: «ثم قال ليِّ [المهدي] إنَّ أحمد سليمان، وأحمد محمد خير، وسعيد محمد فرح، وفوزي أحمدي، وصالح سوار الدهب فليكن حبسهم. فقلت للمهدي (عم) إنَّ أهل الظاهر ينكرون عليَّ ذلك ويقولون عفا عنهم، ثم حبسهم. فقال ليَّ المهدي (عم) إنَّ الحق معك وأهل الباطن معك فاحبسهم وأتل على الأصحاب المنشور المحرر منا في حقك...». نقلًا عن: محمد إبراهيم أبوسليم، منشورات المهدية، بيروت: دار جيل، 1969م، ص 102، 110.

(3) المخطوط: التلعمات.

بالعصا كمثل الكلاب[1]. وأما الخليفة شريف صار رهين السجن عند الساير أحمد، وصفى عليه الموج لا يقدر أحد يعارض خليفة المهدي فيه. أما الأشراف تفرقوا في البلاد [86] وصاروا أذلا من دون العباد وانكسرت شوكتهم.

[أمناء بيت المال العموم وصراع السلطة]

ومن [بعد] ذلك عملوا أمين بين المال إبراهيم عدلان[2] الذي كان سابق تاجر بكردفان، رجل عاقل، وصاحب درايه، وخبير بالأموال، ومكس مده كبيره في بيت المال، رجل صبوح الوجه طويل القامه معتدل، ماشى بأحسن ما يكون، ومحبوب عند كافت الناس، انما الحذر لا يرفع القدر حصلت منافسه[3] ما بينه، وبين الأمير يعقوب. وبعد ذلك أرسله إلى الجزيره لأجل جمع العيوش منها كونه كان حاصل جوع لكافت البلاد سنة 1306هـ لغاية سنة 1307هـ جوع شديد حتى بعض الأنصار أكلوا فيه لحم الحمير، وإبراهيم عدلان توجه للجزيره في أواخر 1307 هـ احضر منها الغلال، وحضر إلى أم درمان، عند حضوره قابل الأمير يعقوب تقابلوا جميعهم بأحسن مقابله، وإبراهيم عدلان ليس يعلم بما هو مدخره له من يعقوب من الغيظ والحقد، إنما قابله بالضحك كما هي عادة الأمير يعقوب. وقال: «يا إبراهيم عدلان توجهت إلى الجزيره لأجل الفرجه مع أهلكم الخوالده وليس احضرت الغلال الكفايه كما لا يخفا عليك حالت سنة 1306 –

(1) بعض المصادر تشير إلى أن الذي قام بنفيذ حكم الإعدام هو الزاكي طمل، وليس عربي دفع الله. انظر على مهدي، ص 172.

(2) هو إبراهيم محمد عدلان من قبيلة الخوالدة التي تقطن وسط الجزيرة. بدأ حياته العملية تاجراً بالأبيض ثم ود مدني، ونتيجة لمؤازرته الباكرة للثورة المهدية عينه المهدي نائباً لأمين بيت المال أحمد ود سليمان. وبعد تحرير مديرية كسلا أُوكلت له مهمة تأسيس بيت مال القضارق في شرق السودان. وفي عام 1886م خلف أحمد ودسليمان أميناً لبيت المال العموم بأم درمان. وقد لعب دوراً مهماً في إعادة تنظيم بيت المال، والأقسام الإدارية الملحقة به. وأفلح في إقناع الخليفة عبد الله التعايشي باستئناف التجارة الحدودية مع مصر والحبشة. إلا أن هذا الانجاز أدخله في صراع مباشر مع الأمير يعقوب. أودى بحياته عام 1890م. وبعد إعدام إبراهيم ود عدلان أُوكلت إدارة بيت المال لفترة قصيرة للزاكي عثمان والعوض المرضي. ثم خلفهما النور إبراهيم الجريفاوي. أحمد إبراهيم أبوشوك، 1991م، ص 53.

(3) المخطوط: مناسفه.

1307هـ، وشونة بيت المال خالية عن العيوش». قال له: «يا سيدي الذي وجدناه جمعناه، هل[1] تخلي البلاد عن العيوش وتغني الأنصار؟» قال له: «حقيقي كيف تترك أهلك وتغني الأنصار!». وقاموا من بعضهم، وكان يعقوب غضبان سراً عليه، وتاني يوم كان إبراهيم عدلان عند الخليفة، وأمره بقضا أشيا، ومن طلوعه من عند الخليفة طلبه يعقوب لقضي طلباته. قال له: «يا سيدي حل ننفذ أمر الخليفة أو أمرك؟ وتوجه من عنده. وتاني يوم مابلغنا إلا خبر إبراهيم عدلان سجن عند الساير، كونه صار مخالف. والرجل كأنه عارف عندما دخل في سجن الساير على ما قيل اعطا الساير رشوه كبيره يصل إلى منـزله بالحرس، ويرجع بوقته، وقد وصل إلى منـزله وقضا اشغاله في منـزله، وحرق جملة أوراق ورجع بوقته، وصار صائماً[2]. ولغاية مدة سبعة أيام صدر الأمر بصلبه على المشنقه في السوق. ونحن على حين غفله إلا أم بايا ضربت، وطلعت الخيول، والأمير يعقوب على رأسهم فرحان بصلب إبراهيم عدلان، وحضر الخليفة على ولد حلو، وازدحمت[3] الأنصار بالخيول ومشاه على الأقدام لأجل صلب إبراهيم عدلان [87] أمين بيت المال، كونه صار مخالف. ووقفت الخيول، وكافت الأمرا والأنصار في السوق الكبير، واحضروا إبراهيم عدلان بالحرس وهو ماشي بالمكيه مشيت الأسد، ليس زعجان ولا خايف، بل عند وصوله تحت المشنقه طلع على كرسي منصوب، ووضع على عنقه الحبل، وصار مصلوب وهو صايم. ومن [بعد] ذلك تفرقت الجموع، وحزنت عليه الخلق أجمعين سراً كونه رجل من الرجال المعدودين. وأن جميع ذلك من تحت رأس يعقوب.

ومن بعده عملوا العوض المرضي[4] أمين بيت المال، بعدما مكس مده طويله غضب عليه الخليفة، وصار سجنه عملوا خلافه النور الجيرفابي[5] أخذ مده، وعينوا إلى بربر أمين

(1) المخطوط: حل.
(2) المخطوط: صيام.
(3) المخطوط: ازدحمدت.
(4) هو العوض المرضي الذي كان يعمل باشكاتباً في مديرية كسلا في العهد التركي.
(5) هو النور إبراهيم الجريفاوي (أو الجيرفابي). بدأ حياته العملية تاجراً بالخرطوم. وعضواً بالمجلس المحلي إبان فترة الحكم التركي. وبعد تحرير الخرطوم عين أميناً لبيت مال بربر. وفي عام 1891م خلف إبراهيم عدلان أميناً لبيت المال العموم

بيت المال، وعملوا خلافه إبراهيم رمضان أمين بيت المال، وعينوا الختم موسى عامل إلى كوردفان عوضاً عن إبراهيم القصير، وعينوا عبد الله حسب الله إلى شات، ومعه إسحاق مندوب وكاتب الشونه.

[هروب عبد القادر سلاطين]

ودارت السنين والأيام وعبد القادر سلاطين هرب إلى أصوان على يد واحد جلابي اسمه ولد مضوي، وكان عبد القادر سلاطين مع حسن أبو كدوك كمثل الإخوان. وله صحبه ومعرفه مع الخبير علي. وفي ذات يوم حضر عنده ولد المضوي، وقال له: «يا عبد القادر سلاطين أنا حضرت لك مخصوص لأجل ما نأخذك، ونتوجه بك إلي مصر». وأول الأمر عبد القادر خاف من الرجل، وقال في نفسه: «لربما يكون هذا الرجل يخدعني، ويعرف باطني، ويعطي الخليفة أحوالي». لما نظر ولد مضوي حال عبد القادر سلاطين أظهر له ورقه وعرفه بحقيقة الحال حتى أنه وسق به، بعد ما الرجل حلف له اليمين، والطلاق حتى صار سلاطين في أمان منه، وأوعده بوقت السفر لما يعمل ترتيبه. عند ذلك توجه سلاطين إلى الخليفة وقال له: «أنا عيَّان قصدي نأخذ شربه قبل دخول شهر رمضان». وأذنه فيذلك وبوقته حضر عنده ولد مضوي ووعده[1] بأن يقابله في مُشرع أبوروف ساعة المغرب، وقرب المغرب قال للخدامه، والخدام: «قصدي نتوجه إلى مُشرع أبو روف لأجل أخذ غلال»، وتوجه من عندهم. كان ولد مضوي اتفق مع ريس المعديه يكون منتظره بعد صلاة العشا عند دخول الليل، وليس يكون معه أي إنسان، واعطا الريس مال جزيل، وتقابل مع عبد القدر سلاطين لغاية بعد كل ليل، ودخلوا المعديه وتوجهوا بالشرق، وكانت الجمال جاهزه بمجرد ما طلعوا ركبوا حالاً اصبحوا [88] في

بأم درمان. وبعد أن رفت من إدارة بيت المال عام 1893م عين أميناً لبيت مال ورشة الحربية والترسانة. ثم مديراً لدار سك العملة عام 1894م. أحمد إبراهيم أبوشوك، 1991م، ص 53.

(1) المخطوط: اعوده.

بلد بعيده ما يعلم بهم إلا الله، قطعوا البراري والقفار خوفاً من أخذ خبر بهم، وتالت يوم غيروا جمالهم واركب سلاطين على بكره ناقه اسمها ام جناح، وهو على هجين جميعهم كأنهم يسابقوا الطير، وفي سته أو سبعه أيام دخلوا اصوان، كونهم يوصلوا النهار بالليل، ومشوا مشي الخوف خفتاً من وقوعهم في القبضه.

وأما خدام سلاطين انتظروا ولغاية تاني يوم لم يحضر لهم، أخيراً الخدام أعطى خبره إلى خليفة المهدي، قال: «سيدي نـزل البحر بمُشرع أبوروف لأجل أخذ غلال، ولم يحضر، توجهت لمنـزل والدنا الخير علي وسألته عنه. قال: «ليس حضر عندي، ولا نظرته». عند ذلك غضب الخليفة غضب شديد، وأرسل إلى الهجاني كرار العبادي[1] شيخ عموم الهجانه، وأمره بالمسير لأجل تحصيل سلاطين، ويكونوا على فرقتين فرقه بالغرب، وفرقه بالشرق، ويجدوا في المسير ليلاً ونهار. واعطا خبر إلى أخيه يعقوب بذلك، وظبطوا منـزله، وأخذوا كافت ما فيه غنيمه عند يعقوب، ووجدوا ورقه مكتوبه في خشم البندقيه من عبد القادر سلاطين إلى سيدي خليفة المهدي: «لا يخفا عليك حب الوالدين ولىّ والده كبيره توجهت لأجل ما نـزورها، ونرجع لكم باذن الله تعالى»[2].

(1) يبدو أن المؤلف يقصد محمد كرار بشير العبادي، الذي ولد في الأبيض عام 1831م، وحفظ القرآن في خلاوى الشيخ إسماعيل الولي، وتعلم القراءة والكتابة بديوان مديرية كردفان. وقد منحه الأتراك لقب البكوية، لكنه تعرض لغضبهم فصادروا أموالهم. وقد بايع المهدي في كابا، واشترك في حصار الأبيض، وتحرير الخرطوم، ثم عُين مساعداً لأمين بيت المال أحمد ود سليمان، وبعدها عُين أميناً لبيت مال الخمس. اشترك في واقعة كرري عام 1898م، وتوفى عام 1904م. انظر عون الشريف قاسم، 1996م، جـ 5، ص 1948-1949.

(2) وبعد أن حط سلاطين رحاله بمصر أرسل للخليفة الخطاب التالي وذلك ليرفق بأصدقائه وكل الذين كانوا في خدمته: «أما بعد، فمن عبد ربه سلاطين إلى سيدي وسندي خليفة المهدي (عم) السيد عبد الله بن السيد محمد حفظه الله آمين. نخبر سيادتكم أننا وصلنا مصر بعون الله سالمين، وبعد وصولنا حصلنا لطف من الله وإنَّ شاء الله عن قريب يحصل الشفاء، ونتوجه إلى بلادنا لمقابلة أهلنا وإخواننا، وأنا لا زلت أذكر فضلكم، ومعروفكم أيام كنت في بابكم، وإذا بلغكم عنا ما يكدر خاطركم، فأرجو أن لا تصدقوه، وأنتم قد وهبكم الله سبحانه معرفة الباطن، ومن ذلك تعلمون إن محبتنا لكم خالصة. نعم إني تركت بابكم بدون إجازة منكم، ولكن هيبة سيدي خليفة المهدي منعتني عن طلب الإجازة، والآن ألوم نفسي على ذلك، وأطلب منكم العفو، وإن شاء الله بعد رؤية الأهل والوطن نعود إلى خدمة بابكم العالي، وذلك عند وصول كتاب الأمان من سيدي خليفة المهدي. مصر 7 أبريل 1895م». وردَّ الخليفة بعد عام على النحو التالي: «وبعد، فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق إلى عبد القادر سلاطين. بعد السلام، نعلمك أن الجواب المحرر لنا منك بخطك بأنك ثابت على دين الإسلام، وإنك لا تخون العيش والملح قد وصلنا، وهو الآن محفوظ بطرفنا، وحيث إنك على ذلك، وقد حضرت الآن مع الكفار الذين أنت معهم فاعمل المكيدة التي تمكن من انتهاز الفرصة فيهم، وها هي الجيوش الإسلامية متوجهة

وسلموها إلى الخليفة. أن سلاطين كتب هذا الورقه خفتا ما يقع في القبضه، وتكون له هذا عند الخليفة حجه. لكن هيهات[1] إن يرجع ما فات. ومن بعد مده طويله ليس حضرت الهجانه، والخليفة في قلق شديد، وكافت الخلق تقول: «هرب شوطين ولا بد يقع في القبضه». وخصوصاً المسلمانين خافوا خوف شديد، وخليفة المهدي من ضيق صدره بعد كل ليل يضربوا له المزيقه اسمها الفروع الحربيه، والمزمر جميع ذلك لأجل فك زعله على سلاطين، حتى حضروا الهجانه بخفي حنين ليس حصلوا سلاطين، ولا خلافه.

وبأسباب سلاطين غنموا جملة تجار بواسطة أمين بيت المال يقول لهم عندكم معرفة بولد مضوي، وكان سجنوا حسن أبوكدوك وبعد عشرة أيام عفوا عنه. وأما الخليفة زعلان على شان سلاطين عارف بأحوال المهدية وبعد المده الطويله صار منسي منسياً.

[سقوط رموز المهدية: الزاكي طمل وأحمد علي وحسين زهرا]

ودارت الدوره على الزاكي طمل. حضرت جوابات في البوسطة [89] إلى الخليفة، ويعقوب من جملة أمرا، وقالوا فيها أن الزاكي طمل عجبته نفسه بكترة الجيش، ويقصد دخول[2] التليان أو الحبش. عند ذلك الخليفة انتخب بعضاً من الأمرا أولاد البلد مقدار خمسة رايا [ت]، وأرسلهم إلى الزاكي طمل زيادة على جيشه أوصاهم بخدمته ومراعاته[3]. ومن بعد وصولهم حصل له فرح شديد، وصارت الأمرا تمدح في الزاكي،

إليهم. وهذا ما لزم إعلامكم به، لتجري العمل بموجبه سراً. والسلام 20 صفر سنة 1314هـ». نعوم شقير، 1981م، ص 866-867.

(1) المخطوط: حي حات.

(2) المخطوط: دخلو.

(3) وحول الملابسات التي صاحبت وفاة الزاكي طمل في سجن الساير يقول القدال: «وفي أم درمان وضعت خطة محكمة لمباغتة الزاكي واعتقاله وقام بتنفيذها يعقوب والقاضي أحمد لكراهيتهما للزاكي الذي كان يحتقرهما. وتمّ اعتقاله في سبتمبر 1983م الموافق صفر عام 1311هـ. ووضع في السجن مكبلاً بالقيود. وشرح الخليفة أسباب اعتقال قائده الكبير بأن «به عارضاً شديداً وقيل إنه كان معه من سابق إلا أنه اشتد عليه في هذا الوقت، وبأسباب ذلك أجرينا زجره، وحبسه بالمشورة فإنَّ طاب وشفي من ذلك العارض فبها، وإلا فتصير معالجته منه إلى يقدر الله الشفاء، أو يقضي الله أمراً كان مفعولاً» ومكث الزاكي في السجن أربعة عشر يوماً مُنع خلالها من الأكل ومن الشرب، ومات في 21 سبتمر 1893م الموافق 10 ربيع الأول عام 1311هـ. ووصف الخليفة نهايته التراجيدية في سجن

ويقول له: «إنَّ سيدنا خليفة المهدي مسرور منك». ومن بعدها طلبه الخليفة إلى أم درمان لأجل [الـ]مشاهدة. قام بكل سرور راكب على جمال أصهب[1] في ركب عظيم، ومعه الخيول وبعضاً من الجهادية، ووصل أم درمان، وقابل الأمير يعقوب لأجل السلام، واحضر له الطعام أكلوا سوياً، ومنه توجه لخليفة المهدي وسلم عليه، وصار الخليفة يمدح فيه بقتل ملك الحبش الذي قتل على يديه، ويعقوب قاعد له بالمرصاد عندما طلع من الخليفة وصل منـزله لأجل الراحه، حضر عنده رسول يعقوب، قال له: «احضر سيدي طالبك في أشيا أرسلها لك سيدنا خليفة المهدي». قام وبوقته وليس يعلم بما هو مخبا في علم الله. ويعقوب رتب الملازميه بعد دخوله في الحوش الوسطاني يقبضوا عليه. ولما حضر دخل الحوش البراني العبيد قفله عليه الباب، ولما دخل الحوش الوسطاني قابله عبد الرحمن زوفا بالحضن كمثل السلام، وأخذه على صدره، ورماه على الأرض، وقبضوا عليه الملازميه وداروا كتافه بالحبل بعدما أخذوا سيفه، وطلعوا به حالاً إلى الساير. قال: «عملتها يا يعقوب قبل ما نعملها». ووضعوا عليه الحديد في مربوعه صغيره، وجنـزير على رقبته، ونصفه من الخارج، وطوبو[2] عليه حتى أنه مات عطشاً وجوعاً من بعد أربعة أيام. وصار الأمير يعقوب مسرور بوفاته، وقد جعلوا عوضاً عنه أحمد ولد على أمير على كافت الجيش، ووكيله أحمد فضيل[3].

الساير بقوله: «هلك في السجن على صفه فظيعة، وحالة شنيعة، وأنه بمجرد خروج روحه اشتعلت النار في جسمه واسودَّ وجهه». محمد سعيد القدال، 1987، ص 159-160.

(1) المخطوط: صحب.

(2) طوَّبو أي أغلقوا عليه باب الغرفة الصغيرة ونوافذها بالطوب. ويؤكد هذه الرواية سلاطين: «اعتقل الزاكي طمل ووضع في غرفة حجرية صغيرة شبيهة بالقبر، أغلق بابها عليه، ولم يسمح له بشئ من الطعام، بل بمقدار يسير من الماء يسلم إليه من كوة صغيرة في الغرفة الحجرية». سلاطين، 1889م، ص 356.

(3) وهو الأمير أحمد فضيل، من قواد المهدية المشهود لهم بالكفاية العسكرية، عمل في الفاشر والقضارف بشرق السودان، وأخيراً حاول اللحاق بجيوش المهدية التي كانت ترابط في كرري لصد العدوان الأجنبي، لكنه عندما وصل منطقة أبو حراز على النيل الأرزق علم بهزيمة الأنصار في كرري، وبعد تجاوز ملاحقات الجيش الغازي لحق بالخليفة عبد الله في دار الجوامعة بكردفان، واشترك معه في عدة معارك عنيفة ضد القوات الغازية، وأخيراً استشهد مع الخليفة عبد الله، والخليفة على ود حلو، والأمير عبد الباقي عبد الوكيل، وغيرهم في واقعة أم دبيكرات في 24 نوفمبر 1899م. رتشارد هل، 1967م، ص 31.

وبعد هذا جميعه كان القاضي أحمد علي قاضي القضاة كافت، والمذكور كان محبوب عند الخليفة ومقربه لديه ودايماً يأخذ أفكاره، وإذا كان الخليفة معتكف لا يدخل عليه إنسان خلافه. وعندما استلم زمام جيش القلابات أحمد ولد علي جرد كافت الأقباط والمسلمانين الذين بالقضارف من كافت أموالهم [90]، وأرسلهم إلى أم درمان وخابر الخليفة بذلك، ونحن ليس عندنا خبر، والمذكورين عندما وصلوا البحر وجدوا مركب عبد المولا صابون أجَّروها بماية ريال، وحضروا عليها كونها مركب كبيره لغاية ما وصلوا أم درمان قصاد المقرن، طلعوا منها على شاطي البحر، وحضروا عندي البعض منهم، وعرَّفوني بحقيقت الحال، توجهت معهم وسلمت على عموم من حضرو، [و] قلت لهم : «ابشروا بكل خير نقابل الخليفة باكر نأخذ منه الإذن والعفو عنكم وحضر لكم». وقد كان قابلت القاضي أحمد علي [و] عَرَّفته بحقيقت الحال، والقاضي رجل طيب خالص مع كل إنسان، وتوجهت معه سوياً على باب الخليفة كونه له عشره أيام ليس طلع. القاضي أخذ الإذن، ودخل عنده، وعرَّفه عن إخوانا الأقباط والمسلمانين الذين جردهم أحمد ولد علي، وقال له: «مقدمهم يوسف على الباب يرغب الإذن بدخولهم في المدينه مع إخوانهم». قال: «احضروا يوسف». حضر عندي الملازم وقال: «أدخل طالبك سيدي». دخلت عنده وبلغته هذا سلام التلبيه: «السلام عليك يا سلطان المؤمنين، وخليفة رسول رب العالمين،[1] وحامي حوزة الدين، خليفة المهدي الأمين عليه السلام». قال: «عليك السلام ولدنا يوسف القبطي اجلس». جلست أمامه وعرفته عن أهلي. قال: «عفونا عنهم، وأذنت لكم فيهم بعد أخذ راحتهم يتوجه معكم القاضي أحمد، وحسين ولد جزو، وحسن خبير، أي أرض تكون موافقة يعطكم هي لأجل ما يسكنوا فيها أهلك والمسلمانين سلمهم إلى أميرهم». عند قيامي من عنده قلت له: «الله يطول لنا عمرك ياظل القبيلة، وكهف العشيره، لولاك ما أكلنا العيش هنياً، ولا شربنا الما مرياً». وطلعت من عنده بعد تقبيل أيده وتوجهت إلى أهلنا وأدخلناهم مع

(1) المخطوط: رب العاملين.

إخوانا. وبعد عشرة أيام أخذت القاضي والجماعه، واعطتهم أحسن أرض سكنوا فيها. وأما أجرة المركب توجهت [91] إلى عبد المولا صابون أخي حمدان أبو عنجه وعرفته: إنَّ هذا أهلي وحضروا مجردين، وقابلت خليفة المهدي، وعفا عنهم، وقال أجرة المركب ماية ريال، وحضرت عندك لأجل ما تراعي خاطري في الذي تأخذوا مني». قال: «يا يوسف أنت كاتب سيدنا لا نأخذ منك غرش واحد لأجل خاطرك سامحت(1) لهم الأجرة». شكرته على ذلك بعد شرب الشاي طلعت منه.

ومن بعد خمسة شهور غضب الخليفة على القاضي أحمد، وأسباب ذلك من الأمير يعقوب ألقوا القبض على القاضي ليلاً، وأصبح مسجون عند الساير في المربوعة التي قتل فيها الزاكي طمل، طوبها على القاضي. وأن جميع ذلك ناتج من تحت يعقوب كل من ليس يمشي على حسب أغراضه يدخل على أخيه بالليل من باب السر، ويقول للخليفة: «إن هذا صفته كذا وكذا، ولربما يحصل منه خلل في أمر المملكة». وإنَّ الملك دايماً يخاف على مُلكه، ومع ذلك يصدق أخوه كونه مدبر المملكة، والقايم بالأمر. عندما حصل الزعل ليعقوب من جهت القاضي قال للخليفة: «إنَّ راية القاضي أحمد علي بلغت أكثر من خمسماية نفر وزيادة، وصار يجمع في الأنصار، ومداخل أولاد البلد، ويرسل مع التجار اشغال لبحري(2)، وأن هذا مخالف في أمر الدين يجب سجنه حتى يموت فيه». وقد كان عند وصوله الساير أوصاه بدخوله في المربوعه الصغيره، ويطوب عليه كمثل الزاكي طمل، من بعد سبعة أيام توفا لرحمت الله تعالى.

(1) المخطوط: سماحت.

(2) بحري وقبلي مصطلحان يستخدمان في تحديد الاتجاهات. يعني مصطلح بحري في هذا المقام المنطقة الواقعة شمال الخرطوم إلى حدود السودان الشمالية مع مصر.

ومن بعده عملوا الشيخ الحسين ولد الزهره[1] الرجل العالم الجليل مكث مدته من الزمان، وحضرت قضية مشكله من دنقله بخصوص بعض الأنصار ظلموا بعضاً من أهالي دنقله، وقدموا في حقهم شكوه لقاضي دنقله، والمذكور احالها إلى قاضي القضاة بأم درمان، وصار القاضي العمومي ولد الزهره رجل متقدم في السن وشرعي، بحضور القضية توجهوا الأنصار للامير يعقوب لأجل ما يوصي القاضي عليهم بعدم تنفذ الحكم عليهم. وأرسل الأمير يعقوب للقاضي ولد الزهره، وقال له: «قضية أهل دنقله مع الأنصار لا يكون فيها تنفيذ الحكم على الأنصار، بل اصرفهم حيث كان». قال القاضي: «يا السيد يعقوب أنا رجل ماشي على حسب الكتاب والسُنَّة، لا نحيد عن الحق ولا نخشا لومة لايم في الشرع الشريف، بل نقضي بوجه الحق المرضي»، [و] قام من عنده زعلان. [92] والأمير يعقوب حصل له أشد الغضب، وقال: «القاضي الحسين ولد الزهره استرد عن الإسلام وجب عليه القتل». وتوجه على خليفة المهدي، وقال له: «الحسين ولد الزهرا استرد عن الإسلام بوجود جملة من الأنصار، وأمام القاضي حسين ولد جزو الحمري. حالاً حضرت عليه الشهود بالزور، وصار سجنه في المربوعه التي مات فيها القاضي أحمد علي. ادخلوه فيها وصار تطويبها عليه، ومات عطشاً وجوعاً كمثل إخوانه، غير أنه مكث تسعة أيام حتى أنه مات ظلماً.

والأمير يعقوب ليس ترك رأس كبير في أي قبيله، أو أي إنسان يعارضه في أحكامه، وليس في قاضي ماشي على حسب أفكاره إلا حسين ولد جزو، وعلى رأي المثل:

(1) هو الحسين إبراهيم زهرا، المولود في أم عضام بمنطقة المسلمية، وتخرج في الأزهر الشريف، واشتهر بسعة علمه في وسط السودان، وبايع المهدي في الجزيرة أبا. وعينه الخليفة عبد الله عام 1885م عاملاً على كسلا، ثم أخيراً شغل منصب قاضي الإسلام (أو قاضي القضاة) خلفاً للقاضي أحمد ود علي عام 1892م. واختلف مع الخليفة عبد الله وأخيه يعقوب في حكم شرعي يخص نفراً من الأنصار التعايشة، فكان مصيره السجن حتى مات عام 1895م. رتشارد هل، 1967م، ص 168-169؛ وعون الشريف قاسم، 1996م، جـ 2، ص 1029.

«إذا خان الأمير وكاتبـــــــاه
وقاضي الأرض دهان[1] في القضــــا
فويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السما»

إن الأمير يعقوب من عادته واطباعه دايماً يظهر لكل إنسان بشاشة الوجه الطلق، وإذا أراد قتل إنسان أو سجنه يأكل معه في قدح واحد ويضره، والذي يعرف اطباعه لازم دايماً يكون متحذر منه ويتوقا من شره. ومن [بعد] قتل الحسن ولد الزهره عملوا عوضاً عنه الرجل العالم العلامه محمد ولد البدوي[2]، رجل عاقل صار قاضي القضاة، وليس قبل ذلك من أول مره الأجبر عليه الخليفة، وقال له: «أنا نحكم بالشرع المحمدي». قال له: «لا أحد يعارضك في أحكام الشرع». وكان محمد ولد البدوي ساكن مع أهليته، وحصلت له منافسه من أحد أهليته، وأخبر الخليفة بأن يرحل من هذا المكان. عند ذلك الخليفة أخبر يعقوب بأن يسكن القاضي ولد البدوي في منـزل يكون بالجوار لهم[3]. وأرسلني الأمير يعقوب لأجل ما ندور على بيوت الأمرا الذين يكونوا بالجوار لقرب الأمير يعقوب، ويكون بيت كبير ومتسع. توجهت ودرت على بيوت الأمرا، وجدت

(1) المخطوط: دحان.

(2) هو الشيخ محمد البدوي محمد نقد البديري. درس في الأزهر الشريف ونال الإجازة العالمية عام 1877م. وعاد إلى السودان في نفس العام. واستقر في منطقة أم شنقة التى ألح أهلها على بقائه معهم ليعلمهم مبادئ الدين. ويسلِّكهم في الطريقة التيجانية. وبعد تحرير الأبيض عام 1883م ارسل له المهدي خطاباً. وخاطبه بود البدوي راجل أم شنقة. وقابل المهدي قبل واقعة شيكان. فرحب به. واثناء الحديث معه نـزع عنه الكولة الأزهرية. وألبسة العمامة والعزبة دلالة البيعة. وملازمة الطريقة المهدية. فظلَّ ود البدوي وفياً لبيعته حتى وفاة المهدي عام 1885م. وظل على عهده مع الخليفة عبد الله حيث عينه قاضياً على بربر. ثم على عمالة سنار. وأخيراً استدعاه إلى أم درمان. وضمه لمجلسه الشوري الذي كان يتألف من نخبة من العلماء والساسة. واشترك في معظم احكام وفتاوى هذا المجلس. ومن ضمن ذلك منشور محاكمة الخليفة محمد شريف. وبعد اعدام القاضي الحسين زهرا عُيِّن ود البدوي قاضياً للإسلام. وبعد ثلاثة أعوام من سقوط المهدية عيَّنته الحكومة الإنجليزية المصرية قاضياً للإسلام وشيخاً للعلماء. وتوفي بمنـزله بحي العباسية في أم درمان عام 1911م. عون الشريف قاسم. 1967م. جـ 5. ص 2143-2146.

(3) يروي عون الشريف قاسم قصة أخرى حول ترحيل ود البدوي من حي الملازمين إلى حي الأمراء. إذ يقول: «اقام [ود البدوي] أولاً في منطقة البحيرة شرق الملازمين. ووشى به بعض الناس إلى الخليفة وقالوا إنه يعيد صلاته التي صلاها مع الخليفة بعد رجوعه لمنـزله. وشهدوا ضده بذلك فأمر الخليفة بنقل منـزله إلى وسط حي الأمراء لتشديد الرقابة عليه. وهو منـزل الأسرة الحالي». عون الشريف قاسم. 1967م. جـ 5. ص 2144.

منـزل الأمير أحمد أبو ام فضالي الحمري الذي قتل في القلابات منـزل كبير فيه عايله كتيره أخبرته عنه، وأذن برحيل مولانا ولد البدوي يسكن فيه، وصار مقبول عند الخليفة.

وأسباب قتل الأمير أحمد أبو أم فضالي، ومعه عبد الله جاموس، وأحمد المغموس من رياشين اضلهم واحد اسمه آدم برقاوي[1] به شيطان، قال لهم: «أنا النبي عيسى روح الله». واتبعوه، ولذلك صدر الأمر من [93] الخليفة بقتلهم جميعاً. ومن هذا المده صار الخليفة يطلع في الهجره من القصير إلى ديم يونس، ومنه إلى هجرة ولد البصير وهلما جرا. في كل هجره نقيموا بها خمسه أيام أو سبعه أيام، وندخلوا المدينه، وعند حضور وابور الجبل من عربي دفع الله والحاج محمد أبو قرجه، فإذا كان في ناس مذنبين يأمر بسفرهم يعطى الخبر إلى يعقوب، أو ذات الأمير يعقوب أراد سفر جماعه من المساجين يخبر أخيه بذلك. وفي ذات يوم صدر الأمر بسفر الحسن أبوسرحان العبادي[2] رجل مسمى في قبيلته، والفكي صالح خليفة سوار الذهب رجل عاقل هو في منـزله، وأمرني السيد يعقوب بسفره إلى بحر الجبل على حسب أمر الخليفة، وأسباب منافسه ما بينه وبين ابن عمه محمد إبراهيم سوار الذهب الذي هو أمير عليهم، وقد كان احضرته من منـزله بمكتب الرايه الزرقا، وادخلته في مربوعه، واوصيت عليه بإكرامه كونه رجل طيب، وليس حصل منه ذنب يوجب لذلك، إلا ابن عمه يقول للخليفة «إن الفكي صالح

(1) هو آدم محمد البرقاوي. كان مجاهداً في راية عبد الله البرقاوي التابعة لجيش الأمير يونس ود الدكيم المرابط في القلابات. وفي نهاية 1887م أعلن آدم البرقاوي بأنه نبي الله عيسى. وقد تمَّ استجوابه في هذا شأن أمام مجلس كونه الأمير حمدان أبوعنجة مع عدد من الأمراء ونواب الشرع. فكانت دفوعه تتمثل في قوله: «أنا نبي الله عيسى فإنَّ لم تصدقوا بي الآن فلا تصديق لكم بعد هذا [...] أنَّ الحقّ عزَّ وجل أخبرني بأني نبي الله عيسى وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم». وفي ضوء هذا الإقرار فوّضَ الخليفة عبد الله الأمير حمدان أبوعنجة بشنق البرقاوي. ونفر من أنصاره. ونذكر منهم محمد عمر القرشي. ومهاجر إسماعيل. وعيسي أحمد. والطيب محمد البديري. ومحمد أحمد أبو أم فضالي الحمري. وعبد الله جاموس. وأحمد المقموس. لمزيد من التفصيل انظر: محمد محجوب مالك. ص 1987م. 184-188.

(2) هو حسن محمد خليفة العبادي. من العبابدة المليكاب الذين يقطنون منطقة بربر. ووالد حسين خليفة العبادي الذي عمل مديراً لمديرتي بربر ودنقلا في العهد التركي المصري. تشكك الخليفة عبد الله في نواياه السياسية بحجة أن لديه علاقات مع ابن عمه صالح بك العبادي الذي يسيطر على منطقة مُرات في الشمال. وفي ضوء هذه التهمة تم حبسه ونفيه إلى الرجاف. وبقي في الرجاف حتى سقوط الدولة المهدية. وبعد ذلك تم اطلاق سراحه. وعاد إلى أم درمان حيث توفي عام 1899م. رتشارد هل. 1967م. ص 157.

منكر في المهدية، وليس يرضى بسيادتكم أن تكون أمام في الصلا». وحصلت ذلك الأمير عدة شكوه في حق المذكور، وأمر الخليفة بسفره إلى بحر الجبل مع حسن أبو سرحان، وفي يومه احضرت الأنصار الحرص على الوابور، والسيد يعقوب أمر بحضور وابور بحر الجبل، وادخلناهم ليلاً وسافر الوابور بالمذكورين.

[يوسف ميخائيل أمين سر الخليفة]

وأنا صرت مقرب عند خليفة المهدي، وأرسل لي واحد ملازم من الملازميه، وذلك من بعد صلاة المغرب، وأنا بالجامع قبل طلوعنا منه، [و] قال: «احضر طالبك سيدي الخليفة». توجهت مع المذكور دخل عليه واخبره بان يوسف القبطي حضر، وها هو بالباب». قال له: «اعطيه الإذن بالدخول». دخلت عنده وجدته لوحده جالس، ومن بعدما اعطيته السلام. قال: «اجلس بارك الله فيك، وعليك». عند ذلك قال: «أفهم تمام يا ولدنا يوسف، أنا ما طلبتك إلا لأجل ما نعلمك أنا بحثت[1] في طريقك، وفي كل مجلس أنت تكون فيه. وسألت مخصوص السيد المكي وخلافه عنك ليس وجدت إنسان قال لي في حقك كلمه، ولا تفوهت[2] لأي إنسان بكلام يكون خاص بأي مصلحة في أمر الدين. ولذلك صرت مسرور منك وجعلتك كاتم أسراري واتخذتك [94] كمثل شيخ الدين ابني». قلت له: «الله يطول لنا عمرك يا سيدي، أنت نورنا في الدنيا ووسيلتنا في الآخرة، إن شاء الله تعالى وبنفس خليفة المهدي عليه السلام نخدم سيادتكم بكل الصداقه والامانه». قال: «قوم وارتاح أنا طلبتك لأجل ذلك»؟ ومد يده الشريفه، وقبلتها وتوجهت من عنده مسرور وخايف – على رأي المثل : «أحذر من بطش الملك كمثل الليث[3] إذا سطا»

(1) المخطوط: بحست.
(2) المخطوط: تفوحت.
(3) المخطوط: الليس.

وكان في ذات يوم وهو يوم الجمعه نحضرو لأجل صلاة الجماعه من بعد فراغ[1] الصلاة، وهو موجود بالجامع نده[2] قال: «يا لامرا». قاموا كافت الأمرا من محلات صلاتهم، وجلسوا أمامه. وبعد ذلك قال: «ولدنا يوسف القبطي»، وأنا بالبعد من محل المحراب في صف بان النقا موسى صار عموم الأنصار يقولوا «يوسف القبطى، خليفة المهدي طالبك». أخذت سيفي على كتفي، وتوجهت عنده بالقرب إلى المحارب، وجدت كافت الامرا جالسه أمامه، والأمير يعقوب في محل صلاته بالقرب له. عند ذلك أعطيته هذا السلام: «السلام عليك يا سلطان المؤمنين، وخليفة رسول رب العالمين، وحامي حوزة الدين خليفة المهدي الامين عليه السلام». قال: «وعليكم السلام والرحمه ولدنا يوسف القبطى أجلس بارك الله فيك وعليك!» إنما بصوت عالي قلت ذلك السلام وبكل ثبات[3] والخليفة علي ولد حلو موجود، وكافت الأمرا، وصار الأمير يعقوب مبسوط من هذا التلبيه العظيمه، والأمرا دا ينظر إلى ذاك، وأخذهم العجب وبسرور الخليفة. وصار يذاكر فينا بالجهاد، ونكونوا مستعدين، ويعطنا الفاتحه، ويقوم من المحراب يدخل إلى دار الخلافه. وإذا كان أراد طلب إنسان بعد دخوله يطلبه، وإذا لم أراد لم يرسل إلى إنسان بل يأخذ راحته. وعند ذلك صاروا الأمرا إذا طلبني الخليفة، ودخلت عليه وعند طلوعي منه يقول حسن غرشلي أحد الأمرا: «جاكم شارب الشمسين يوسف القبطى»[4]. وصاروا يهابوني[5] من ذلك الوقت، ولا يقدر أي إنسان يمد يده على واحد من جماعتي، وصرت محبوب عند الخليفة.

ونحن في حظ وانبساط وما نسمعوا إلا [95] إخوانا التجار الذين يحضروا من بحري يقولوا الترك متحركين بالحضور لأجل محاربت الخليفة، وإن هذا الكلام سراً

(1) المخطوط: فارغ.
(2) المخطوط:ندح. أي نادى
(3) المخطوط: سبات.
(4) يقصد بهذه العبارة أن يوسف ميخائيل كان مخضرماً عاصر العهدين التركي والمهدوي أو أنه اعتنق الديانتين المسيحية والإسلام.
(5) المخطوط: يحابوني.

في البيوت نقولوا «ليته فال وكان حتى نخلصوا من هذا الظلم الحاصل وسفك الدما بالباطل». لاكن لا يقدر واحد منا يطلع هذا الخبر برا إلا في البيوت لما نكونوا لوحدنا، وإذا كان عندنا شراب من الخمره أو خلافه إلا من بعد صلاة العشا، وأيضا في بيوت إخوانا أولاد البلد، أو عند فُنْقُر دايماً يكون الخمره موجوده، أو عند باقرمه، أو عند بعض أمرا التعايشه دايماً نشربوا سوياً، حتى كان ذات يوم قال: «يا خوانا تنظروا على سمنكم وجمال وجهكم من صلاح فيكم؟ إن هذا من مخ العيش انتم تشربوا مخ العيش». قلنا له: »لا يا سيدي وصار يضحك عليذلك.

وهو عنده خبر من أحمد ولد علي أمير جيش القلابات بأنَّ سفير الحبش حاضر لطرفكم مرسول من الملك منليك[1] أذنه بالحضور وقد كان عين لهم محمد عثمان حاج خالد، وإدريس عبد الرحيم من أولاد البلد لأجل مقابلتهم بالطريق والحضور معهم سوياً. وحضروا المذكورين، ومعهم السفير، وجماعته مقدار خمسة عشر رجل بخلاف الخدام. عندما دخلوا أم درمان أذن [الخلفية لـ]إبراهيم رمضان «بنـزولهم في أحسن مكان ويحضروا لهم بهايم الخرفان لأجل ما يذبحوا لوحدهم، كونه ليس ياكلوا دبحت الإسلام، وعملوا لهم الخمره من البلح، واحضروا لهم خدم اسطوات لأجل خدمتهم في الطعام، ورتبوا لهم من الطابونه رغفان، واكرموهم غاية الاكرام في كافت طلباتهم، وما يلزم لهم من الفراش، وتلازموهم في خدمتهم ومن بعد أخذ راحتهم احضر معهم». إنَّ ابراهيم رمضان استعد لهم بكافت الاشغال من الخمره إلى الذبايح، واحضر لهم خدام نضاف لأجل الطعام، وصاروا مسرورين حتى أذن لهم الخليفة بالمقابله. حضر السفير في الجامع بعد الصلا، وأعطوا السلام الملوكي كمثل عادتهم يحنوا رؤسهم والأيادي على الصدر صار الخليفة مبسوط منهم جداً، وقال للسفير: «لماذا عند السلام تحنوا رؤسكم؟» قال له السفير: «إن هذا سلام الطاعه للملوك». قام من المحراب ودخل معهم لوحد[هـ]م السفير، وجماعته لأجل أخذ الاخبار التي حضروا بها من عند الملك، واكرمهم

(1) المخطوط: مليك.

هو في دار الخلافة غاية الاكرام ورحب بهم ومدحهم على حسن فعالهم، وأذن لهم بأخذ الراحه في منـزلتهم لغاية ما يطلبهم. واحضر إبراهيم رمضان وقال له : «أتوجه معهم وشوف [96] خاطرهم، ومن بعد ذلك أرسل إلى أمين الترسانه بأن يستعدوا بالزينه من أحسن ما يكون لغاية، ما يأذن لهم بالحضور. ومن [بعد] أربعة أيام طلع في هجرة يونس الدكيم كونها محلها متسع وجميل، وطلب أهل الترسانه بأن يحضِّروا الزينه في الهجرة وتكون بالليل. وأرسل إلى سفير الحبش وجماعته حضروا عنده صيوان الملك يوحنا جالس فيه، ومن بعد حضورهم بعد صلاة العشا تقدموا اسطوات الترسانه بالزينه، عملوا فيها سواريخ الهو [اء]، وحمار خشب، وجملة أصناف تضرب بارود في الهواء، والمفرقعات تصعد إلى فوق وتنـزل كمثل النجوم، وأكرمهم غاية الاكرام. وأخذهم الأمير يعقوب، وإبراهيم رمضان الوكيل عليهم في كل مكان فرجوهم على بيت الأمانـ [ة]، والورشه الحربيه، وعلى السوق الكبير، والسور[1] وخلافه. ومن بعد ذلك أخذوا الأذن وسافروا والسفير فصيح اللسان مدح الخليفة على قدر الإمكان، وتوجهوا منه مسرورين. والخليفة أرسل معهم رسل لأجل ما يكونوا حرص. هذا ما كان من حضور سفير الحبش.

إنما الملك منليك أرسل له [أي للخليفة] راية فرنساوية، وكتم عليها الخبر وأدخلها الخليفة في بيته الخاص، وأهداه الخليفة بعضاً من جبال بني شنقول للملك، والسفير عرَّف الخليفة أن يرفع هذا الرايه في حدود ملكه لأجل ما يكون ملك مستقل في مُلكه، وفرنسا تكون له حمايه.

ومن بعد مده طويله أرسل [الخليفة] الى ابن عمه محمود ولد أحمد[2] عامل عموم

(1) المخطوط: الصور. ويقصد به السور الذي شيده الخليفة حول مدنية أم درمان لتأمينها عسكرياً.

(2) هو محمود ود أحمد. ابن أخ الخليفة عبد الله. عُينّ عاملًا على عمالة الغرب (دارفور وكردفان) خلفاً للأمير عثمان آدم الذي توفي عام 1889م. وتمكن خلال فترة توليه العمالة من قمع الحركات المعارضة للمهدية في دارفور وكردفان. وفي عام 1897م استدعاه الخليفة ليقوم بتحصين الجبهة الشمالية ضد الغزو الانجليزي-المصري. وإليه تنسب مجزرة المتمة عام 1898م التي قُتل فيها عبد الله ود سعد. ونفر من زعماء الجعليين. وقع في الأسر بعد هزيمة قواته في معركة النخيلة عام 1898م. وتوفي في سجن دمياط بمصر عام 1906م. رتشارد هل. 1967م. ص 224.

الغرب [أنَّ] يجمع كافت الجيوش التي بالغرب، وكافت التعايشه، والعربان من الهبانيه، إلى الرزيفات، والمحاميد، وأولاد حميد، والمعاليه، وكافت أهل الغرب من دارسلا، إلى تامه، وبرقو، وبرنو، وزغاوه[1]، وقمر، وكجيا، ومسبعاة، وكنجاره، وكافت قبايل الغرب، ليس ترك أي قبيله. وحضر بجيش جرار كمثل الجراد المنتشر، وبعض قبايل ليس تعرف لهم كلام كمثل البهايم، وله مده كبيره وهو حاضر بهم إلى ام درمان أخذ فيها تلاته شهور وكسور من كترت الجيوش، ويسوقهم سوق الاغنام، وفي طريقهم خربوا الديار والبلدان، رجال ونسا كمثل البحر الزاخر. ومن بعد وصولهم كوردفان صار يرسل فيهم بالدفع دفعه، والمسافرين ما صدقوا وصولهم إلى البحر ينـزلوا فيه كمثل الذبان جيش متراكم على بعضه البعض. وأما التعايشه لهم ناسات من أولاد البلد مخصوصين قاموا بهم قبل كل قبيله، وفي كل بلد مكرومين من أهالي البلد غصباً بدون رضا، ومع إكرامهم عند قيامهم يخربوا البلد ليس تركوا فيها ولا كأس مويه، كونهم تعايشه [97] أهل الملك، وأرباب الدوله، وعلى رأي المثل: «المنقله تسقى جناها».

حضروا عندنا التعايشه قبل القبايل الاخره حضروا بجهة شبشه[2]. الأمير يعقوب أرسل لهم المراكب والوابورات[3] لأجل حضورهم على كف الراحه، واستعد لهم بالعيوش والكساوي، وصار إبراهيم رمضان، وكافت خدام بيت المال ينقلوا في الكساوى للرجال والحريم[4]. وإن جميع ذلك ترتيب يعقوب أخبر الأمير محمود بارسال أهليته قبل كل القبايل لأجل اكرامهم. وقد كان حضروا بأم درمان، وتوجهنا نحن كُتَّاب عموم الرايا الزرقا لأجل الصرف إلى أسيادنا التعايشه وبشروهم: «أن جميع ما في ام درمان هو ملكاً لكم لا تخافوا من شي كونهم عربان متوحشين». وبخلاف ذلك

(1) المخطوط: صغاوه.

(2) المخطوط: شبته. وشبشه من قرى النيل الأبيض. تقطنها قبائل الكواهلة والحسانية.

(3) المخطوط: وابوبارات.

(4) يوجد رصد كامل للأموال التي صرفت من بيت المال العموم لأفراد جيش محمود ود أحمد الذين حضروا من الغرب. وعلى وجه التخصيص التعايشة. انظر: أحمد أبوشوك وآندرس بيركيلو. 1996.

يُحضروا لهم الأكل من التكيَّه[1] مخصوص، وصار يعقوب بمسرور بهذا العربان كونهم أهليته. وأما كافت القبايل الغير كلا شي عند يعقوب، بل حضروا جيش ليس له أول ولا آخر، ونـزلوا في واسع الفضا غرب أم درمان. وبعد مده حتى تكامل الجيش على بضعه لوحده صار مدينه، وبعد ذلك صدرت إشاره كريمه من خليفة المهدي لكافت سكان عموم أم درمان من بعد تلاته أيام يطلعوا لجيش محمود أحمد، وأمر يعقوب بان النقا موسى يطلعوا بالخيام لأجل حصر قداحت الأكل من الرايات، والمقاديم بموجب كشوفات، وعند غروب الشمس يوزعوا الأكل على كافت أرباع ر [ا]يات محمود. وقد كان طلعوا كافت كُتَّاب الرايا الزرقا لأجل حصر القداحه على حسب الأمر، ومن بعدها يكون توزيعهم على أمرا الأرباع من بعد ما يعطوا الخبر إلى الامير محمود أحمد. وعند صلاة العصر حضر عندنا السيد يعقوب وقال لي: «توجه إلى الأمير محمود، وعرفه بإن هذا عشا من خليفة المهدي لأجل الجيش، ومن بعد حضورك من محمود، أقف مع كل أمير ربع، وأمروا لأجل توزيع الأكل، وعندما نحضر تعطني الخبر . أنا رايح لأجل عشا أمرا الأرباع، ونحضر لهم كساوى، وعند صلاة المغرب نكون عندكم». وقد تلقيت منه هذا الأمر توجهت إلى الأمير في صيوانه جالس، ومعه أمرا الأرباع الكبار. عندما قربت نـزلت عن الحمار، وعندما شافني قام، وأسرع لمقابلتي خارج الصيوان. بعد السلام أخبرته بحقيقة الحال أخذني من يدي، ودخل الصيوان، وأمر بحضور الشاي، ولحم مشوي على اطباقه موضوع، واحضروا الجَبَنه، وهو مسرور وصار يعلم الأمرا: «إن هذا عشا من خليفة المهدي عليه [98] السلام على شان الجيش أخبروا كافت الأمرا عند حضور الأكل يكونوا حاضرين مع الأنصار». وطلعت منه وصرنا نرسل القداحه شايلين رجال ونسا لغاية المغرب، فرقنا الأكل القدح الواحد عليه عشره أنفار، والبعض خمسة عشر نفر، والناس كمثل الدبان. ومن بعد أكلوا قلت للأمرا الأرباع اجتمعوا عندي معاكم كلمه حضروا الجميع». قلت لهم : «اعلموا أن هذا الأكل مرسول من

(1) التكية هي ملجأ الفقراء. ويقصد بها في هذا المقام بيت الضيافة الخاص بالدولة المهدية.

سيد الجميع عشا لأجل جيوشكم، وأنَّ هذا بركه من عند سيدنا الخليفة، وإذا سألكم الأمير يعقوب قولوا له الأكل كفا الجيش لغاية ما فضل الأكل صار كل واحد عنده قدحين». ومن ضمن الأمرا عبد القادر دليل، والعطا اصول، والضو ولد الخواجه، قالوا لي: «يا يوسف أنت شفت القدح عليه عشره أنفار، والبعض خمسه عشر نفر». قلت لهم: «أنتم ليس عارفين أن هذا من خليفة المهدي، ونـزلت عليه البركه». عرفوا معنا كلامي. وعند حضور الأمير من البقعة احضر معه الأكل، والكساوي الفاخره لأجل أمرا الأرباع أرسل الملازم داود محمد الحمراوي قال له: «أخبر يوسف يحضر الأمرا رؤوس الأرباع، وأرسل إلى الأمير محمود بالحضور معهم». اجتمعنا الجميع محل واحد وتوجهنا إلى منـزل السيد يعقوب في الهجره بالقرب لمحل محمود أحمد ودخلنا عليه . أول ما نظر علي قال: «عشيتوا الجيش؟ قلت له: «نعم أن بركه الخليفة كفت الجيش». قال عبد القادر دليل الأنصاري: «الواحد أخذ قدحين». العطا اصول قال: «أن هذا من بركة سيدنا خليفة المهدي». عند ذلك صار الفرح والسرور للأمير يعقوب. ضحك وطلب الأكل حضر لنا الأكل جميعه أرباع لحم معمول في الطابونه عند يوسف ساوره والرغفان أكلنا، ومن بعد ذلك طلب جُبَب جوخ مرقعات بالجوخ الجميل، كل أمير أعطاه جُبَه، وسروال، وعمه، وكرَّابه[1]. صاروا مبسوطين من ذلك. لأخر كل ليل توجهنا لمنازلنا.

(1) الكرَّابة هي حزام من القماش يربط في الوسط.



الفصل السادس

الخليفة عبد الله بين خيار الجهاد والحماية الفرنسية[1]



(1) المخطوط: العنوان الأصل: «مسألة عبد الله ولد سعد أمير الجعليين بالمتمه».



بلغ الخبر عند خليفة المهدي أن الجيش الإنجليزي والمصري حاضر لأم درمان لأجل فتوح السودان، والخليفة اعطا إلى الأمير محمود أحمد يكون مستعد بالجيوش عندما [99] يعطه الخبر بالقيام يتوجه إلى المتمه، يكون مرابط بالجيش قبل حضور الجيش الإنجليزي والمصري، ومن بعد ذلك يتوجه بالشرق إلى شندي يقيم فيه بالجيش وينتظر الاشارة[1]. ولما بلغه أن جيش الحكومه وصل الشلال أحضر أخيه يعقوب، وأولاد عمه محمود أحمد، وأخيه إبراهيم الخليل، وابنه الاكبر عثمان شيخ الدين،[2] وتكلم معهم بخصوص راية فرنسا[3]، لأجل وضعها في حدود ملكه ويكونوا حمايه. يعقوب وأولاد عمه ليس وافقه على ذلك. ومن بدري الوقت يعقوب تكلم مع محمود وأخيه بخصوص هذا الرايا، وقال لهم: «لا توافقوا عليها، بل يكون الجهاد. المهدي حضر بالسيف، نحن نحارب بالسيف، ولا ندخلوا تحت طاعة النصاره». لما حضروا عند الخليفة توقفوا عن رفعها في حدود ملكهم بحلفا. وإنما عثمان شيخ [الدين] موافق على رفع الرايا، وقال: «نعم إنَّ المهدي حضر بالسيف، وملك لغاية الخرطوم. أنتم ماذا ملكتو؟ والذين حاضرين لكم دول ليس دوله واحده». مع ذلك يعقوب توقف بالكليه مع أولاد عمه، وارتفعت الجلسه.

---

(1) أنظر الملحق رقم (3) الخاص بالخطاب الذي أرسله الخليفة عبد الله للأمير محمود ود أحمد بشأن ترحيل أهل المتمة للضفة الشرقية للنيل (شندي).

(2) هو عثمان بن الخليفة عبد الله التعايشي (1880-1900م)، الملقب بشيخ الدين، اعتني والده بتعليمه، وكان من معلميه الشيخ محمد عمر البنا، والشيخ الطيب محمد هاشم. وكان من قواد معركة كرري عام 1898م، وقاد هو وعثمان أزرق كتائب الأنصار والملازمية. وأخيراً جُرح وأُسر في واقعة أم دبيكرات، ومنها رُحِّل إلى مصر حيث قضى باقي عمره سجيناً في دمياط. رتشارد هل، 1967م، ص 370.

(3) يقصد براية فرنسا العلم الفرنسي الذي أعطته القوات الفرنسية ملك الحبشه ليسلمه للخليفة عبد الله، بحجة أن الخليفة إذا وضعه في أي ركن من أركان دولته تصبح دولة المهدية محمية فرنسية، وبذلك يقطع الطريق أمام القوات الإنجليزية الطامعة في السيطرة على السودان. وتعكس هذه المبادرة المدي الذي وصلت إليه حمى النشاط الاستعماري في ذلك الوقت، وشدة التنافس السياسي بين بريطانيا وفرنسا، فكل واحد منهم يسعى لتوسع حدود امبرطوريته الإمبريالية على حساب الشعوب الحرة المستقلة. وقد أمن على صحة هذه المبادرة حاج خالد العمرابي أحد ممثلي الدولة المهدية في الوفد المفاوض مع الأحباش. أنظر محمد سعيد القدال، 1987، ص 178-185.

وفَضَل عثمان شيخ الدين مع والده حيث أنه حاصل له زعل كبير ما بينه وبين عمه يعقوب، بخصوص بنته عمه حوايه حيث أنه متزوج بها، وكانت حضرت عند والدها زعلانه من زوجها شيخ الدين، كونه جعل نظره على بنات البلد وصرف النظر عنها، ولذلك حصل لهما الزعل لا يقبلوا كلا بعضهم. عندما قاموا قال لوالده:

أعلم يقين أن الإنجليز لهم تار كبير عندك تار هكسي، وتار غوردون، وتارات الإنجليز الذين قتلوهم بأرض السودان، والمصريين لهم تار كبير في كافت جيوشهم من تركي إلى مصري بخلاف مُلك بلادهم، وحاضرين الآن لأجل أخذ التار ومُلك البلاد. وأنت ملك البلاد لا غيرك، وأنا أنصح لك كل شي حيث أني أخبر بحقيقت الحال، وبقيام هذا الملوك من بلادهم كونه عندي من أعطني الأخبار، وكافت أولاد البلد الذين عليهم المدار عندي، ودايماً يعطوني الأخبار، ولا سيما أني مطالع التواريخ، وعارف سير الملوك السابقين الذين ملكوا قبلنا، وسير الدول وما هي عليه[1]. إذا كان تخذ فكري ورأي، ارفع الرايا الفرنساويه في حلفا حدود مُلكك تكون حمايه تعيش أنت وأولادك، وارينى أي دوله أو أي مملكة ليس بها النصاره! إن كلام أخيك يعقوب اعظني وفي تلك [100] الساعه ليس امكني أن نفتح لك هذا الكلام، والآن الأمر أمرك».

قال الخليفة لولده: أيضا نأخذ فكر الأبهات»[2]. قال له: «يا والدي أن الأبحات ليس عندهم أفكار عاليه، حتى أنهم يعرفوا حيقيقت الدول، ليس إلا الاكل والشرب». قال: «مع كل ذلك نحضرهم ونأخذ أفكارهم». أرسل لهم عند حضروا وسلموا على الخليفة. قال لهم الخليفة: «إنَّ شاء الله تكونوا مرتحاين من التعب ليس عندكم شي بخلاف الصلاوات الخمسه». قالوا له: «الله يطول عمرك نحن مرتاحين! زمان لما كنا في دار التعايشه في البركه أم دافوقا نقتل الفيل والزراف،[3] وناس فلان يركبوا معنا في

(1) المخطوط: عليهم.
(2) المخطوط: الابحات. وهي إشارة إلي كبار التعايشة، وأهل مشورة الخليفة الخاصة.
(3) المخطوط: الظراف.

الوادي الفلاني». صار عثمان شيخ الدين يضحك. بعد ذلك قال لهم الخليفة: «أرسلنا لكم لأجل المشاهده معكم أتوجهوا لمنازلكم لأجل الراحة». من بعد طلعوهم شيخ الدين قال لوالده: «سمعت كلام الابهات، هل[1] ذكروا لك شي في أمر الحرابه، أو قالوا لك أحضرت جيش محمود لماذا؟ أنا ما قلت لك أن هؤلاء[2] ليس لهم إلا الأكل والشرب. الحمد لله ليس اطلعتهم على هذا الأمر. وأنا أقول لك ما حضرت الإنجليز من بلادهم إلا لأجل أخذ تارهم، ودبر نفسك، وأنا نصحتك». وقام من عند والده. هنا صار الخليفة بين أمرين: ما بين أخيه وأولاد عمه وخلافهم له، وما بين ابنه شيخ الدين ونصيحته، وعلى أي الحالات له الخاطر في رفع الرايا، إنما خايف من خلاف أخيه وأولاد عمه. وإنَّ ذلك جميعه سراً بدون ما يعلم به إنسان.

ومن بعد صلاة العشا، وكل إنسان أراد النوم، وما نشعر إلا حضر مرسال الخليفة يدور على منـزلي. دخل على باب عمنا إبراهيم خليل يجعلوا منـزلي، ضرب الباب، طلع له الخدام قال: «مَنْ الباب؟» قال «مرسال خليفة المهدي». عندما سمع عمنا إبراهيم خليل وأولاده أن هذا مرسال الخليفة دخلهم خوف شديد ورعب ليس له من مزيد، وقام له خليل ابن إبراهيم بك خليل[3] وقابل الملازمي جسد[4] بغير دم من شدة الخوف، قال له: «نعم». الملازم قال له: «هذا منـزل والدنا يوسف القبطي؟» قال له: «لا، تعالى يا جابر امشي معه إلى بيت الأمير يوسف، وأوصل معه لغاية البيت وأرجع». عند ذلك حتى أنهم [101] اطمئنوا من الخوف الذي دخل عليهم، ومن شدة الخوف والدهم بطنه جرت دم، ووالدتهم ارتخت أعصابها عندما سمعوا أن هذا رسول الخليفة، ولا سيما بحضر بعد كل ليل، وقبل ذلك ليس يحضر عندهم مثل هذا.

(1) المخطوط: الاباحات، حل.

(2) المخطوط: هولاي.

(3) هو خليل إبراهيم، تاجر مصري، ولد في الخرطوم عام 1844م. وبدأ حياته تاجراً عمومياً في الخرطوم، ويبدو أنه كان من الأثرياء، لأنَّ غردون في فترة حكمداريته الأولى على السودان كان يستدين منه لحساب الحكومة من دون فوائد. وبعد تحرير الخرطوم رحل إلى أم درمان، إلا أنه عاد إلى الحياة العامة مرة أخرى بعد سقوط المهدية حيث اُختير عضواً في مجلس بلدية الخرطوم. وتوفي عام 1917م. رتشارد هل، 1967م، 173-174.

(4) المخطوط: جته.

وقد حضر عندي الملازم من أولاد الحبش اسمه إبراهيم قال: «خليفة المهدي طالب حضورك». قلت للخدام: «طلِّع الحمار». وسألته: «مَنْ مع الخليفة؟» قال: في حضوري عندك ليس معه إنسان، إلا في ساعة العصر كان عنده سيدي يعقوب، ومحمود أحمد، وأخيه، وشيخ الدين، وكان عندهم كلام كتير، وقام سيدي يعقوب وأولاد عمه، وتأخر شيخ [الدين] وسمعته يقول للخليفة: «أحسن شي ترفع الرايه». وبعد ذلك دخلوا عليه الأبحات وطلعو». عند ذلك أنا فهمت المضمون، وعندنا الخبر السري بخصوص راية فرنسا، كونه دايماً نصرفوا الملازميه كل ما يحضر عندي واحد ضروري نعطيه مصروف لأجل أخذ الأخبار السِرِّية، لأجل ما يكون معلوم عندي حقيقت الحال. وإذا دخل أي إنسان عند الخليفة يعطوني خبره الملازميه على رأي المثل: «اطعم الفم تستحي العين».

وقد توجهت له فوجدت الخليفة علي، وموسى تاي الله، ومحمد على فايت قاعدين على الباب طالبين الإذن بالدخول على الخليفة، ودخل الملازمي الذي حضر عندي وأخبره بحضوري. انتظرت مقدار ربع ساعة مع الجماعه، وحضر ملازمي خلاف الأول اسمه سلمان، فتح الباب البراني. وقال مَنْ بالباب قال [الأول]: «خليفة الفاروق، والتاني: أنا موسى تاي الله، والثالث: محمد على فايت، الرابع: يوسف القبطي». رجع الملازم قال: يوسف القبطي أدخل، توكلت على الله ودخلت، وجدته جالس على الفروه في الأرض اعطيته السلام المعلوم. قال لي: «اجلس». جلست مد يده، جِيت على رُكبتي[1]، وقربت عليه، وسلمت على يده وتأخرت، ومن بعد كلام كتير قال لي: «يا ولدنا يوسف». قلت: «نعم». قال: «أنا نسألك سؤال وتجبني عليه». قلت له: «يا سيدي الذي نعرفه نخبر به سيدي». قال: «يعلم الله ورسوله أنا جعلتك مثل شيخ الدين ابني، عندك في الدول أكبر أي دوله الروم أو المسكوب[2] ولا التليان أو فرنسا ولا الحبش؟ أكبر أي دوله في هذا الدول؟ [102] قلت له: «يا سيدي أكبر دوله المهديه». ضحك قال: «المهدية أنا عارفها بل

(1) المخطوط: رقبتي.

(2) يقصد بدولة المسكوب روسيا القصيرية.

نسألك عن الدول الغيرا». قلت له: «يا سيدي أنا مولد كردفان ما نظرت البحر إلا عندما حضرنا مع المهدي». قال: «حقيقي أنا عارف ذلك إنما أنت تطالعوا التواريخ، ولا سيما عند [ما] يجلسوا الأباحات يقولوا في الزمان الفلاني كان الملك الفلاني كذا، والدوله الفلانيه أكبر من الدولة الفلانية». قلت له: «حقيقي يا سيدي نسمعوا أهلنا الكبار يقولوا أنَّ دولة المسكوب أكبر دولة من شدة جيشه كتير». قال: إذا كان السما وقع نرفعه بالسنج تطأ[1] عليه أصغر دولة خذلته. قال : «الروم». قلت له كان الملك القيصر دولته كبيره عندما ظهر النبي قتلهم وصارت دوله جمهوريه» قال: «التليان؟» قلت له: «دولة صغيرة لاكن صما». قال: «حقيقي». قال: دولة الحبش». قلت «دولة كبيره إنما كمثل المهدية حرابتهم دكسه واحده، يا نصره يا كسره». قال: «حقيقي». سألني عن دولة فرنسا قلت له: «دوله عظيمه وكبيره مال ورجال وسلاح». قال: «كيف». قلت له: «دولة معمره من قديم الزمان». قال: «طيب إذا كان في ملك صغير وفي ملك كبير، والملك الصغير عنده رايه من الملك الكبير ماذا يعمل بها؟». قلت له: «يأخذها ويضعها في حدود مُلكه. إذا حضر ملك آخر[2] لأجل محاربت الملك الصغير عندما يجد راية الملك الكبير ليس يكون في حرب بينهم، بل يخابر صاحب الرايا يقول له: «لماذا وضعت الرايا هنا؟»». يقول له: إنَّ هذا الملك الصغير صار حمايه عنده». قال: «وإذا كان الملك الصغير ليس قبل يوضع الرايه». قلت له «يحضر الملك الكبير، ويكون الحرب بينهم». قال: يغدرو؟» قلت له: «محاربت أروبا ليس بالغدر، يحضروا علاناً يضربوا طبول الحرب، ويرفعوا الرايات، ويبرزوا للحرب». قال: المدافع التي تهدم البيوت؟» قلت له: «المدافع التي تهدم البيوت في بحر المالح كونها كبيره، وعندنا البحر صغير ليس يسع الوابور الكبير. إن هذا يكون في بلاد أروبا على شان مداينهم محصنه بالبنا بالحجاره [103]، القالب طول الزول مداين محصنه. وأما نحن نبني بالطين والطوب الأخضر». ومن بعد ذلك دخلنا في كلام غير،

---

(1) المخطوط: تطظته.
(2) المخطوط: آخار.

وطالت القعده وركبتي خضرت، قلت له: «يا سيدي، خليفة الفاروق منتظر بالباب، والجلسه طالت على سيدي، وقت آخر نحضر ونتكلم مع سيدي». حتى سمح لي بالقيام وقال: «بارك الله فيك»، وقبلت أياديه ودعيت له بخير، وطلعت منه، وحمدت الله تعالى على سلامة نفسي.

ووجدت خليفة الفاروق وضع رأسه على عتبت الباب ونام، وأنا طالع قام من النوم قال لي: «لماذا طولت علينا الجلسه يا يوسف؟» قلت له: «يا سيدي ليس بخاطري»؟ وانصرفت منه وجدت موسى تاي الله، ومحمد على فايت في قلق شديد من شده السهر، وتوجهت منهم عندما وصلت بالقرب إلى منـزلي وجدت خليل إبراهيم خليل مع عمنا خليل تادضروس واقفين على الباب في انتظاري ويقولو: «يا ربي ماذا حصل؟» الله يستر على القبيله من هذا الرجل» لغاية ما حضرت عندهم، قالو: «إن شاء الله يكون خير؟» قلت لهم: «خير لكم». قالوا «نحن في قلق من هذا الطلب». قلت: «كونوا في أمان ما دمت أنا حي قبيلتي لم يحصل لها شي بإذن الله تعالى، إنما هذا المجلس ليس خاص بكم اطمئنو!».

وقال خليل: «اصبر لما نضحكك عندما حضر رسول الخليفة كأن سيدنا عزرائيل [1] حضر عندنا، وحصل لنا خوف عظيم. وما الذي عرف خليفة المهدي بنا حتى يحضر رسوله في هذا الساعة! قمت بكل قوتي حتى وأني وصلت إلى الباب، وعند حضوري له، قال: «هذا منـزل والدنا يوسف القبطي؟» عند ذلك سكن روعي قلت: «يا جابر تعالى أوصل مرسال سيدي إلى بيت الأمير». وأما والدنا عند سماعه مرسال الخليفة بوقت بطنه جرت الدم، ووالدتنا ليس فضل فيها روح، كأن ملك الموت نـزل علينا، وما ردت عليهم روحهم إلا لما قال: «والدنا يوسف». قلنا: الله يكون في عونك يا عم يوسف!». ضحكت معهم وطيبت خاطرهم، وقلت لهم: «الله يسبل ستره على الجميع». قالو: «بل عرفنا ماذا حصل؟» قلت لهم: «ليس كل الكلام كلام»، وتوجهت منهم لمنـزلي.

(1) المخطوط: ازراعيل.

[تمرد أهل المتمة وجيش محمود وأحمد]

[104] أما مسألت المتمه كان ولد سعد[1] موجود بأم درمان، وبلغه الخبر بأن الأمير محمود أحمد بعد قيامه من أم درمان سكن بالمتمه، والمذكور كان نازل في منـزل إلياس أم برير أخذ مبلغ كبير من النقود وتوجه إلى الأمير يعقوب، واعطاه هذا المبلغ بنوع مساعده لأجل صرف التكيه. بعد ما استلم المبلغ يعقوب عبد الله ولد سعد أخذ منه الإذن لأجل سفره إلى بلده، أذن له الأمير يعقوب بالسفر، وقام من عنده ليس تأخر ساعة واحدة من الزمان ما صدق بصدور الإذن من يعقوب بوقته توجه إلى المتمه مع جماعته، ومن بعد يومين يعقوب اعطى خبره إلى الخليفة وقال له: «عبد الله ولد سعد سافر إلى المتمه من أمس». عند ذلك حصل زعل كبير لخليفة المهدي، وحالاً [طلب] ارسال هجانه لحضوره من الطريق قبل وصوله إلى المتمه، وطلعت الهجانه من أم درمان لأجل تحصيله بالطريق، ليس حصلته إلا بالقرب للمتمه، واعطوه جواب الخليفة أمره بالرجوع. أخذ الجواب، وقال للهجانه: «ارجعوا إلى سيدكم وقولوا له عبد ولد سعد خالف أمرك كيف يرضى بأن تطلع أهل المتمه، ويسكن بها محمود أحمد، وتخرج كافت النسا والأطفال! أنا خالفت أمره بهذا الشان»[2].

---

(1) هو عبد الله ود سعد بن فرح، من المرياب النفيعاب الذين يقطنون المتمة. هاجر إلى المهدي في كردفان، حيث نُصِّب أميراً، وعُقد لواء إمارة الجعليين لأخيه علي ود سعد. واشترك الأمير عبد الله في العديد من الوقائع العسكرية خاصة أبو طليح والمتمة. ولكن بعد وفاة المهدي حدثت جفوة بينه وبين الخليفة عبد الله لأسباب اختلف حولها الباحثون. وحينما أمره الخليفة بإخلاء المتمة لجيش محمود ود أحمد رفض الأمر وتعلل بعدة أسباب. إلا أن هذا الرفض قاد في خاتمة المطاف إلى الصراع المسلح بينه وبين جيش محمود ود أحمد. وتبلورت حصيلة ذلك في مذبحة (كتلة) المتمة التي راح ضحيتها الأمير عبد الله نفسه، وعدد كبير من أهله الجعليين عام 1897م. رتشارد هل، 1967م، ص 7؛ وعون الشريف قاسم،1996م، جـ 4، ص 1469.

(2) تجمع المصادر التاريخية على أن الخليفة اختار قرية المتمة معسكراً لجيش محمود لسببين رئيسيين: أولهما: أن التوقعات العسكرية أفادت أن الجيش الغازي سيسلك نفس الطريق الصحراوي الذي سلكته حملة الإنقاذ عبر آبار جقدول، وأبوطليح، ثم المتمة، ومنها يتفرع إلى أم درمان؛ وثانيهما: أن الخليفة تأكد من عدم وفاء الجعليين للدولة المهدية بعد أن ثبت له صحة علاقاتهم مع الجيش الغازي حسب إقرار أميرهم عبد الله ود سعد في الاجتماع الذي عقده الخليفة في هذا الشأن بأم درمان. إلا أن المصادر التاريخية تختلف حول قصة «هروب عبد الله ود سعد من أم درمان». وفي هذا يقول على المهدي: إنَّ الخليفة لم يكن مطمئناً لمباركة عبد الله ود سعد بترحيل أهالي المتمة إلى شندي، بل كان يعتقد أنه قد أظهر خلاف ما يبطن، والشاهد في ذلك قوله: «الذي أعلمه إنك تضمر السوء، ولك مكاتبات مع العدو ولو فتشنا جيبك لوجدنا بعضها». ونتيجة لهذا التشكك لم يأذن له بمغادرة أم درمان عقب

ورجعت الهجانه وأخبرت الخليفة بذلك الأمر حصل له الغضب الشديد. وكان الأمير محمود أحمد استعد بالجيش للسفر، أمره الخليفة يقوم للسفر، وينـزل في أرض الشفا لغاية طلوعه إلى الهجره لأجل الوداع. وقد كان قام محمود بالجيوش الجراره، ونـزل في أرض الشفا، وصار منتظر حضوره.

وتاني يوم حضر واحد اسمه أحمد ولد بشاره أصله مقيم مع المسالمه[1] كمثل مراغب لهم من طرف الخليفة، وألقي في حقهم قال للخليفة: «أن المسالمه يخابرو[2] أهلهم في مصر». عند سماعه ذلك أرسل ملازمي لأجل حضور المسالمه جميعهم وأميرهم. وأرسل ليّ لأجل حضوري مع أهليتنا. قد حضرنا الفريقين، وتوجهنا له بعد صلاة الظهر، ودخلنا عنده وجدنا معه السيد المكي، وعبد القادر أم مريوم، والخليفة ولد حلو. ودخلوا المسالمه قدام ونحن دخلنا من بعدهم، عند دخولي مع جماعنا اعطيته [105] السلام الملوكي، ووقفت على طولي، وفصلت جماعتنا عن المسالمه في الجلوس أمام الخليفة، وهو ينظر عليّ وساكت لغاية ما اجلست جماعتي بالبعد عن المسالمه. قال: «يا يوسف»! قلت: «نعم». قال: «اجلس واسمع الكلام». جلست أنا، وبان النقا موسى مع إخوانا، وعند ذلك فتح الكلام وقال: «إخونا المسالمه قبل ذلك هربوا منكم اتنين قسس[3]، واحضرتكم لأجل المحاكمه قلتوا أعطيتنا العفو والسماح قدام والدنا السيد

انتهاء الاجتماع. بل ارسل خطاباً عاماً (أنظر نص الخطاب: ملحق رقم 3) لأهل المتمة يطلب منهم إخلاء حلتهم بطيب خاطر. وذلك لتهيئة الجو العام قبل قدوم أمير الجعليين المتشكك في ولائه. وبعد فترة قصيرة من إرسال هذا الخطاب أذن الخليفة للأمير عبد الله ود سعد بمغادرة أم درمان. واشهد على ذلك الشيخ محمد عمر البنا الذي اختتم الاجتماع بقوله تعالى: «ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني أن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون» (سورة البقرة. آية: 132). وبعد الفراغ من تلاوة هذه الآية ودع الخليفة عبد الله ود سعد بكلمات يشوبها التشكك والحذر: «اذهب فإن الله سائلك من دماء الجعليين. وهذه الآيه تكون شاهداً بيني وبينك أمام الله». أوراق على المهدي. دار الوثائق القومية. الخرطوم. مهدية/70/10/8. ص 208. ويتضح من هذه الرواية أن الخليفة كان عالماً بذهاب عبد الله ود سعد إلى المتمة. إلا أن الرواية حسب مبلغ علمي أقل موثوقية من رواية يوسف ميخائيل. لأنَّ إسقاطات الواقع السياسي الذي عاشه الرواي تبدو واضحة عليها. وفي بعض جزئياتها تتناقض مع الوقائع التاريخية لتلك الفترة.

(1) المخطوط: المسلامة. المقصود المسالمة أو المسلمانية الذين اعلنوا إيمانهم بالمهدية تقيَّة.

(2) المخطوط: يخاربو.

(3) يقصد الكاتب جوزيف أهرولدر و روزقنولي. وجوزيف أهرولدر (Josef Ohrwalder) هو قس نمساوي انتدب للعمل

المكي، وعبد القادر ام مريوم، [و] عفونا عنكم. تاني هرب منكم واحد قسيس اسمه يوسف أيضاً سامحناكم، الآن وقعت مكاتبه في يدي أصحابنا مرسوله بحري إذا كان ولدنا يوسف معكم فيها، أو ما فيها الله يعلم به». أنا قلت له: «يا خليفة المهدي أنا ما اجتمعت مع المسالمه إلا في مجلس سيدي خليفة المهدي، ووالدنا السيد المكي يعلم بحقيقتنا، ونحن أهل الوطن». قال السيد المكي: «حقيقت يا خليفة المهدي أن الأقباط برئيين عن ذلك، بل هم تقيين ونقيين[1]. قال الخليفة: «حقيقي أنا عارف ذلك أن هذا من المسالمه»، أخيراً[2] طلبوا العفو منه. وفي تلك الساعة طلَّع أميرهم من الإماره، وعمل عوضاً عنه جابر الأنصاري، وهو اسمه جورجي كلمنتينو[3]، ومن بعد أخذ العفو منه قال لهم: «اضمنوا بعضكم وصرفهم بسلام». ونحن تأخرنا عنهم لغاية المسالمه طلعوا نحن وقفنا قال: «إخوانا الأقباط أنتم أهليتنا وبارك الله فيكم». أنا قلت: «يا سيدي من زمن الرسول نحن تحت البيرق النبوي والآن نحمد الله بخليفة الرسول، خليفة المهدي عليه السلام أنت ظل القبيلة وكهف العشيره». وطلعنا منه بسلام من الله تعالى.

وأما عبد الله ولد سعد ما سافر المتمه والخليفة عارف أنه نازل عند إلياس أم برير، وهو ابن عمه، أرسل إبراهيم رمضان ومعه كاتب لأجل تجريد إلياس أم برير وسجنه بالساير، وعندما وصل إبراهيم رمضان ومعه الجهادية والكاتب، دخل على إلياس أم برير

في بعثة الكنيسة الرومانية الكاثولكية في وسط إفريقيا. وحضر أولاً إلى القاهرة معية البطريك دانيل كمبوني ومبشرين أخرين عام 1880م. ومن القاهرة قدم إلى السودان عن طريق سواكن-بربر. إلى أن حطَّ رحاله في بعثة الدلنج التبشيرية في جبال النوبة. وتم القبض عليه فور اندلاع الثورة المهدية في كردفان. فرُحِّل إلي الأبيض عام 1882م. ومنها انتقل مع الجيوش المهدية إلي أم درمان. وظل حبيس الرقابة المهدوية إلى أن هرب إلي القاهرة عام 1892م. حيث ألف كتابه المشهور: «عشر سنوات سجن في معسكر المهدي». وعاد مع القوات الغازية عام 1898م وتوفى بعد عام من سقوط المهدية. رتشارد هل. 1967م. ص 298. أما باليو روزقنولي (Paolo Rossignoli) فهو مبشر إيطالي تابع للكنيسة الكاثولكية الرومانية في روما. حضر إلى السودان عام 1880م. وعمل في بعثة الدلنج. ثم انتقل الأبيض. ووقع في أسر المهدية بعد تحرير الأبيض. ومنها انتقل إلى أم درمان حيث ظلَّ رهين الإقامة الجبرية إلى أن هرب عن طريق أسوان عام 1894م. رتشارد هل. 1967م. 320.

(1) المخطوط: تقين ونقين.

(2) المخطوط: اخيرنا.

(3) هو جورج كلمنتينو. تاجر إغريقي كان يعيش في الأبيض. وسلم نفسه للمهدي قبل تحرير الأبيض. وعند حصار الخرطوم كان يقوم بدور الوسيط بين المهدي وغردون.

وقال له: «كون راضي يا والدنا إلياس أُمرت بتجريدك وسجنك عند الساير». عند ذلك قال إلياس ام برير: «من أعان ظالم على ظلمه سَّلطه الله عليه. أفعل بما أُمرت يا إبراهيم رمضان إلا الناقه لا تدخل غنيمة كوني [106] نتقوت بلبنها». قال له: «نأخذ لك فيها الإذن من الخليفة. وقد كان من تجريده من كافت أمواله، أخذو [ه] في سرير وتوجهو[1] به إلى الساير، كونه إلياس تقدم في السن وصار شيخ كبير والخليفة أذن له في الناقه[2].

وتوجهنا إلى هجرة أرض الشفا لأجل سفر جيش محمود أحمد، كونه قام بكافت الجيش، وكان الخليفة راكب على هجين، داخل القلعه اربعماية عسكري وعشرين ملازم من أولاد الحبش، وخلافهم شايلين السيوف، وحصانه عصار داخل القلعه. وعلي جُلَّه[3] وأحمد أبوجكه[4] مع ولد بشير قايدين الهجين، وهما ماشين حوله شمال ويمين، وتضرب ألة الحرب نحاس، وطبول، وام بايا، والزمر، وركبت الفرسان على الخيول الصافنات، وكافت الأنصار راكبين ومشاة. وزحف جيش الأمير محمود أحمد، وشُرعت الرايات، وتفرقت الأرباع والأمرا، وأودعهم الخليفة السلامه، وتوجهوا على بركة الله.

ورجعنا من الجيش بعد الوداع، قال خليفة المهدي: «انـزلوا عن الدواب واحضروا أمامي!». نـزلنا وحضرنا أمامه. قال «ادخلوا في البحر لحد الركبه، وسلوا سيوفكم وكبروا قولوا الله أكبر! الله ينصر محمود أحمد على عبد الله ولد سعد وإخوانه الترك والكفار، كبروا تلات مرات». قد عملنا كما أمرنا. بعد ذلك قال: «اخذوا لكم هروله[5] لحد

(1) المخطوط: يتوجه.

(2) لمزيد من التفصيل عن تجريد الأمول العينية والنقدية من إلياس باشا أمر برير في إيرادات بيت المال العموم في شهر صفر 1317هـ. أنظر: أحمد إبراهيم أبوشوك، وآندرس بيركيلو، 1996م، ص 95.

(3) هو علي الجُلَّة محمد قمر الدين، من زعماء المسيرية الحُمُر بكردفان. كان في بداية حياته دليلًا لغردون في مطاردة سليمان بن الزبير باشا عام 1877م، وبايع المهدي في شيكان وأصبح فيما بعد من خلصاء الخليفة عبد الله. حارب في كرري وأم دبيكرات حيث أُسر في أرض المعركة إلا أن سلاطين باشا أطلق سراحه تقديراً لصداقة قديمة بينهما. ثم بعد ذلك عُين ناظراً على المسيرية الحُمُر، وتنازل عن النظارة لابنه محمد نمر ناظر العجايرة عام 1918م. وتوفي بالمجلد عام 1944م. رتشارد هل، 1967م، ص 48.

(4) أبوجكه هو من ملازمية الخليفة عبد الله، وكانت وظيفته تتمثل في مساعدة الخليفة في ركوب حصانه والنـزول منه، كما كان يرافقه باستمرار، ويسير بجوار ركاب زاملته من جهة الشمال.

(5) المخطوط: هروله.

الجبل! كان موجود جبل صغير بجوار الهجره، وقد كان جرينا نحو الجبل، وكان [في] أربعه أولاد صغار رعاة عندهم طيره، وشلعوا النار لأجل نضاج الطيره، ولما نظروا الأنصار جاريه عليهم هربو، وتركوا النار. وعند وصولنا الجبل دسنا على النار بأرجلنا. ما نسمع إلا واحد أمير اسمه حماد رقيعات أخي علي جُلَّه يصيح [و] يقول: «نار الترك بقت[1] وقتلها يوسف القبطي». لغاية ما رجعنا وحضرنا أمام الخليفة وعلى أعلا صوته يقول: «يا خليفة المهدي نار الترك بقت[2] في صدر الجبل وقتلها يوسف القبطي». عند ذلك حصل الفرح والسرور الزايد للخليفة عند سماعه هذا الكلمه، وقال: «يا يوسف! –قلت له: «نعم سيدي!– «قتلت نار الترك في صدر الجبل». [107] قلت له «نعم عندما صدرت الإشاره الكريمه، على أننا نجري نحو الجبل، ظهرت نار في صدر الجبل نار بيضه، طعنتها بالحربه لغاية الحربه دخلت كمثل قبضة الكفه، قلت للأنصار: «أن سيدي خليفة المهدي معه نبي الله الخضر عليه السلام، وهو الذي أمره بأن الأنصار تجري نحو الجبل، سيدنا عارف حقيقت الأمر، ونحن ليس عارفين حيث يا سيدي، عندك علم الباطن». عند ذلك سل سيفه وكبر تلاته مرات، ونحن معه سوياً كبرنا على عبد الله ولد سعد، وإخوانه الترك الكفار.

وتوجهنا إلى الجامع وصلينا صلاة المغرب، وحضرنا عنده لأجل المذاكره قال: «ياخوانا أنصار الدين أن الله تعالى ناصرنا على الأعدا الجلابه الجعليين، والدناقله المنافقين، هما الذين يخربوا البلاد العامره، ما يدخلوا في مدينه أو أي بلده إلا خربوها، واساس الخراب ليس حاصل إلا منهم. إنَّ عبد الله ولد سعد هرب من عندنا لأجل ما يتوجه إلى اخوانه الترك والكفار، وإن شاء الله يقع في القبضه، ويقتل على يد محمود أحمد. ونار الترك التي ظهرت في صدر الجبل ونظروها الأمرا والأنصار، [و] قتلها ولدنا يوسف القبطي، إنَّ هذا علامت النصر على الترك الكفار بعون الله الملك القهار، وإنَّ

(1) المخطوط: بكت. أى اشتعلت.
(2) المخطوط: بكت.

جميع ذلك دلايل خير، وربنا أظهرها للأخوان! يا ولدنا يوسف!» قلت: «لبيك يا سيدي»! قال: «أوصف لنا حقيقت النار لأجل ما يعلموا إخوانا الأنصار». عند ذلك شرحت له وقلت له: «إنَّ سيدنا لما أمرنا بالجري نحو الجبل ضروري هو عارف بالذي يحصل ويظهر حتى ينظروا الأنصار. بوصلونا إلى الجبل ظهرت نار بيضه، كبَّرت عليها وطعنتها بالحربه، ودخلت فيها الحربة لغاية قبضت الكفه، ونظرها الأمير حماد رقيعات وجملة الأنصار الذين معنا. قلت لحماد رقيعات «إنَّ سيدنا الخليفة معه نبي الله الخضر عليه السلام، وعنده علم الباطن هو عارف، ونحن ليس عارفين بذلك، بل علينا تنفيذ الإشاره الكريمه». عند سماعه هذا الكلام حصل له الفرح والسرور، وتباشرت الأنصار بهز[1] السيوف والحراب. وقال: «ياخوانا أنصار الدين كونوا مخصلين بصافي النِّيه وحسن الطويه في نصرة دين الله [108] تعالى»، واعطانا الفاتحه. وأما الأمير يعقوب انشرح صدره لهذا المقال، ومسكني من يده وقال: «أنت بشير الخير يا يوسف». قلت له: «يا سيدي بوصول الأمير محمود أحمد عن قريب نسمع بخراب دار الجعليين المنافقين اعدا الدين، ومن بعد قتلهم الأمير محمود يجاهد الكفار، ويكون منصور عليهم، كونه سيدنا خليفة المهدي موازه نبي الله الخضر عليه السلام». صار مسرور بهذا الكلام، وجميع ذلك لأجل ما يسمعوا الأنصار على شان يكونوا واسقين. على رأي المثل: «من جاور الحداد احترق بناره». و»داري مادمتم في دارهم». نساير القوم على حسب مشربهم، ونسأل الله الخلاص كما قال الشاعر: «وبحسن السبل يفض الزعل». كونه نحن ما كان حالتنا معهم على العين، إنما نكون لهم كمثل الما على اليد. مكثنا عشره أيام في الهجره ودخلنا المدينه.

وأما المتمه بوصول الأمير محمود أحمد وجيوشه الجراره، وصل بالقرب إلى المتمه ورتب جيشه لأجل الحرابه، وكان عبد الله ولد سعد أرسل إبراهيم حاج محمد[2] وبعضاً

(1) المخطوط: بحز.

(2) هو إبراهيم محمد سليمان فرح. الذي ينتمي إلى بيت نظارة الجعليين في منطقة المتمة في العهد التركي- المصري. بدأ حياته العملية تاجراً في دارا بدارفور قبل اندلاع الثورة المهدية. ثم بعد ذلك ناصر المهدية الولاء. وعينه

من إخوانه إلى الحكومه بحلفا، لأجل اعطاه امداديه عسكريه، لأجل مساعدة عبد الله ولد سعد ليس قبلت الحكومه بذلك، خفتا على عساكرها، بل عرفوا إبراهيم المذكور أن الحكومه متوجه له وتأخر المذكور معهم. وهجم محمود أحمد على المتمه وقتل أهلها شر قتله، لغاية الطفل الصغير، وقتل عبد الله ولد سعد وإخوانه وأولاد عمه، وعموم الجعليين والأغراب الساكنين معهم، وأخذوا الأموال غنيمه، وساقوا النسا سوق الأغنام، وأخذوا منهم ملابسهم وتركوهم حفات عرايه ونـزلوا بهم في البحر لأجل شرب المايح يشربوا المويه[1]، وهم واقفين يندفروا كمثل البهايم عرايه. والذي حصل بأهل المتمه ليس حصل على أي بلده في السودان، من ما حصل على الرجال والنسوان والبهايم من شدة الهوان والذل، وأخرجوهم من المدينه وحبسوهم في صحرة، فراشهم الأرض وغطاهم السما بالجوع والعطش، ويبكوا الأطفال ليس يجدوا من يرحلهم. واحضروا منهم غنايم كثيره بأم درمان من الرقيق والنسوان والبهايم. ومن بعد مده كبيره صدر العفو من الخليفة حتى اقبلوا عليهم أهليتهم من أم درمان بالكساوى، من بعد ما فضحوا الحريم الأبكار وعملو[2] فيهم شي لا يرضي الرحمن ولا أي إنسان[3]. إنما على رأي [109] المثل: «كما يدين الفتى يدان». أن أهل المتمه كان قبل تسليم مديرية بربر قتلوا أهلها اشنع، وأخذوا أموالهم وفضحوا نساهم، وقتلوا حسين باشا خليفة العبادي[4] مدير البلد اشنع قتله،

الخليفة أميناً لبيت مال المتمة، لكنه كان من الناقمين على حكم الخليفة عبد الله، ويتجلى ذلك في الدور الذي لعبه في تحريض أهالي المتمة ضد قرار الخليفة القاضي بترحيلهم إلى شندي، وتعزيزاً لموقف أهله الجعليين اتصل بالجيش الإنجليزي في منطقة دنقلا للحصول على المدد العسكري، لكنه عند وصل منطقة آبار جقدول كانت المتمة قد سقطت في يد محمود ود أحمد وأعوانه. وعُين في العهد الثنائي ناظراً لخط الجعليين، وكان يعد من خُلصاء العهد الإنجليزي المصري الذين زاروا لندن عام 1919م من أجل تهنئة الملك جورج الخامس في انتصاره على الألمان وحلفائهم. رتشارد هل، 1967م، ص 175.

(1) يبدو أن الكاتب يقصد شرب الماء.

(2) المخطوط: علمو.

(3) لمزيد من التفصيل عن تداعيات مذبحة المتمة على الجعليين في أم درمان، أنظر: بابكر بدري، تاريخ حياتي، جـ 1، (تحقيق بابكر على بدري)، أم درمان، 1410هـ، ص 283-287.

(4) وهو حسين باشا خليفة العبادي، الذي بدأ حياته العملية متعهداً على طريق العتمور الذي كان يربط مديرية بربر بمصر، ثم عين مديراً لمديرتي بربر (1893-1873م) ودنقلا (1871-1873م) . بالرغم من الأعمال الجليلة التي قدمها في تلك الفترة إلا أنه اتهم بالخيانة ومحاباة أهله، فعزله الخديوي عام 1873م، لكن أعاد تعيينه مديراً على بربر عام 1883م بعد أن تثبت من عدم صحة التهم التي نسبت إليه. وبقي حسين باشا منصبه هذا إلى أن حُررت بربر عام 1884م

وخربوا ديارهم وهتكوا أشرافهم وأخذوا أموالهم. وعلى رأي المثل « وما يدي إلا يد الله فوقها كن بالناس راحم سي تبلى به براحم وما ظالم إلا سي يبلى به ».

أهل المتمة قتلوا بربر ربنا سلَّط[1] عليهم محمود أحمد قتلها أشر قتله. وبعد ذلك توجه الأمير محمود أحمد إلى شندى. وصار خليفة المهدي ويعقوب مسرورين بقتل عبد الله ولد سعد وقتل أهل المتمة. في غاية الفرح والسرور وجعلوا نظرهم على سفر محمود أحمد بأن يسرع في السفر حتى يكون بالداخلة[2] قبل حضور الحكومة فيها. إنما عثمان شيخ الدين ليس مسرور بقتل المتمة ولا بما حصل لأهلها، وقال لوالده: «إن أهل المتمة قتلهم محمود أحمد، إنما الكلام في جيش الحكومة حصلوا بربر، والإنجليز لهم تدبير كبير ونظام شديد خصوصاً في مسألة الحرب، حاضرين لكم بالبر والبحر، وأنا عندي الطلايع يعطوني أخبارهم من وقت إلى وقت. عندهم وابور ماشي على البر بخلاف وابورات البحر». قال الخليفة: «يا عثمان كيف أن يكون في وابور يمش على البر؟» قال له: «يا والدي إن هذا السكة الحديد وإن هؤلاء[3] الملوك إذا كان ما ليس لهم قدرة ما كان حضروا لغاية بربر، ولاسيما معهم عبد القادر سلاطين، وهو عارف قوت جيش المهدية، ليس عندكم إلا الحراب، والذين بيدهم السلاح النار ليس مدربين كمثل عساكر الحكومة. وقائد الجيوش الحكومة واحد إنجليزي كبير حربي حضر من بلادهم مخصوص، ومعه أهل دولته الإنجليز من ظباط وعساكر بخلاف الجيش المصري وريسهم، وإنيِّ أخبرتك بحقيقة الحال».

بواسطة قوات محمد الخير عبد الله خوجلي. رتشارد هل، 1967م، ص 169.

(1) المخطوط: صلت.

(2) الداخلة هي المنطقة التي تقع عند متلقي نهر عطبرة والنيل. وحسب الرواية التاريخية الموثقة فإن جيش محمود ود أحمد لم يعسكر بالداخلة، بل عسكر في النخيلة التي تقع عند مصب واد هور في النيل جنوب عطبرة.

(3) المخطوط: هذا.

[محمود ود أحمد بين ارهاصات النصر وواقع الهزيمة]

وأما من بعد وصول الأمير محمود أحمد إلى الداخلة نظم له محل لأجل سكنه فيه مع جيوشه، وصار يطلع الطلايع على جيش الحكومة لأجل ما يكشفه له حقيقة [الحال]. صارت طلايع محمود عندما تنظر إلى دخان وابور السكة الحديد، يحضروا يقولوا له: «يا سيدنا نظرنا دخان ربيع ماشي على البر، وشي أزرق له صوت يقول «فيط» ويجرى في الوادي، على ظهره ناس، ومن وراه أشياء تقول ظهورها كمثل ظهور الأفيال، وداخلهم الترك ومغطين في بطونهم». إن هذا كلامهم على وابور السكة والعربات يقولوا عليها ظهورها كمثل ظهور الأفيال، وأما طلايع البحر حضروا عنده يقولو: «يا سيدنا [110] وجدنا وابورات كبار وجميعها مغطاية، وعندهم شيء يضرب الرصاص، وله صوت كمثل الجمل الهدَّار عندما يَهدْر[1]، ويطلع منه رصاص كتير». من بعد ذلك حتى إنهم وجدوا الطلايع ناسات من أهل البلد عرفوهم إنِّ هذا الشي الذي يحدر كمثل الجمل اسمه المكنة، والجاري على البر السكة الحديد، والذي ظهورهم كمثل ظهور الأفيال إنَّ هذا العربات، وعندهم السلاح والمكنة. وقد دخل الرعب[2] في قلوب جيش محمود أحمد [حتى] صار الواحد منهم بدل يقول: «هات الجبنة!» يقول: «هات المكنة!» [3] ودخلهم الخوف من ذلك.

وكان ذات يوم نحن طلعنا في الهجرة وحضروا عندنا بعض الأمرا أرسلهم محمود أحمد لأجل ما يعطوا الأخبار إلى الخليفة، يحضروا البعض منهم عندنا في الخيام لأجل الونسا معهم، ونقولوا إلى الخدام: «اعمل قهوة واحضرها مع الشاي». عندما يطوَّل الخدام يقول الواحد منهم: «نحن قصدنا نمشي! المكنة للآن ما طلعت!» نضحك عليهم: «أنت تقصد الجبنه أو المكنه!» يضحك ويقول: «والله العظيم مكنت الترك والإنجليز ربوا لنا

(1) المخطوط: الجمل الحدار عندما يحدر.
(2) المخطوط: العرب.
(3) المخطوط: «حات الجبنه» يقول «حات المكنة».

سرطان[1] في رؤسنا، لها صوت كمثل صوت الجمل يحدر وعندهم وابور في البر يحرق بالنار، دول شياطين ليس ناس، وعندما يطلعوا الترك في الفضا تقول جراد». والمذكورين أدخلوا الخوف في قلوب الأنصار بالبقعه قبل ما يوصلوهم الإنجليز العفاريت، صاروا كل واحد منهم بدل الجبنه يقول المكنه.

ومن بعد دخولنا من الهجرة قام الأمير يعقوب إلي مكره ودحاه، عمل وليمه كبيره من الخرفان شي في الطابونة أرباع اللحم، وشي مشوي[2] على النار، وجمع كافت رؤس التعايشه والقبايل الغير، كفاية عن ماية شخص في داخل منـزله بالدار الوسطانيه، في رواكيب شرقاني كبيره ومتسعة في مجلسه الخصوص، وأدخل المذكورين بتلك الدار، وارسل الشيخ بان النقا موسي كاتب عموم الرايا الزرقا، وقال: «عرف يوسف القبطي يحضر أربعة أو خمسة من الأمر الابكار الذين بايعوا المهدي في الجنـزاره وفي كابا ويحضر معهم». حالاً حضر بان النقا وأخبرني بذلك وقال لي: » صاحبك قام على مكره ودحاه، حضِّر له الجماعة». بالتصادف كان موجود معنا إبراهيم يوسف اليعقوبابي، وإبراهيم الفوطاوي، وحسبو[3] أحمد الزغاوي، وخليل حبيب الخزامي، أخذتهم وتوجهت بهم ودخلنا لغاية الباب [111] الوسطاني، وقابلت الشيخ بان النقا موسى، وقلت له: «إن هذا الأمر حضرت بهم.» أدخلهم بان النقا على يعقوب، وقال له:» نادى يوسف يحضر». حضرت معهم وأنا، والأمرا، وبان النقا قعدنا في محل لوحدنا، وقال الأمير يعقوب للخدام: احضروا لنا الطعام، احضروا لنا اللحم على طباقه كبيره، وبلح كُلْمَة على الطباقة، وكل تلاتة أو أربعة على طبق لحمه وطبق بلح، وصرنا نأكلو، وهو معنا نحن على الطعام، ووجه فكره على أمرا التعايشه والاغراب، قال:» يا خوانا الأمرا اظنكم ما دريتم قال خليفة المهدي امس رأي في المنام رؤية[4]، قالو:» إن شاء الله خير». قال: «نظر

(1) المخطوط: صلاطان.

(2) المخطوط: موشي.

(3) المخطوط: حسابو.

(4) المخطوط: رعا في المنام روعيا.

الترك الكفار كل واحد في وسط رأسه إبرة، والإبرة فيها خيط، وحضر ملك من الملايكة وجمع كافت الخيوط في يده وجذبها إلى بحري، والكفار ولوا الأدبار! شن فاضل يا خوانا أنصار الدين إلا الطعن فيهم؟» سندته أنا بكلمة، قلت له:» الحمد لله ربنا أظهر هذا الأمر إلي سيدنا ولي نعمتنا خليفة المهدي في المنام، وإن هذا حقيقي ونظروا إخوانا بالأعين[1] «. قال: «كيف يا يوسف؟» قلت له: «طلعت محمود أحمد قابلوا أربعة طلايع من الترك فيهم اتنين راكبين خيول بيض قتلوهم في الدومات، بعضاً من جماعتي كانوا هناك راحوا لأجل البيع والشرا في جيش محمود أحمد لغاية ما وجدوا الترك الاتنين ميتين مع خيولهم، وفي وسط رأس كل تركاوي إبرة فيها سبيبه خضرة ورفـ [يـ]عة لا ينظرها إلا من نوَّرَ الله قلبه من نور الإيمان». قال يعقوب:» سبحان الله! كيف يا يوسف القبطي!» كررت عليهم هذا الكلام. قال: «أيضاً حضر عندهم طير صار يقد رأس الواحد منهم لغاية ما يطلع المخ!» وفي مَنْ سلُّوا عينه، ضربوا الطير بالرصاص، الرصاص ما قتل الطير». قال حسبو[2] أحمد: «يا سيدي الطوير أبو قدديم[3] يعمل مثل هذا؟» أنا قلت:» يا حسبوا أنت مكذب في كلام سيدي؟ أكبر الطير ولا الباعوضة الصغيرة دخلت في منخر النمرود ابن كنعان، وصعدت لغاية المخ ومات!» قال: «أي والله حقيقي أنا نسيت!» ضحكنا عليه سراً. قال يعقوب: «هذا كرامة الخليفة، أورونا يا خوانا الأمرا كرامة المهدي أنتـ [و] الابكار». قال إبراهيم يوسف اليعقوبابي: «كرامة المهدي يا سيدي لما ظهر وجدنا اسمه مكتوب على بيض الدجاج وورق الأشجار، [112] مكتوب فيه لا إله إلا الله محمد المهدي خليفة رسول الله». وجه فكره[4] عندي قال: «أتكلم يا يوسف بكرامة المهدي!» قلت له: «يا سيدي نكلمك بكرامة المهدي؟» قال: نعم» قلت له:

(1) المخطوط: الأعيان.

(2) المخطوط: حسابو.

(3) المخطوط: الطوير تصغير لكلمة طائر، وقدديم تصغير لكلمة قدُّوم، والقَدُّوم هو مقدمة الفم.

(4) المخطوط: فكري.

«إنَّ هكسي[1] باشا الإنجليزي الكبير الفارس الذي شقا أرض السودان من الخرطوم لغاية كوردفان، وخافت منه عموم أهل السودان، قالو: جانا واحد إنجليزي كبير وعظيم الشأن، لأجل قتل المهدي ويملك كوردفان، واوسعت له الطرق كافت العربان حتىٍ أنه وصل الرهد وعمل له زريبة كبيره، وأقام فيها مده من الأيام. وجميع ذلك طارق أُذن سيدنا المهدي عليه السلام، وليس تكلم بكلمة واحدة لغاية ما قام هكس[2] باشا من الرهد ودخل في أرض شيكان. طلع المهدي وأذن بالجهاد، واجتمعت عليه الأنصار. قال لهم: يا خوانا أتاني حضره نبوية وحضر عندي نبي الله الخضر عليه السلام، وقال توجه لجردة هكس الانجليزي وأنت وأنصارك، تنظروا بل يحاربوا عنكم الملايكة وملوك الجان أجمعين بجنودهم، وأنصارك ما عليهم إلا الطعن لأجل ما ينالوا الأجر، ليس يكونوا محرومين منه، وتقتلوهم في ساعة واحدة. وضرب نحاس الحرب ليس طلع منهم أحد هذا كرامة المهدي عليه السلام».

قالو: «تبارك الله إن شاء الله كمان محمود يقتل الترك كذلك!» أكلنا وشربنا، وصار يعقوب مبسوط من هذا الخرافات التي ليس بفايدة، وعلى رأي المثل:» إذا كان رب البيت بالطبل ضارب فليس حرجاً على الصبيان من الرقص»[3]. ومن بعد ما طلعنا من عنده قال الشيخ بان النقا: «أنا عاوزك يا يوسف مع إبراهيم يوسف». توجهنا في منـزله، وطلب لنا الشاي، وجلسنا للقيل والقال مع بعضنا في بطن البيوت. قال بان النقا:

«هل كذب سيدكم يعقوب وكذبكم يعمل قلوب للعرب؟ إلا إذا كان تأخذوا لهم قلوب جديدة، وإنَّ هذا لا يجيب لكم النصر، واسمعوا مني: محمود أحمد يقتل هو وجيشه، وقايد الجيش اسمه كتشنير إنجليزي كبير حربي أرسلتوا دولته[4] لأجل أخذ التار من أسيادكم، في تار هكس وغوردون وكافت من مات من الإنجليز. الذي له تار لا يتركه

(1) المخطوط: هسك.
(2) المخطوط: هسك.
(3) الرواية المأثورة هي: «إذا كان رب البيت بالدُّفِّ ضارباً. فشيمة أهل البيت كلهم الرقص».
(4) المخطوط: دولتلو.

على طول السنين، وأهل الملك [113] حضروا لأجل ملكهم، والإنجليزي أول ما يضرب يضرب لكم صنمكم الذي تعبدون من دون الله تعالى ويحضر لكم بالبحر والبر».

قلت له: »يا شيخ بان النقا ما هو الصنم؟» قال: «أنت عارف يا يوسف أنا ليس سيدك، يعقوب ليس [سيدك]، الصنم هو قُبَّة المهدي، أول ضربة تكون فيها على شان يفكوا عزيمتكم حتى بعد ذلك يكون الحرب مع خليفتكم، في ذاك الوقت يبان ما كان مخفي». قلنا له: «والله يا بان النقا نحن عارفين ذاك لاكن: مَنْ يقدر يقول البغل في الإبريق». أسيـ[ا]دنا يكذبو، ونحن نصدق لهم حتى يريد الله ما يريد، إنَّ أسيادنا ظلموا ظلم عظيم. وعلى رأي المثل: «دار الظالم خراب ولو بعد حين». وقمنا كل واحد توجه إلى منـزله.

وبعد خمسة أو ستة يوم طلعت الهجرة إلى أرض الشفا والدنيا برد، وفضلنا بها كفاية عن سبعة وأربعين، الخدام تعبانين في الأكل لنا، كونه المحل بعيد، ونحن علينا شديد البرد. ومن ذلك يحضروا لنا الهجانة يقولنا: «جيش محمود منصور على الترك!»، لما نكونوا لوحدنا يقولو: «الكذب ليس يملا البطن!» يعلم الله جايكم جيش إنجليزي ومصري يحرقوكم بالنار. ما عند إلا المكنات الواحدة مقيمة بالأورطة لها صوت تقول جمل حدار، تقش الأرض وما فيها». قلنا لهم: «ولماذا تقولوا الجيش منصور؟ قالو: «نحن مالنا ما عندهم البوسطه، وما علينا كلام الخشم».

وضاق الحال على كل الأكابر، ولما نظر الخليفة طولة المدة حب الدخول إلي أم درمان. وقبل ذلك أرسل إلى النور عنقره قال له: «أنا حاضر عندك بعد صلاة العشا». ومن بعد ما توجه منه الرسول أرسل لِّي في خيمته، وقال:» إنِّ الخليفة أرسل له بعد العشا حاضر عنده. إذا جاك عَرَقي[1] حاتو، أنا عندي أربعة قزايز[2] في تحت قش الحصان». قلت له: « للآن لم يحضر لي شي». كونه أنا والنور عنقره كبانيه نشربوا سويا

(1) العرقي هو مشروب مسكر مقطر من عصير البلح أو الذرة (العيش).

(2) قزايز هي جمع قزازه. والقزازة هي الزجاجة أو القارورة.

في الهجرة. ومن بعد صلاة العشا نظرنا نور الفانوس مار بالهجرة، وفي ذاك اليوم عندي إخوانا زيادة عن كل يوم، نحصلوا أربعين نفر، كنا ناكلوا ونلعبو، والأكل كتير لحمه ورغفان والحراب وقِرب المياه موضوعين بالسيبه -تلاتة خشابات- الحراب لوحدهم والقرب لوحدهم، عندما نظرت نور الفانوس قلت لأحد إخواني اسمه فرح سفين: «إنَّ الخليفة حاضر عند النور عنقره» قال: «من اعلمك؟ قلت له: «النور عنقره، وها هو الخليفة مار بالهجرة، عندما يقرب خذوا حرابكم واضربوا القنا بالقنا، وسن الحربه في الحربه، لأجل ما تكون رجه كبيره». قال: «لماذا [114] تقصد فيذلك؟ قلت له: «عندي فيه سر، وبعد ذلك يظهر لك». عندما قرب الخليفة إلى خيمتنا أخذنا حرابنا وضربنا القنا في القنا سن الحربه في الحربه، وهو ماشي في وسط القلعة اربعماية عسكري خلاف الملازمية الصغار، عندما سمع ذلك وقف قال: «حامد ولد علي ! قال له: سيدي: «قال له: شوف الخيمة خيمة مَنْ[1]». حضر حامد ولد علي! قال له: «الخيمة خيمة يم؟» قلت له: يوسف القبطي». قال [الخليفة]: «يا حامد علي إنا مرينا على كافت خيام بالهجرة نجد كام أنصاري في الخيمة؟ قال:» يا واحد أو اتنين يا سيدي». عند ذلك صار يقول: «الأقباط جزاهم الله خير يالأنصار. القلعة تقول:» أمين بارك الله فيهم الإخوان». يقول: «جزاهم الله إحسان». يقولو: «أمين». دخل عند النور عنقره. بعد ما أخذ مده طلع منه وكان حامد ولد علي قاعد معنا. لما طلع من النور مشي بالطريق الذي على الخيمة، وأيضاً رفعنا الحراب كمثل الأول، ودنا علينا قال: «الخيمة خيمة يم؟» قلت له»: خيمة عبدك يوسف القبطي». قال: «يوسف». قلت له: «لبيك يا سيد الجميع». قال: «الأنصار كلهم في الهجرة؟ قلت له: «يا سيدي الروح في الهجره، والجثه ماذا تعمل في البيت، أكلنا وشربنا، وركبنا الخيل في نعمة سيدنا خليفة المهدي. يعلم الله إذا كان سيدنا أذن لنا بالحرب نحارب أعدانا، وبصالح الدعا سيدنا ربنا ينصرنا عليهم كما يعهد فيها خليفة المهدي، إن للأرواح نـزغاً وللأموال جمعاً[2]، ولخليفة المهدي نفعاً». وقال: «بارك

(1) المخطوط: يم.

(2) المخطوط: إني للأرواح نـزعنا وللاموال جماعا.

الله فيك افتحوا القلعة يدخل عندنا يوسف». دخلت بداخل القلعة ومد يده سلمت عليها، وطلع خارج القلعة ووقف مع إخوانا، وصار يذاكر هم بالجهاد، ويدعي لنا بالخير. وأنا احضرت عنقريب صغيرة عليه فروه وفرده نضيفة جلس عليه. أخذ راحته وقام من عندنا. وفي واحد اسمه مجدوب على باب خيمته عندما نظر الخليفة سجد على الأرض. قال الخليفة: «من هذا الذي سجد لغير الله تعالي؟ قال: «أنا عبدك مجدوب لما نظرتك سجدت شكراً لله تعالي». قال له: «أنا إله حتى أنك تسجد؟ كنت عند [115] يوسف القبطي لماذا ما سجد؟» صار من عنده غضبان، والمذكور كان أعطى بنته إلى الخليفة هدية، من تلك الساعة الخليفة أرسل له بنته، وصرف النظر عنه.

وعند الصباح أرسل يعقوب إلي النور عنقره، وحامد ولد علي، وقال لهم: «بلغني خليفة المهدي مرا بالهجرة، قصوا لنا دربه». قال حامد علي: «أنا ماشي معه عن كل ما نجد خيمة ليس بها واحد أنصاري أو اتنين، واغلب الخيام خالية عن الأنصار، ونحن قاصدين خيمة والدنا النور عنقره لما حضرنا بالقرب إلى خيمة يوسف القبطي أخذوا حرابهم بيدهم وصار صوت كبير عالي من ضرب القنا واسنت الحراب، حتى خليفة المهدي وقف قال: حامد ولد علي شوف خيمة يم هذا، توجهت ووجدتها خيمة يوسف القبطي، واخبرت الخليفة بذلك، صار يعطهم في البركة كفاية عن نصف ساعة، والخليفة واقف في القلعة، ويدعي لجماعة يوسف. ومنها توجهنا لخيمة والدنا النور»، وقال النور عنقره: «الخليفة جلس عندي ربع ساعه، وعند يوسف ساعه تمام». وأما مجدوب سجد على الأرض ونظره الخليفة قال له: «أنا إله حتى أنك تسجد»، غضب منه وتوجهنا . هذا طريق الخليفة بالهجرة يا سيدي. قال يعقوب: «حقيقي أنا سمعت صوت القلعة تقول: أمين أمين، قالوا لي الملازميه إنَّ سيدنا خليفة المهدي مرا على الهجرة. ياخوانا إنِّ يوسف القبطي الله حبه وخليفة [المهدي] أحبه، الذي ما حب يوسف ليس حبانا». عند كلامه هذا حضرت عندي كافت الملازميه لأجل أخذ البركة في العنقريب الذي كان جالس عليه الخليفة، كل واحد يوضع يده عليه يمسح وجه، وكترت عليَّ الأنصار قلت لإخوانا:

«أدخلوا العنقريب داخل الخيمة. الأنصار أخذوا البركة كلها، خلوا لنا الباقي لأجل أخوانا الغايبين يحضروا وياخذوا البركة مثلكم، بهذا الواسطة رفعتهم». وسيدنا يعقوب أرسل لنا جراب مليان تمر لأجل المساعدة، وصرفنا الأنصار.

وبعد ذلك حضر النور عنقره واجتمعنا مع بعضنا واحضر لنا الأربعة قزايز خمره، ولحم جداد[1]، وصرنا نأكل ونشرب، وصار يكلمني بكلام الخليفة قال له: «إنَّ الأنصار حصل لهم التعب الشديد، وباكر ننـزل للبقعة، ولكن أنا في نظري أن الرجل قلقان من مسألة جيش محمود أحمد، حيث أنه دايماً [116] الترك يقتلوا فيهم، ولربما يهجمو[2] على محمود أحمد. وحاتك زولك خايف خوف شديد من الإنجليز [ي] كتشنير. قول له تروح وين، ولد أُم ظَقْ»[3]. كونه النور عنقره شايقي، ضحكنا مع بعضنا، وكل واحد توجه لإشغال. وعند العصر توجهنا للبقعة وصار لنا مدة عشرون يوم في البقعة على مغالي النار من الكذب الكتير. هاتو[4] فلان، وأطلع يا فلان. وكتر كذبنا لأجل مدارة أنفسنا والو [ا]حد منا يقعد لغاية كل ليل في القيل والقال. والإنجليز حاضرين وعندهم نار تضوي من بعيد كمثل البرق عند نـزول المطر، يشفوا بها من بعيد. قلنا لهم إنَّ هذا بلاوي الإنجليز يمكن يحرقوا الجيش من بعيد. وكان حاضر واحد أمير اسمه بشار مومن، قال: يمكن يرسلوا عليكم طرقعاً ويضربوا كم بها». صرنا نضحك عليذلك وعلى رأي المثل: «ضحك الرجال بُكا»، وأخذنا العجب في تلك النار التي تضوي كمثل البرق، ودخلنا الجميع الخوف. وكل ما يحضر واحد من جماعة محمود يوصف لنا وصف شديد في عجايب الإنجليز، وشعاع نارهم. قلنا لواحد من جماعة محمود: «وانتوا تنظر والكفار على ضو هذا النار؟ قالو: «الشعاع شديد لا نقدر، ونشوفوا فيهم إنسان إلا دهمة كبيرة وخصوصاً عندما يضربوا المكنة تقول جمل حدار«.

(1) المخطوط: الجداد. ويقصد بها الدجاج.
(2) المخطوط: يحجمو
(3) الظق هو البراز أو الغائط. ويستخدم اللفظ في مثل هذا السياق من أجل التحقير والإساءة.
(4) المخطوط: حاتو.

بعد ما كان الكلام بسر صار جهاراً. وحضر ذات يوم عثمان شيخ الدين عند والده، كما بلغني من الملازمي سليمان الحبشي، حصل عتاب شديد ما بينه وبين والده. وقال له:

أنا مطلع على تواريخ كتيره واعلمٍ جيداً أن الإنجليز لهم سياسة كبيرة وأمور عجيبة، ولهم خبرة في أمور الحرب كما ظهر لي التواريخ. والآن ظهر من الإنجليز ما كنت نحذر منه. والحمد لله أنت سمعت بما يقولوا لك جماعة محمود أحمد الذين يحضروا عندك، فالآن دبر نفسك قبل ما يقتلوا جيش محمود، ويحضروا عندك، والأمر أمرك. إنما ليس عندكم إنسان يحارب، ومن خصوص أولاد البلد، وأنت واخوك يعقوب ليس تركتم[1] لهم رأس، بل قتلوا كافت روؤس القبائل لا أحداً منهم يحارب، والعربان ليس أهل حرب، وأخيك يعقوب ليس يقبل النصيحة بل يقصد ضياع الملك من يدنا، وعجبته نفسه بكثرة العربان، وبئس تدبيره. يقول ليس ندخل تحت طاعة النصاره، هل في دولة خالية عن النصاره؟ والله يموت هو وأولاد عمه، والإنجليز يأخذوا تارهم منكم [117]، وأنا ليس شايف لكم نصر بهذا الصفه، والأمر لله يا والدي».

شيخ الدين يتكلم ووالده يسمع فـ [يـ]ما يقول. بعد ذلك قال له الخليفة: «الأمر لله، والكاين من الله يكون، وأنا نعمل كل التدبير». وقام منه ابنه. وإنَّ سليمان الملازمي الحبشي بالقرب على الباب كمثل عادته، ويسمع كل شي يكون من أي إنسان يحضر عند الخليفة، كونه من ضمن أولاد الحبشة الذي كان يعلمهم عثمان فريد الكتابة، وأنا دايماً يدي عليه في العطا.

وكان ارسله الخليفة إلي أخيه يعقوب يحضر له عبد الباقي عبد الوكيل[2] وأبا سام[3]

(1) المخطوط: تركتهم.

(2) هو عبد الباقي عبد الوكيل، من أمراء التعايشة الذين لعبوا دوراً بارزاً في تحصين أم درمان ضد الجيش الغازي، وقد أوكلت إليه مهمة بناء تحصينات شلال السبلوقة. واشترك لاحقاً في واقعة كرري عام 1898م، وجُرح وأُسر في واقعة أم دبيكرات عام 1899م. وتوفي في أم درمان عام 1918م. رتشارد هل، 1967م، ص 8.

(3) هو أبا سام بن عبد الرسول التعايشي، حفظ القرآن على يدي والده، ولما سمع بالمهدي في كردفان، هاجر إليه

الذين كانوا في جبل السبلوكة نقطة في الشلال، وجدني سليمان على باب يعقوب بعد ما طلع من عنده، قابلته سراً، وعرفني بحضور شيخ الدين مع والده، وبما حصل بينهم. وقلت له: «توجة الآن عند الظهر نتقابل مع بعضنا». وعند دخولي على الأمير يعقوب أرسلني نحضر له عبد الباقي، وأباسام احضرتهم له، قال: «أخذهم وتوجه معهم إلى باب الخليفة طالبهم». وتوجهت معهم إلي الباب. طلع علينا الملازم بخيت الأمين، واخبر الخليفة أن بالباب عبد الباقي، وأباسام، ويوسف القبطي، وأعطاه الإذن بدخولنا الجميع. وجدنا معه محمد عثمان حاج خالد وإبراهيم رمضان. اعطيناه السلام قال:» أجلسو». جلسنا. فتح مسألة جبل السبلوكة، وقال لإبراهيم رمضان، ومحمد عثمان: «أحسن يكونوا عبد الباقي، وأباسام في الجبل أو يحضر مع إخوانهم؟». قالو: «يا سيدي أحسن يكونوا مع إخوانهم لأجل الجهاد». وأمرهم بنـزول المدفع، وكافت أشغالهم من الجبل ويحضروا بها. وهما فرحوا بذلك كونهم في محل منقطع، وخافوا على أنفسهم. وطلعنا من عنده واجتمعنا نحن التلاتة في الطريق وحمدنا الله عليذلك، كونه هذا الجبل كمثل الدردنيل[1] الذي يقولوا عنه البحر فيه مضيق جداً لا يقدر وابور يمر عليه. على رأي المثل: «ربنا لما يريد ضياع المُلك من ملك يجعل تدبيره تدمير».

بما أن هذا الجبل بغاز عظيم ونحن كنا خايفين منه على شان مرور وابورات الحكومة، وحمدنا الله على منع هذا النقطة. وبعد عشرة أيام أو زيادة بلغ الخبر شيخ الدين بنـزول المدفع والنقطة من هذا الجبل، حصل له زعل شديد، وقام دخل بيت الأمانـ [ة] بذات نفسه، واحضر ملازميه، وصار يأخذ السلاح الجيد، والجبخانة القديمة صرف إلى ملازميته كافت طلباتهم، واستعد [118] بكل ما يلزم له. وأيضاً إبراهيم الخليل[2] عنده جهادية

وشهد معه واقعة شيكان حيث قتل والده. وبعد ذلك رافق الأمير يعقوب في حصار الخرطوم وتحريرها، وفي عهد الخليفة أوكلت إليه عدة مهام رسمية، ومن ضمنها تحصين أم درمان ضد الجيش الغازي. عون الشريف قاسم، 1996م، جـ 3، ص 1063.

(1) يقصد مضيق الدردنيل الذي يربط البحر الأسود بالبحر الأبيض المتوسط.

(2) هو إبراهيم الخليل أحمد، أخ الأمير محمود وأحمد، وكان من قادة الجهادية المرموقين الذين اعتمد عليهم الخليفة عبد الله في كثير من المهام العسكرية الصعبة. واشترك بحماس في واقعة كرري عام 1898م، وكان من أوائل

كفاية كان يحارب بهم في الجبال، وهو حربي وشجاع عنده فروسية تامة أكتر من أخيه محمود أحمد، كونه حارب في الجبال كتير، وهو فارس من الفرسان المعدودين، واصغر من أخيه محمود، دخل في بيت الأمانـ [ة] ومعه الجهادية وصرف لهم السلام الجيد، واخذوا صناديق جبخانة كفاية.

[الاستعدادات للحرب الفاصلة]

وأما الأمير يعقوب ارسل لحضور البادية تعلقه فيها عبارة عن ألفين جمل وناقة، كانت في المرعا مع سعد الرضي وجماعته. بحضروها أخذ كافت الجمال الطيبة، وأحضر كافت البغال واخذ جميع الأموال والجبخانة وعموم عايلاتهم: عايلة الخليفة وابنه عثمان، وعايلة أولاد عمه، وأهل بيته، والتعايشة الكبار على ظهور الجمال والبغال، ليس ترك شي من الدقيق، والسمن، والعسل، والشرموط[1]، والويكه[2] مدققة، والسلب، والري، والملح، والشطة، والغاية أخذ كافت الموجودات والمدخرات. أربعة أيام والجمال تأخذوا بالليل، ومعهم جهادية وأولاد عرب تعايشة والأمنا الطواشة وأميرهم عبد القيوم[3]، وأمرهم يعقوب يكونوا في شبشه ومعهم الحراس. لما نظرت العربان أن أهل الدولة كاسرين أخذهم الرعب. وصاروا يكسروا التعايشة شي في شي لغاية كمثل سبعة يوم بلغنا [أنَّ] جيش محمود أحمد قتل عن أخره، ومحمود أحمد قبيض في يد الحكومة، والجيش مقبل إلى أم درمان لأجل الحرب والقتال هنا.

قد وضعت الفأس في الرأس، وليس هنالك مناص، جاءك الموت يا تارك الصلا.

الشهداء الذين أثر استشهادهم في تدني الروح المعنوية للمجاهدين الأنصار. رتشارد هل، 1967م، ص 174.

(1) الشرموط هو اللحم الذي يقطع في شكل شرائح رفيعة وطويلة. وأحياناً يعالج ببعض التوابل، ثم ينشف في الشمس.

(2) الويكة هي البامية الناشفة.

(3) عبد القيوم هو أمير الخَصْيان أو الطواشية المسؤولين عن الأشراف علي شؤون أسرة الخليفة عبد الله، وتدبير احتياجاتها المنـزلية.

قمنا وقعدنا في حضور الأنصار لأجل الحرابة. ويحضر لنا الأمير يعقوب: «ابشروا بالخير النصر لنا». قلنا طيب على رأي المثل «الكذاب حصله لحد بيته». يحضروا الإنجليز وشوفوا الذي عنده المكنة يكون النصر له. وأما الحربه ليس تقاوم نار الله الموقده.

طلعنا يوم الخميس بعد الظهر على محل العرضة، وقعدنا خارج المدينة نحن وملكنا وجيوشنا، ما نشوفوا إلا الضرب دار بالمدافع على قبة المهدي قبل كل شي، كسر القبة كأنهم يقولوا لنا:»السلام عليكم». احنا جيناكم! [119] شدوا حيلكم!» عندما كسروا القُبة[1] كانـ [ا] أنا والشيخ بان النقا في محل واحد، عند كسرها نظر علي وقال: «شوف طيب»، إنما كلامنا سراً، وعند ذلك حصل خجل، وسكات طبـ [يـ]عي لكافت الجيش الموجود، وقد دخل الخوف في كل إنسان كونه انجلت العزيمة والعقيدة في المهدي وخليفته. حضر واحد من جماعتنا اسمه أحمد الغالي قلت له: «امش على شاطي البحر واحضر لك شي في يدك، وتعال قول باعلا صوت: «الترنسفال كسر الوابور». الشيخ بان [النقا] ضحك قال: «ضحّكوا على عقل يعقوب». وقد كان عملنا مثل ذلك ويحضر ويقول: الترنسفال كسر الوابور. صدق يعقوب وضرب السلام شنك، وركب على الخيول وصار يرمح لغاية ما كسروا رجل الشيخ بان النقا موسى. حزنا عليه وأمرت بعضاً من إخوانا يحملوا على حصانه ويوصله منـزله. وفضلنا نحن قاعدين والوابورات ليس تركت طابيه[2] واحدة إلا ردمتها على بعضها، وصارت كوم تراب، ونحن ننظروا ذلك، وصرنا في ضيق، وصاروا أولاد البلد وأولاد الريف نتكلموا سراً: «إنَّ هذا الناس مغفلين، إنَّ هذا الفارس الإنجليزي كتشنير، ومعه سلاطين قطعوا وادي حلفا في البراري والقفار بالوابورات البرية والبحرية رايحين تقولوا ينصروا عليهم؟ ونحن نقولوا لهم: «يا جماعة اتكلموا سراً لربما يسمعكم واحد منهم». يقولو: «رفضك [؟] يا شيخ» فاضل علينا ساعة وكل واحد في حد نفسه يروح».

(1) المخطوط: القبعه.

(2) الطابية تجمع على طوابي. ويقصد بها التحصينات التي بناها الأنصار على النيل للدفاع عن مدينة أم درمان.

ونحن هنا مشغولين والآخرين في تدبير أنفسهم، اجتمع علي دينار[1] مع قمر الدين عبد الجبار أمين بيت الأمانة، أخذوا كافت السلاح النضيف والجبخانة، وكسروا مع علي دينار بكافت برتي، وجماعة يعقوب الكاسر [ين] نهبوا فيهم الجموعـ [يـ]ة، وكل من له تار قتل في جماعتمهم ونهبوا الأموال.

وأما نحن من بعد المغرب بليلة الجمعة رحلنا من محلنا، وحضرنا في ساحت جبال كرري، وعند قعادنا شلع برق شديد من الشرق على الغرب قولوا هذا الكشافة. سكتنا من صغيرنا لغاية كبيرنا. عندي جمل محمول عليه الموية، والزاد عندما برقت الكشافه تاني الجمل رغا. قال يعقوب: «جمل مَنْ هذا؟» قالوا له: «جمل يوسف القبطي». قال: «أربطوا خشمه»، قمت على الجمل، وربطت خشمه، وقلت: «بقي اسكت يا جمل الكتشنير يسمع»، [120] ضحك ابن عمي عبد الله اسكندر. ومن بعد ساعة حضر عندي إسحاق شداد[2] الذي الآن مقيم في بارة، وقال: «نحن وأولاد البلد وأولاد الريف اجتمعنا سويا، واخذنا عهد على بعضنا لا ندخلوا الحرابه» .قلت له: «أنا معكم في المعاهدة لا كن لا نقدر نقوم معكم كونه سيدي يعقوب يسأل عني». وقد توجه ليس مضي عليه نصف ساعة إلا حضرت واحد حرمة تعيشيه لابسه لبس[3] رجال، وسمعت

---

(1) هو علي دينار زكريا، حفيد السلطان محمد الفضل (1779-1839م)، ولد في الفاشر عام 1860م، وبدأ حياته السياسية والإدارية والياً على مقاطعة ارقد مراريت جنوب شرق الفاشر، ثم خلف أبو الخيرات بن السلطان بكر على زعامة الفور عام 1889م، وبعد عامين من توليه خضع للمهدية، وأرسله الأمير محمود ود أحمد للخليفة بأم درمان عام 1897م، واشترك في بعض حملات المهدية على تقلي، وتمرد على المهدية أثناء المعركة الفاصلة في كرري، حيث انسحب إلى دارفور واعاد مُلك أجداده فيها، وفي عام 1900م اعترفت به الحكومة الانجليزية المصرية سلطاناً على دارفور، وفي الحرب العالمية الأولى سعى للتحالف مع العثمانيين ضد الحلفاء الشئ الذي جعل الحكومة الانجليزي المصرية تغلب عليه ظهر المجن، وتعلن الحرب عام 1916م، وقد هُزم علي دينار في واقعة برنجية قرب الفاشر، وانسحب إلى كولمي حيث قتل بطلقة طائشة أثناء مطاردة القوات الإنجلزية المصرية لأعوانه. رتشارد هل، 1967م، ص45-46؛ عون الشريف قاسم، 1996م، جـ 1، ص 907-910.

(2) هو إسحاق محمد أحمد شداد، عمدة عموم بارا ودار سهل من العهدين التركي-المصري والحكم الثنائي، انضم إلى المهدية في كردفان، وخدم المهدي والخليفة، إلا أنه كانه من الناقمين على حكم الخليفة عبد الله، ومن الذين حرضوا المعارضين على التخاذل في معركة كرري. رتشارد هل، 1967م، ص 182؛ عون الشريف قاسم، 1996م، جـ 3، ص 1208-1209.

(3) المخطوط: لاباسه بسل.

من أولاد البلد المعاهدة وبجميع ما حصل واخبرت يعقوب بذلك. بوقته أرسل لِّي أنا ومحمد جديد وأبو راشد، قال: «افصلوا أولاد البلد عن أولاد الريف وادخلوهم في وسط القبايل». قمنا عليهم وعملنا كمثل ما أمرنا.

وعند الصباح أضاء[1] الله علينا ونوره لاح، حضر الجد وبطل المزاح. ضربت طبول الحرب ما نشعر وإلا الوابورات على شاطي البحر، وكافت العساكر رتبت قلعه قلعه[2]. أول من نـزل للحرب إبراهيم الخليل هو الذي حارب وقتل في الجيش، وصار قتله مع عموم عساكره، بعده الراية الخضرة راحت في شربت موية. نـزل عثمان دقنة ضاع جيشه في دقيقة. نـزل شيخ الدين قبل وصول المون راح شادرين. فضل الخليفة ينـزل الأرباع يتقدموا لميدان الحرب كأنهم خرفان للذبح، قبل ما يكونوا في وسط الميدان ما نجدوهم إلا كيمان. نـزل إدريس عبد الرحيم عندما فات منا رفع منديل أبيض، ودخل على سلاطين. فضل نحن أهل الرايا الزرقا، أم الدين راية سيدنا عزرائيل الذي علينا مدار الأمل، ونجيب النصر عليد الأمير يعقوب واقفين وشايلين التهليل[3]. عند ذلك أرسل الخليفة وطلب أخوه يعقوب وقال له: «الرايا ينـزل بها ولد الدكيم، وأنت احضر داخل القلعه». عند ذلك قام يعقوب غضبان وقال: «أنا عبدك يا رحمن»، وحضر لنـزول الجهاد، وضرب طبل الحرب وكان عند حضوره من أخيه عندنا، وقال: «يا يوسف هذا يوم شنو؟ قلت: «ياسيدي هذا اليوم الذي يرضاه الرحمان ليس عندنا إلا الحرب والقتال». كان واقف معي عبد المعطي ماطوس، والآن هو موجود وهو لي شهود، عند ذلك نـزلنا سويا لما تقدم بحصانه تقلنا أرجلنا بقينا في آخر الجيش، وصار مدفعنا يضرب من ورانا، والجُلة تقع في وسطنا، ويعقوب والرايا الزرقا [121] قربوا إلي القلعه، ومعه

(1) المخطوط: اضان.
(2) المخطوط: قعله قعله.
(3) المخطوط: تحليل.

ابن المهدي محمد[1]، وأبوراشد، وعثمان الدكيم[2]، وبعضاً من أولاد التعايشه الجميع راحوا في شربة موية من أول ضربه، والرايا الزرقا وقعت واكتسبوها أهل القلعة. ونحن شدت الرصاص صبا علينا مطره حيث كافت القلعات والسواريخ والمكنات، والسلاح الرمنتون، من شدة الضرب الرصاص صار كمثل السحاب، وأنا وإخواني رقدنا على الأرض، ودفنا التراب من عزم الرصاص، وصارت الدنيا تدوي من شدت رعدت الضرب سمعوا صوت الحرابه في حلال عبود والمناقل[3].

إن هذا اليوم ليس كان له نظير من شدت الضرب علينا حتى دخل دخان السلاح في نخرينا[4]. وعند ذلك الخليفة كسر، ونحن ليس لنا به خبر حتى برد ضرب الرصاص، وقمنا من وسط الأموات، وعند طلوعنا[5] ابن عمنا ضرب برصاصه على كتفه اليمين، وأنا أُصبت برصاصه باردة على الورك الشمال، وتأخرت عن المشي بمقدار ربع ساعة، وتاني قمت ومشيت ما نشعر إلا الجيش ماشي طابور، ودخل إلى أم درمان، ومعه الكتشنير، وسلاطين [باشا] على خيولهم راكبين.

[سقوط أم درمان وتقهقر الخليفة ورجاله]

وعند آذان الظهر دخلنا البلد بعد كل مشقة وتعب. وشيخ الدين حصَّل أباه، والسيد المكي، وعبد القادر أم مريوم وراه، حتى أنهم دخلوا المدينة. وأما الخليفة علي

(1) هو محمد بن محمد أحمد المهدي، الابن الأكبر لأبيه، وكان أحد قواد الراية الزرقاء في واقعة كرري عام 1898م، حيث استشهد، وترك من الذرية بنتاً وحيدة تدعى فاطمة، وقد تزوجها موسي الحلو.

(2) هو عثمان ود الدكيم، أخ الأمير يونس ود الدكيم، وابن عم الخليفة عبد الله، عُين عاملًا على بربر خلفاً للأمير محمد الخير عبد خوجلي الذي توفي عام 1888م. واشترك في معظم حروبات المهدية في تأمين الجبهة الشمالية، واستشهد في واقعة كرري مع كبار أمراء المهدية أمثال الأمير يعقوب، والأمير إبراهيم الخليل ود أحمد، والأمير عثمان أزرق. رتشارد هل، 1967م، ص 368.

(3) المخطوط: المنقال. عبود قرية بغرب الجزيرة والمناقل مدينة مجاورة لها.

(4) يقصد بها الأنوف، ومفردها نخره.

(5) المخطوط: طلعونا.

ولد حلو حصَّل الخليفة، والجميع هربوا من أم درمان، وولوا الأدبار، وتركوا أوطانهم غفار. وسبع البر دخل الأرض وملك البلاد. وكافت الأنصار هربت في البر والقفار نجوا بأرواحهم من نار الحرب التي حصدت العباد كمثل الجراد. وكان دخلنا الحرب نحن سبعة أنفار، وطلعنا جميعنا، إنما أحد إخوانا دخل مع ناسات غير وقتل فيها.

تاني يوم الحرابه توجهت مع إخوانا وخدامنا لأجل البحث[1] عليه، وجدت عثمان أزرق[2] قتيل، حضرت واحده حرمة ومعها اتنين خدم وعبدين، وسألتني عنه عرفتها عن محل وجوده، وعرفتها بأن لا تبكي. وأنا وقف معهم لغاية ما حفروا له التراب ودفنوا فيه. وبحثت[3] عن ولدنا وجدناه ميت أيضاً، دفناه ودخلنا البلد. وحضر عندي الحكيم نعوم الأطرش عمل لِّي دوا على محل ضربت الرصاصة، وصارت رجلي طيبه. وأما جيش الحكومة [122] صار ينهب في المدينة، كونه عنده إذن من سعادة الكتشنير ينهبوا تلاتة أيام في المدينة.

وأنا من الضمن حضروا في منـزلي أربعة عشر عسكري حاملين السلاح، واوقفوني في الوسط، واتنين عساكر وضعوا فم البنادق على صدري، وقالوا لي: «أنت وزير الخليفة هات السلاح !» قلت لهم: «أنا ليس وزير الخليفة». وبعض العساكر دخلوا على محل مسكني أخذوا النقود الموجودة، وكافت النحاس، وعند طلوعهم دخلوا علينا الخواجة يوسف شيخاني، ونسيم أفندي أدلبي موظف في الجيش واعترض على العساكر، قالوا له: «يانسيم أفندي أبعد عنا أنت مَلَكي، ونحن عساكر نظام حربيا لا تعارضنا». وأخذوا سلاحهم بيدهم. قلت له: «يانسيم أفندي المال فدا الأرواح! اترك العساكر خفتاً من وقوع دما بينهم». بعد ذلك نسيم أفندي أخذ نمرة كل عسكري في نوته وتوجهو. وتاني

(١) المخطوط: البحس.

(2) هو عثمان أزرق. من أشهر أمراء المهدية في عمالة دنقلا. اشترك في معظم الحروبات التي خاضها الأنصار في وجه الجيش الإنجليزي المصري. وأخيراً استدعاه الخليفة ليسهم في تحصين أم درمان. واستشهد في واقعة كرري عام 1898م. رتشارد هل. 1967م. ص 367.

(3) المخطوط: بحست.

يوم حضروا اتنين عساكر واحد وقف بالباب البراني، والتاني دخل في البيت وتوجه إلى داخل المربوعة التي راقد فيها أخينا إسحاق عيَّان بالحمه، وراح العسكري رافع المخدة التي راقد عليها إسحاق وتحتها مصاغ ذهب وفضة. عند ذلك انتبه[1] إسحاق من النوم، ودغري طلع السكين من ذراعه وقبض على العسكري، قبل ما يمد يده على المصاغ، وقبض منه البندقية. عند ذلك خاف العسكري وجذب البندقية بشدة وطلع. صار يقول: «الله يلعن الدراويش! يا خوي دا عنده مديه راح يطعن بها!». عند ذلك أنا دخلت عند إسحاق وقلت له: «تاني مره لا تعمل مثل ذلك ربما تضرب واحد عسكري بالسكين ويموت في منـزلنا». قال لي: «أخذوا جميع ما عندك كمان راحوا ياخذوا ما بيدي، والله ما عندي سلاح أخر إلا هذا السكين». وإسحاق طبعه حار. وما نشعروا إلا حضرت عساكر مرسوله من سلاطين باشا تواسطت نسيم أفندي أدلبي لأجل ما تُكوِّن نقطة على كافت المسيحـ [يـ]ة التي بحارتنا. قلت: «بعد خراب بصره!». مع ذلك أحسن شي يكونوا واقفين خفتاً من حضور عساكر تاني مرة. وطلعت من حطام الدنيا بتلاتة ريال قشلي[2] في الجيب، وحمدت الله على ذلك. ومن بعد مضي التلات أيام صدر الأمر [123] من سعادت كتشنير بالكف عن نهب العساكر في المدينة.

(1) المخطوط: انتبح.

(2) القوشلي هو الريال النمساوي الذي يعرف بـ «ماريا تريزا».



الفصل السابع

يوسف ميخائيل والحكم الإنجليزي المصري





وأخذ [ت] مدة عبارة عن نصف شهر وكسور كان حضرت عندي جوابات من سيدي البطريرك من مصر، بواسطت المخابرات، كاتب لي فيها من بعد الدعوات الصالحات: «إلى ولدنا المبارك الأمير يوسف مخاييل. فيدنا عن حقيقت أولادنا الاقباط الموجودين معكم في زمن الدراويش، عن الحي والميت منهم، عن كل بيت وعايله، كونه حضروا لنا بعض أولادنا الذين كانوا عندك، وأخبروني إنكم نـزلتوا في ميدان الحرب نسأل الرب الإله لكم السلامة». رديت عليه غبطته:[1]

إلى سيدي الرب الطوباني والروح الجسماني، قداسة الأب الكلي سيدي البابا المعظم. بعد تقبيل الأيادي الكرام، ومواطي الأقدام، والتماس صالح دعاكم على الدوام، سيدي أني تشرفت بعزيز خطابكم، وشكرت الإله عليذلك. وإنَّ من خصوص عموم أهلنا الأقباط جميعهم بخير وسلامة، ليس فاقدين إلا واحد في المهدية اسمه أحمد طويل، وهو مخاييل جرجس الأقرع، فُقِد منا في نار الحرب وجدناه ودفناه. والأيادي مقبلة يا سيدي، والسلام.

وبعد ذلك بيومين أو تلاتة حضر عندي ظابط من طرف الحكومة اسمه صادق أفندي نايب مأمور الظبطية، ومعه تلاتة من أولاد البلد، وقال لي: «حضرت المأمور قصده يأخذ الخيمة بتاعتك، كونه قالوا لحضرته لا توجد خيمة جميلة مفصله مصري، ولها عود زان بحبله[2]، إلا عند يوسف مخاييل القبطي. وقصدنا نأخذها بالتمن لأجل واحد ظابط إنجليزي متوجة إلى ود مدني». ومن حيث أني أنا محتاج للقروش طلعت الخيمة وقلت له: «يأفندي ومَنْ دلاكم على هذا الخيمة ؟» قال: «محمد حسن، ويوسف

(1) المخطوط: قبطته.

(2) المخطوط: زان بحلبه. والزان هو نوع من الخشب.

شيخاني». من بعدما نصبها وتفرج عليها، وجدها خيمه تمام على مايرام[1]، قال لي: «كم تمنها؟». قلت له: «مكلفه معي تلاتون ريال مجيدي بخلاف أشياء أخره أحضرتها من بيت المال بدون تمن». قال لي: «نأخذها منك بنصف التمن حيث أنها مستعملة، أخذ نصف القيمة». بالنسبة لاحتياجي قلت له: «هات[2] التمن». قال: «أنا قصدي نوصلها لحضرة المأمور ينظرها، ويصرف لك التمن من الظبطية، أحضر باكر واستلم النقدية». عندما حضرت الخيمة أمام حضرة المأمور ونظر عليها وجدها موافقه. قال له يوسف شيخاني: «ياحضرت المأمور إنَّ هذا الخيمة قلنا لك عنها صاحبها المقدم [124] يوسف مخاييل القبطي، طلع مجرد من عساكر الحكومة، ودلينا حضرتك عليها لأجل مساعدته في تمنها». وما كان من حضرت المأمور شوقي أفندي أخذ الخيمة وأرسلها إلى محل لزومها. تاني يوم حضر عند حافظ أفندي المعاون في الظبطية، أخذني وتوجهنا سويا لحضرة المأمور، وجدنا عنده أكابر أهل أم درمان سليمان الدراوي، ويوسف حاج النور، والنور عبد الحفيظ، وإسماعيل بك بولص صليب[3]، ومحمد سعيد الحجازي، وجملة ناسات واقفين على طولهم صف واحد. ودخل حافظ أفندي قال له: «يا حضرة المأمور هذا صاحب الخيمة يوسف مخاييل». قال له: «تمنها كام»؟ قال له: «تمنها ثلاثون ريال، واخذتها منه بنصف القيمة». قال: ياحافظ عقلك وعقل يوسف واحد أن الخيمة أعطينا [ها] إلى واحد حاصل به جدري، وحرقناها بالنار. اطلع ياراجل أنت الخليفة في نفسي». قلت: «إنَّ هذا المأمور قصد الظلم». قلت له: «ياحضرة المأمور، أنا اسمي يوسف مخاييل القبطي، وأما الخليفة أنتا تعرفه هرب. إذا كان تقصد الخليفة حصِّله، وأما إذا كان تقصد الظلم ربنا أجلسك على كرسي العدل، وأنت تظلم! أن الخيمة إذا كان حرقت بالنار أو موجودة أنا قصدي التمن، وإذا كان قلت تظلمني، أنا ندخل على مكسويل باشا[4]

(1) المخطوط: عليمايرام.

(2) المخطوط: حات.

(3) المخطوط: لصيب.

(4) هو السير جون جرفيل ماكسول، جنـزال إنجليزي، دخل في خدمة الجيش المصري عام 1886م، وعمل في الحدود الجنوبية لمدة ثلاث سنوات، واشترك في حملة إعادة احتلال السودان التي قادها الجنرال كتشنر، وبعد سقوط المهدية

الإنجليزي أهو بجوارك». قال: «اسكت يا راجل الباشا بالقرب لنا». قلت له: «يا حضرة المأمور الأقرع ليس يبالي من قوبه». وأما أنا لا أكون مظلوم ولا نخشى من كلامك». ونتكلم معه باعلا صوت. وهو يقول:» ياراجل اتكلم بشويش[1] سعادة الباشا بالقرب لنا»، إخوانا أهل أم درمان الواقفين قالو: «أصبر يايوسف!». قلت لهم: «حضرت المأمور من ظلمه قال لي أنت خليفة المهدي بذاتك». إنّ هذا ليس هو الظلم بعينه». قلت له: «نحن قلنا حضرت الحكومة لأجل راحت العباد، وأنت تظلم!» قال: «والله منذ ما دخلت هذا البلد ليس عرض على واحد بصفة هذا الرجل، أنت ضعيف ولسانك فصيح، نعوذ بالله منكم يا أهل السودان. انتظر برا شوية نطلبك ونعطيك تمن الخيمة». طلعت منه وانتظرت في تحت ظل الحايط بربع ساعة، طلع ماشي لمنـزله قبضته من يده قلت له: «ماشي فين ياحضرة المأمور، تأمرني بالانتظار وتروح لمنـزلك؟» قال: «يا راجل وحياة ستي زينب[2] غفيرة [125] مصر أنا طالع ذي الناس»[3]. قلت له:» يا حضرة المأمور، أنا والدي لما حضر من مصر شباب مثلك في أول فتوح السودان، وأنا عندي حريمات كبار في السن وأطفال، إذا قلت تظلمني، أنا نخلص حقي، إنما نتوجهوا إلى منـزلنا ونقول لهم: «أرفعوا كفكم إلى الله وقولو: الله يقتلك يا شوقي المأمور الظالم!» قال: «يا راجل تف من فمك، وحياة سيدنا الحسين دي الوقت نحضر، ونعطيك التمن». قلت له: «طيب اعمل معروف على شان عندي مكاتبه من سيدنا البطريرك، وقصدي نتوجه إلى مصر». قال: «هات[4] الجواب ننظره». أعطيته الجواب. قال: «حاضر انتظرني هنا». طلع زي الناس، وحضر، وجد عنده تلاتة عشر ريال قشلي في التربيره اعطانا هي، وقال: «والله ما عندي نقدية على شان خاطري أترك لريالين». اخذت منه النقدية وطلعت منه، وقلت:

عمل أول مدير لمديرية الخرطوم. وبعد عودته للجيش البريطاني عمل في ايرلندا وجنوب إفريقيا. ورقي إلى رتبة جنرال عام 1919م. وتوفي في مدينة كيب تاون في جنوب إفريقيا عام 1929م. رتشارد هل. 1967. ص 236.

(1) اتكلم بشويش أو بشيس أي تحدث بهدوء.

(2) هي السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب. وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويوجد لها مزار في القاهرة.

(3) طالع زي الناس أي ذاهب لقضاء حاجته.

(4) المخطوط: حات.

«أخلص حقك من الظالم بُتَّاب». قال ليِّ: «تعالى البُتَّاب هو أية! قلت له: «ما تعرف البتاب الذي يخرج منه الذرة!؟ ضحك قال: «وحياة والدك لما تحضر من مصر تقابلني! قلت» الله يجمع». وطلعت منه حالاً.

[رحلة يوسف ميخائيل إلى مصر]

استعديت لسفر مصر. أخينا إسحاق قال ليِّ: «تعرف مين في مصر أو في بلد والدينا، والآن من حضروا والدينا لهم كمثل تمانون سنة! قلت له :»نتوجه لمصر لأجل الفرجة، وننـزل عند سيدنا البابا». وقد كان سافرت مع الهاجرين أهلنا أهل السودان لغاية ما وصلت إلى مصر، وقابلت سيدنا البطريك، وسلمت عليه وانـزلـ [نـ]ي أحسن منـزله، وأكرمني غاية الإكرام. وجدت الأسقف المعين للسودان دايماً نكونوا متواجدين سوياً، ووجدت بعضاً من إخوانا الذين كانوا معنا في الدراويش بمصر، وتقابلنا في الكنيسة وعزموني عندهم، واكرموني غاية الإكرام، وحضروا أهالـ [يـ]هم ويقولو:» قصدنا ننظر أمير الأقباط بتاع السودان». أيضاً أخذوني في منازلهم، واكرموني، وصاروا يأخذوني، ونطلع معهم سوياً لأجل الفرجة على مصر.

وقلت لهم: «أنا قصدي تعرفوني بديوان الحربية». قالو: «ماذا تقصد منه؟» قلت لهم: «أنا عندي أموال وارده في يومية كردفان بدفتر الخزينة أمانة عند الحكومة، وعندي شهادة بها. إذا وجدت اليومية حضرت لمصر نصرف حقوقنا». توجهوا معي لغاية ما عرفت ديوان الحربية. توجهت له وجدت إخوانا الذين كانوا معنا بالسودان، إبراهيم باشا فوزي[1]، والسيد بك جمعة، واسكندر بك القايمقام، ويوسف أفندي منصور، من ظباط

(1) هو إبراهيم فوزي باشا. عمل لواءً في الجيش المصري. وخدم مع غردون في مديرية خط الاستواء. وعندما عاد غردون حكمداراً عاماً على السودان عينه مديراً على خط الاستواء. إلا أنه اتُهم بعدم الانضباط الإداري. ومن ثم تم استدعاءه إلى الخرطوم ثم ترحيله إلى القاهرة. وعاد مرة أخرى إلى السودان في عهد حكمدارية غردون الثانية (1884-1885م) حيث عمل مستشاراً لغردون. وظل في هذه الوظيفة إلى أن تم اعتقاله بعد تحرير الخرطوم. وظل رهن الاعتقال المهدوي

إلى كُتَّاب أفندية، وجملة ناسات، [126] ودخلت على ديوان الحربية وجدت واحد بك وعرَّفته بحقيقة أمري، أرسل معي واحد مراسله إلى واحد باشكاتب كبير، سألته عن يومية كردفان. قال: «يومية كردفان ليس وصلت إلى مصر، إنما التي وصلت عندنا يومية الخرطوم». إن يومية كوردفان اخذوها الدراويش من زمن كبير بالطريق ولم تصل». بل صرفوا لِّي خمسة جنيهات إزالة ضرة لأجل مصاريفي.

ومن بعد عشرة يوم أيضاً توجهت لديوان الحربية لأجل مقابلت إخوانا أهل السودان ننظر الحالة كيف، وما هو ماشين عليه. وأنا ماشي في طريقي لغاية ما قربت على ديوان الحكومة، في تلاتة رجال ماشين بالقرب مني، وصاروا يشتموا في الخليفة عبد الله. قلت لهم: «ما تخافوا الله في حق الرجل سِوى كان ظالم، أو عادل لنفسه، إنما هذا الرجل شاف خاطر أولاد الريف وعمل لكم رايات بعد ماكنتوا أذلاء عند العربان، وجعلكم قبايل، وصار يضرب المثل بأولاد الريف. قال: «ليس أحداً مستقيم مثلهم». الآن تذموا فيه سوى كان حي أو ميت، الضرب في الميت حرام». وحصلت منهم حماقة فيذلك، وصار صوتنا عالي في الكلام، وفي تلاته باشوات بالقرب لنا، ونحن ليس [نـ] نظرهم، بل سمعوا كلامنا مع بعضنا، ارسلوا واحد مراسله[1] احضرنا الجميع لديهم. فيهم واحد أكبر منهم سناً اسمه أمين بك، والتاني حسين بك، وإبراهيم بك، جالسين التلاتة سوياً. قال أمين بك: «مالكم مع بعضكم!» تكلم واحد منهم قال: «ياسعادة البيك نحن نشتم في الخليفة عبد الله التعـ [ايـ]شي، وإنَّ هذا اسمه يوسف القبطي في المهدية، كان كاتب في الراية الزرقا، ومقدم مقاديم الأقباط عموم بالسودان، وكاتم أسرار الخليفة، لما سمعنا نحن نشتم في الخليفة عارضنا فيذلك قال: «أنتم أولاد ريف وكان يراعي خاطركم والآن تشتمو [ه] حرام عليكم». قال حسين بك وأمين بك: «أما تخافوا الله، وإنَّ هذا الرجل كان ملك عليكم، والآن انسلب المُلك منه، كما هي عادة الدنيا،

إلى أن أُفرج عنه عام 1898م. فعاد إلى وطنه مصر حيث ألف كتابه الموسوم بـ السودان بين يدي غردون وكتشنر. رتشارد هل، 1967م، 172-173.

(1) المخطوط: مراساله.

يعطي المُلك لمن يشاء!، أنتم أكلتوا عيشه وملحه، هل يجوز لكم ذلك؟ دي الوقت نحن مع الخديوي إذا كان لا سامح الله وحصل له شي كمثل ذلك، هل يجوز لنا الشتم فيه؟ حرام عليكم». أمين بك تف على [و]جوههم، وقال لهم: «رحوا إلى حال سبيلكم يعلم الله النور [127] الذي على وجه يوسف القبطي ليس فيكم أنتم، خاينين إنَّ المُلك مُلك الله هو مخير فيه».

قال: «انتظر يا يوسف أنت ابن مَنْ». قلت له:»أنا ابن المعلم مخاييل مليكة، والدنا توجة للسودان كاتب من ضِمن أربعين كاتب على عهد أفندينا محمد علي باشا، وخلفنا بمديرية كوردفان «. قال لِّي: «هل تعرف حقيقة الرجل الذي قال:»أنا المهدي». قلت له: «يا سعادة البيك إنَّ أمر هذا الرجل ليس يعلموا إلا الله. إذا كان قام في السودان صوت غضب، أو رحمة علمه عند الله. إن هذا تسليط على السودان». قال: «عندكم أنتم المسيحيه ماذا تقولوا فيه». قلت له: «إنه صوت غضب أهل السودان طغو، وبغو، وظلموا سلط الله عليهم من لا يرحـ [مـ]هم لأن الذين قتلوا بالسودان خلق كتير، وهذا الرجل كان حقير، كما قال سيدنا داود النبي يرفع الفقير من الذايلة ويجلسوا على روس شعبه[1]، وإن هذا من ضمن عباد الله المساكين، وعلمه عند الله. إن هذا سر مخفي». قالوا التلاتة بلسان واحد: «والله ما قلت إلا حق! الآن ارتاح[2] ضميرنا. وما حالة الخليفة». قلت لهم: «أيضاً هو وزيره». قالو: «يعلم الله قلبنا حباك، ليس ترضي أن تحصِّل الخليفة لأجل محاربته سوى كان يحضر معك أسير، أو تقتلوا وتحضر برأسه، نحن ندخل على الخديوي نصف ساعة أنت تكون موظف كبير، نقابلك به، ويعطوك من هنا عساكر زي بلك بتوجه معك». قلت لهم: «كتر الله خيركم كأنه فعلتوا معي ذلك، إنما أنا حضرت من السودان لأجل البحث[3] على أموالنا التي بخزينة مديرية كوردفان، وليس وجدت اليومية:» قالو: «لم تصل إلى مصر». وأنا حاربت كتير، والآن ليس طاقة بالحرب». قال

(1) المخطوط: شبعه.

(2) المخطوط: ارتحاح.

(3) المخطوط: البحس.

حسين بك:» إنَّ هذا الرجل كان مع الخليفة وكاتم أسراره، كما ظهر لنا هذا الكلام من التلاتة رجال الذين كانوا الآن أمامنا، واظن ضميره ليس مسلم له فيذلك». قلت له: «ياسعادة الباشا قلت حق. إنَّ هذا الرجل حقيقي كان ملك علينا، إذا كان ظالم لنفسه، ونحن ما علينا إلا اتباع الأمر. وعلى رأي المثل: «من اشتدت سطوته وجبت طاعته». وهو المسؤول أمام الله الذي اعطاه المُلك، ونحن ما علينا إلا السمع والطاعة». قالوا لِّي: «لازم عن كل أسبوع تحضر عندنا في هذا المكان، ونحن سنساعدوك لغاية ما تسافر إلى بلادك». شكرتهم عليذلك، وطلعت من عندهم شاكر لأفضالهم.

[عودة يوسف ميخائيل إلى السودان]

وبعد مدة توجهت إلى جهات صعيد مصر لأجل الفرجا علي ضواحـ [يـ]ها بلدة بلدة، وتوجهت [إلى] الأقصر، ومنه إلى أصوان، والشلال قصر أنس الوجود [128]، وتوجهت إلى أم درمان. أخذت حرفت التجارة، وبعد ذلك طلبني الخواجة بشارة شمعة شريك الخواجة فتح الله مخرز كاتب في محل تجارته، وبعد مدة جعلني وكيل على المحل، ونـزل مصر، وبعد حضوره عملت معه شركه. أخذت بضاعة، وتوجهت بها إلى الكوه، كان بها المأمور المرحوم توفيق أفندي الذي بنا الجامع على حسابه في هذا البلدة، وساعدته في الخشب لأجل أبواب الجامع. ومن بعد سبعة شهور توجهت أم درمان، ومنها إلى ودمدني، وبعد ذلك رجعت إلى أم درمان، وعملت دكان لأجل البيع والشرا، أخذت مده كبيره.

وكان سعادة مدير أعالي النيل غرنج باشا بلغه أن مديرية كوردفان بها صمغ كتير، وعندها إيراد كبير من الصمغ. قال: «ليس مديريتي تكون كمثل كودرفان في إيراد الصمغ»، احضر كافت تجار ود مدني ومن ضمنهم السيد محمد بازرعة شريك السيد

عمر الصافي، الذين حضروا من سواكن في عهد قريب بعد فتوح أم درمان بمدة. وعملوا المزاد على الصمغ الهشاب احدي عشر غرش القنطارماية رطل، والطلح عشرة غروش القنطار. وكتبوا كنتراتو [أي عقد] مع الحكومة بذلك، وسعادة المدير يساعدهم[1] عليذلك. وحضَّرت الكنتراتو إلى السيد عمر الصافي لأجل العمل بموجبها لأجل تعـ [يـ]يـن وكيل ومعه عمال بمعرفته لهذا الأمر، كونه مصلحة كبيرة، وما لها واحد يكون متبصر في الأمور بهذا الأمر المهم من سنار لغاية الرصيرص، ويعمل في كل محل مركز لأجل جمع الصمغ، ويكون بيده النقدية والعبوات، ومنه يوزع الجهات بمعرفته لكافت الطلبات، وتتحضر له الأحوال من جميع ذلك المراكز لأجل معلومية الحال عنده، ليكون على بصيرة. عند ذلك وقع السيد عمر في ورطه شديدة لعدم معرفته بأهل أم درمان، وأخيراً أرسل إلى الخواجة انطونيوس سعد كونه من أهل سواكن، وحضر بأم درمان مع الجيش سوياً، وله خبره بأهل أمدرمان، وأحضر الخواجة تاوضروس اقلاديوس القاطن بأم درمان من زمن الدراويش، لأجل مساعدته في حصول إنسان يكون أمين وذو معرفة. وبعد حضورهم مع بعضهم قالوا له: «يا سيد عمر الصافي لا نجد إنسان يقوم بهذا المصلحة الكبيرة إلا يوسف مخاييل المقدم: أولاً: أنه أمين، وتانياً: له خبره في العربان، وعنده طولت البال. وإنَّ هذا المصلحة يلزم لها شَيْل وخَط مع الحكام لأجل المساعده على حسب شروط الحكومة، الذي بيدك وليس لهذ الأمر إلا فلان». وقد كان اتفقوا عليذلك وارسلوا ليِّ جيلي أفندي شرفي كاتب محل السيد عمر الصافي في دكاني، وقال: «الخواجات فلان وفلان موجودين مع الشريف، ويرغبوا حضورك»، قلت له:» لماذا!» قال: «لم أعرف ذلك». وتوجهت معه. بعد السلام احضروا القهوة، وافهموني بحقيقت الحال، واطلعوني [129] على الشروط الموخوذه عليهم من الحكومة. شروط شديدة من جهة الوزن، وراحت الأهالي لأجل جلبهم في حضور هذا الصنف لأجل توسيع الدايرة حيث أنه صار محكور في يد تاجر واحد. عند ذلك اعتذرت لهم

(1) المخطوط: يسعادهم.

كوني عندي دكان، ولا يخلا الحال من الأخذ والعطا مع التجار. قالو: «نحن نريحك من هذا القبيل، وإن السيد عمر رجل شريف، وقبل ذلك ليس حضر بأم درمان، ولا يعرف فيها أي إنسان لازم أن تجبر بخاطرنا، وتقوم بهذا المأمورية، لأجل خاطره لا يقع الرجل في ورطة مع إنسان ليس يعرف له حقيقة حال، بل أنت الوكيل الوحيد والقايم بالأمر في طلب النقدية منه وجميع [ما] يلزم لك. أنت المسئول عن كافت النقدية والعبوات التي تكون في عُهدتك، وترتب المراكز بمعرفتك، والناس الذي تعرف فيهم الكفاءة لتلك المراكز». آخر شي غلبوا عليَّ، وتوكلت على الله، وقبلت منهم ذلك بمرتب ستة جنية مصري بخلاف مكافآتي.

واستلمت من السيد عمر الصافي الموازين، والدفاتر، والأوراق[1]، وجميع مايلزم لهذا الشأن. وتوجهت إلى مركز سنجه وعينت العمال في الجهات، في سنار ومراكزها يوسف حمزة القباني، والدندر الخواجة رزق الله شكري، وكركوج ومشرع الحجيرات خليل سوريال، وفي تولا غالي سيدِهم، والرصيرص طه عبد الباقي. واعطيتهم التعليمات[2] في كل اسبوع يرسلوا لِي كمية الصمغ الوارد عليهم مركز مركز، لأجل ما يكون معلوم عندي مقدار الإيراد لأجل اعطا الأحوال لسعادة المدير، كونه ضروري يسأل[3] عن ذلك، ليكون معلوم عنده. وأنا نرسل لهم طلباتهم على حسب طلبهم من النقود إلى عبوات، وكافت مايلزم لاي واحد منهم، وقد كان بعون الله تعالى نظمت كل شي، وصار الصمغ يحضر من العربان.

ومن بعد شهر حضر سعادة المدير المومى عليه وحضر عندي في الزريبة، ونظر إلى الوزن، ووقف على الميزان والعربان بكترة، وقال لهم: «مبسوطين؟ قالو: «نعم يا سعادة الباشا. وصار يذاكرهم أن أهل كردفان أحسن منكم يدفنوا العيش لأجل أولادهم،

(1) المخطوط: اولاراق.
(2) المخطوط: التلعمات.
(3) المخطوط: يسئل.

ويحضروا الصمغ صاروا اغنيا، إذا كان تداوموا على تحصيل الصمغ من الوادي تكونوا اغنيا. قالو: «حاضر ياسعادة الباشا نحن وجدنا زولنا يوسف من زمن المهدية معنا، ريحنا في الوزن، ضروري نحضروا الصمغ كونه وجدنا في الارباح».

ومن سنجه توجه إلى الرصيرص وفي عودته وجدني بنيت كرنك كبير [130] وسميته «جبل الداير» كونه طوله[1] خمسة وثلاثون ذراع، وعرضه سبعه اذرع، لأجل دخول عموم الصمغ فيه، وعالي. عند حضور سعادته حضر عندي قبل ما كل شي نظر على الكرنك، ودخل فيه، وصار مبسوط منه. قال: «إنَّ هذا على شان الصمغ». قلت له: «نعم يا سعادة الباشا». قال: «مأمور»، حضر عنده المأمور سعد أفندي أمين، قال له: «أنا عاوز[2] واحد كرنك كمثل هذا على شان العساكر، نحضر من مدني نجده كمثل هذا» . وسعادة قرنج باشا شديد في عزمه واشغاله، رجل حربي كمثل الأسد، وعلى فرقت حاجبيه شعر كمثل الأسد، وكافت الظباط يخافوا منه، ومن هيبته حتى فرح بك أبو زيد، وسامه الدابي. وبعد ذلك سألني عن كميت الصمغ. عرفت سعادته بمقدار المحصول صار مسرور جداً.

وتوجه إلى مركز الحكومة ومعه أركان حرب فهمي أفندي المنينى، ورمسيس بك بعد تلاته أيام. وفضل المأمور حيران في بنا الكرنك. وأخيراً حضر عندي وقال: «اعمل معروف ارسل إليَّ الاوسطه الذي عمل هذا الكرنك يحضر لأجل بنا الكرنك على رغبت سعادة الباشا. إذا حضر ولم يوجده كمثل هذا يكسر ظهري». قلت له: «فيها قزازة كنياك يا حضرت المأمور؟» قال: «علي ذلك»، ضحكنا مع بعضنا، واحضرت له الاوسطه، وعمل له كمثل الذي عندي.

وأخيراً بعد آخر محصول الصمغ رحلت على الوابورات تعلق الحكومه والمراكب من الصعيد والدندر، وجمعت كافت اطرافي على أحسن حال، وتأخرت لحين حضور

(1) المخطوط: طويله.
(2) المخطوط: عواز.

العمال، وما نشعروا وإلا حضر وابور من شركت استعمار السودان فيه ياشمهندس انجليزي ووكيل الشركة انطون أفندي سوري، ووقف في المشرع أمام زريبتنا، [وكنا] نجعله من وابورات الحكومة التى تحضر عندي لاجل ترحيل الصمغ. قالوا لي: «إنَّ هذا الوابور غوردون تعلق شركت استعمار السودان حضر لأجل مشتري غلال، ومكث في المشرع سبعه يوم، لم يأخذوا شي. أخيراً انطون أفندي بيطار اجتمع مع قديس أفندي اندراوس وكيل البوسطه والتلغراف وسأله عن هذا الزريبه الكبيرة التى بها الكرنك الكبير. قال له: «مقيم فيها يوسف مخاييل وكيل السيد عمر الصافي لأجل مشتري عموم الصمغ». قال له: «أنا حضرت من الشركة لأجل مشترى ذُره، وثانياً اتعرف حالت هذا المركز لأجل ما [131] سعادة مدير الشركه قصده يعمل فيها مركز لأجل تشغيل الوابورات في المحصولات». قال له: «عليك يوسف مخاييل هو الذي يعرف محصولات التجار، وله معرفه مع كافت العربان». قال له:» [لابد] من وصولك معي عنده لأجل المعرفه معه». حضروا عندي ساعة المغرب سلمت عليه، بعد شرب الشاي، عرفني عن حقيقت الحال، وقال لِي:» أنا الآن قصدي مشتري غلال لأجل شحن الوابور كوني مكثت مده». أجبت طلبه وطلع عندي وسكن معي في الزريبه. بعد مرور خمسة أيام شحنت له الوابور من الغلال حسب طلبه، عندما عرفت العربان بحضور الغلال حضَّروا شي كتير خالص، وصار مسرور من ذلك.

وتوجه عند وصوله الخرطوم عرف سعادة مدير الشركة بجميع ما حصل له، وعن حقيقت البلد، وقال لسعادته: «لا يصلح وكيل لهذا المركز بخلاف فلان». وأنا كنت جمعت اطرافي، وتوجهت عند السيد عمر الصافي، وعملنا الحساب على كافت ما بعُهدتي من النقود إلى العبوات على أحسن حال، وأخذت مكافأتي، وشهاده من عنده. ومن عشرت أيام أو زيادة أرسل لِي الخواجه انطونيوس سعد قال لِي: «في وابور قايم إلى فشوده، وقصدي تسافر فيه إلى فشوده لأجل ما تعمل كل الطرق اللازمه وتمسكوا لِّي ابن القرنتيه». قلت له: «إن هذا حيوان بحر ليس ممكن قبضة». وحصل له

زعل من ذلك. قلت له: «لأجل خاطرك نتوجه إذا كان تيسر لِيَّ ذلك نحضره، وإذا كان ليس امكن نحضر». وقد كان توجهت فشوده وجدت الماس بك مأمور فيها، وعرفته عن حقيقت الأمر ضحك، [و] قال: «إنَّ هذا الحيوان ليس ممكن قبضه، ومع [ذلك] يحضر الملك و [نـ]عرفه بذلك». تاني حضر مك الشلك، واتفقت معه على تلاتون جنيه. أخذنا مده فلا كان يقدروا عليه.

ومانشعر إلا حضر لِيَّ تلغراف من الخرطوم هكذا: «يوسف مخاييل ضروري حضورك لمقابلتنا. سد». فهمت إنَّ هذا من سعادة مدير الشركة رديت عليه: «بحضور الوابور من السد نحضر». ومن سبعة أيام توجهت أم درمان وعرفت الخواجه انطونيوس بحقيقت هذا الحيوان، وتوجهت وقابلت سعادة المدير، وحصل الاتفاق مع سعادته بأني أكون وكيل لأجل شحن الوابورات بماهية سته جنيه، ونعملوا شركه معه في تجارت الذره، والصمغ، والسمسم، ونأخذ في صافي الأرباح في المائة خمسة وعشرون جنيه. وتوجهت إلى سنجه وفتحت المشرع، ودورت المصلحه أجرة شحن الوابورات سعادة المدير عامل [132] عليها كنتراتو مع الخواجات والتجار على القنطار تلاته غروش، بل على نعرف الموجود عند كل واحد، ونجري شحن الوابورات بالوزن من أي صنف، وفي المشتروات الخاصا بالشركه عامل عليها ناسات لأجل أخذ الاصناف وحضورها عندي بالمركز، وفي آخر السنة نـزلت وقابلت[1] سعادته. ومن بعد تلاته شهور قمت من الخرطوم إلى سنجه على حسب العادة. إنما عرفت سعادته: «شحن الوابورات في الاجره يكون بمعرفتي». قال: «أنا أخذت شروط مع كافت خواجات، وتجار سنجه على هذا المقنن». قلت لسعادته: «اترك صندل واحد لخاصتي». قال: «طيب تعمل الترتيب ونفيدك» عند أوان طلوع البحر حضر عندي تلغراف بقيام الوابورات. بحضور الوابور وجدت جواب من سعادته قال: «تركنا صندل لحسابك عند الشحن بعد شحن الخواجات والتجار أهل الشروط». وأما الصندل الذي لحسابي شحنته قنطار الذرة خمسه غروش،

(1) المخطوط: مقابلت.

والصمغ والسمسم أيضاً، أما السوايل، والجلود، والويكه، والأصناف الأخره القنطار سبعه غروش. عندما وصل لسعادته الوابور واطلع على الاستماره بالشحن صار مسرور جداً. وفي آخر السنه نـزلنا للخرطوم كمثل [العاده] واعطاني مكافأ على هذا. وفي السنه التالت صارت كافت الشحن بمعرفتي. ومكثت بهذا المصلحه سبعه سنوات.

وبعد ذلك حصلت لىّ حمى[1] شديده، ورغبت الاستعفا عن الخدمه، سعادة المدير ليس قبل مني. أخر شي قلت لسعادته: «اسمح لّي مقدار سنه نتوجه كوردفان عند أخوي إسحاق لنا مده ليس تقابلنا مع بعضنا»، حتى أنه عفا عنى، وأعطانى شهاده. واوعدت بعد سنه نحضر لسعادته، واخذت تجاره مع شركت كوردفان المستر لو، وتوجهت بها النهود وبعد سنه حضر عندي تلغراف من سعادته مدير شركت استعمار السودان، وكان عندي اطراف في الفاشر ليس تحصلت عليها، وعَرَّفت سعادته بذلك. وبعد ماجمعت اطرافي وحضرت بأم درمان وجدت جناب المستر لو غايب في جبل اللادو، وجعل وكيل عوضاً عنه انجليزي ليس له خبره تامه في التجاره، وأنا ارسلت ريش نعام كتير جداً، وحضر [ه] أحد التجار عبد الله أباسالم واعطاه فيه تمن طيب، رفض تصريفه، وأخر الريش لغاية ركبته العته[2]، وباعه بالقنطار وليس بالمربوع، كمثل مباع الريش الجاري تصريفه. وحصلت خصاره من هذا. وعند حضوري وجدته واخبروني كل شي، ومن ما حصل منه، والمرحوم يوسف فواد كان بشكاتب المحل زعل في هذا الأمر [133] الذي حصل من هذا الوكيل، وقال لِّي: «انتظر حضور المستر لو يحضر من سفره، أو تقدم قضية، ولك الحق في ذلك». قلت له: «مادام المستر لو حاضر ننتظر حضوره»، قال: «أحسنت فيذلك». وعند حضور المستر لو من سفره حصلت مشاجره[3] كبيره ما بينه وبين المذكور لغاية ما أوجبت نـزول المستر لو إلى أوربا، حتى صدر الأمر الى ذلك الوكيل بطلوعه من المحل.

(1) المخطوط: حمه.

(2) التعة أو التعثة هي من القوارض التي تأكل الصوف. و«ركبته العته» أي اتلفته العتة.

(3) المخطوط: شجاره.

وعند غياب المستر لو في أوربا وطالت مسافته، أنا أخذت تجاره في سوق أم درمان، ومكثت زمن كبير، آخر شي حضرت بكردفان وفرشت بها دكان. وعندما الخواجات إلياس تفايه، وإسحاق مخاييل عملوا الوابور كنت مقيم فيه. والآن صرت مباشر عموم الوابورات الموجوده بكردفان لهذا الان.

[>>>][1]

إنه بعون الله وحسن توفـ [يـ]ـقه قد تم تاريخ حياتى جميع الوقايع التى حصلت لِيَّ [و] الشي الذي حصل على يدي، والذي كان في زمن حياتى، وأما مناشـ [يـ]ـر المهدي أوردت منها شي من كتاب المناشـ [يـ]ـر خفتاً من التطويل وعلي الله حسن الختام .

بكوردفان فـي 1934/12/15م.

وما توفيقي الا بالله .　　　　[توقيع]

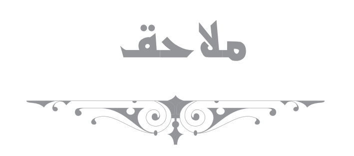
بمديرية كوردفان　　　　يوسف مخاييل

غوردون السودان [توقيع]

تحرر فى 12/15/سنة 1934م.　　　　يوسف مخاييل

(1) أورد المؤلف في هذا الجزء منشورين من منشورات المهدي، إلا أن إعادة تبويب المخطوط، اقتضت ضرورة ترحيلهما للفصل الخاص بالملاحق.

ملاحق





الملحق رقم (1):[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم. وبعد، فمن العبد المفتقر إلى الله محمد المهدي بن عبد الله إلى كافة ضباط وعساكر الإنجليز، خصوصاً الأعيان والرءوس، أرشدهم الله إلى اتباع سبيل النجاه قبل البؤس وجعلهم من اللايذين بجنابه العزيز آمين.

إنكم إذا تدبرتم بعقولكم وتفرستم في قدرة خالقكم وعجزكم عن مقاومته علمتم أن مخالفته شنيعه ولا ينبغي لكم إلا إمتثال أمره واجتناب نهيه والهروب منه إليه. قد اظهرنا للدعايه إلى حماه والدخول في ساحة كرمه وعطاياه. فهيا إلى ذلك واغتنموا سعادتكم قبل المهالك وسلموا تسلموا، اسلموا يوتكم الله أجركم مرتين، ولا تعرضوا فتكونوا كمن قبلكم كراشد، ويوسف حسن الشلالي، وعلاء الدين، وهكس، وغوردون. لإنا أنذرناهم مراراً ودعوناهم فما زادهم ذلك إلا فراراً، فذاقوا عذاب الخزي في الدنيا ولعذاب [134] الآخره أخزى. والسعيد من اتعظ بغيره. وهذا إنذار لكم. فإذا بلغكم وأردتم الفوز العظيم والنعيم الدايم المقيم فلبوا إجابة دعوتنا إلى الله وبادروا بالتوبه قبل تعذرها عليكم.

وقد توجهت إليكم جنود الله ولا طاقة لكم بمحابرتها، ولكن من باب الشفقه عليكم أمرناهم ألا يحاربوكم إلا بعد وصول هذا لكم، وتحقق الأباء منكم عن الإجابه،

(1) المخطوط: العنوان الأصل: «نورد هنا بعضا من مناشـ [يـ]ر المهدي هذين المنشورين من بعد ما عندنا من المناشـ [يـ]ر».

ولا يؤذوكم ولا يتعرضوا عليكم في شيء من حقوقكم الخاصة إذا سلمتم ما عدى حق الميري والأسلحة والجباخين. فإنَّ سلمتم فعليكم أمان الله ورسوله وأمان العبد لله، وتكونوا من ضمن أنصارنا. وليس قصدنا استعباد أحد ولا إرادة جاه ولا ملك في الدنيا، ولا رغبة لنا في حياتها ولا في لذاتها الفانية، بل إنما قصدنا الدلاله إلى الله كما أمرنا الله ورسوله بذلك. وإلا إذا خالفتم فلا نقبل منكم صرفاً ولا عدلاً وسترون ما يحل بكم. واصغوا بآذانكم الواعيه لما أقول إن كانت لكم عقول، فإن الله تعالى قد أظهرني رحمة لمن اطاعه باتباعي ونقمة على من عصاه بمخالفتي، وأيدني منه بالنصر والظفر وأمدني بهمم رسله وأنبيائه وملايكته وأوليائه فلا يقدر على محاربتي الثقلان، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. ولو شئت لقبض الله سلاحكم بحيث أن أصحابي يقتلونكم ولا يقتلون، ولكني اخترت بتوفيق الله تعالى الشهاده لهم في سبيل لله اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم. فإياكم والغرور، فإن جند الله غالب. وفي هذا كفايه لأهل العنايه، والسلام. 29/ ربيع الثاني سنة 1302هـ[1]

(1) يوافق 16 فبراير 1885.

تمت مراجعة هذا المنشور مع النص المحقق الوارد في : محمد إبراهيم أبوسلم. (تحقيق) الآثار الكاملة للأمام المهدي. مج 4. الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر. 1992. ص 307-308.

الملحق رقم (2)

منشور إلى والي مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم.

وبعد، فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله إلى والي مصر.

لا يخفي على مَنْ نوَّر الله بصيرته وشرح صدره إن الدين الذي يكون التمسك به ناجياً عند الله هو دين الاسلام الذي جاءنا به نبينا [135] محمد صلى الله عليه وسلم ونزل به القرآن من الملك العلام. قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾[2]. وما سوى ذلك من الأديان فضلال يدعو الشيطان إلى حزبه ليكونوا من أصحاب السعير. ومن منحه الله تعالى عقلا يميز به بين الخبيث والطيب لا ينبغي له ان يصرفه إلا فيما ينتج خلاصه عند الله يوم تزل الاقدام ويشيب الطفل ويشتد الزحام، إلا كان بسوأ حال من البهايم، حيث أضاع حكمة تركيب العقل فيه. ولا سبيل إلي السلامة عند الله إلا باتباع دينه واحياء سنة نبيه وإماتة ما حدث من البدع والضلال والانابه اليه تعالى في كل الأحوال. وقد تأكد ذلك في هذا الزمان الذي عم الفساد فيه ساير البدان. فإنَّ دسايس أهل الكفر التى أدخلوها على أهل الإسلام وضلالاتم التي مكنوها من رقاب الأنام قد افضت إلى

(1) سورة آل عمران، آية 19.

(2) سورة آل عمران، آية 85.

اندراس الدين وعطلت أحكام الكتاب والسنة بيقين، فصارت شعاير الإسلام غريبة بين الأنام وتراكمت الظلمات وانتشرت البدع وابيحت محارم الإسلام واشتد الكرب على أهل الايمان فصار القابض على دينه كالقابض على الجمر لتراكم البغي والعدوان.

فعند ذلك اظهرني الله طبق الوعد الصادق رحمة لعباده لأنقذهم من ظلمة الكفر إلى نور الايمان وأدلهم إلى الله على هدي منه وتبيان وطوقني بالخلافة الكبرى المهدية وخلع عليَّ حللها البهيَّه، وبشرني سيد الوجود صلي الله عليه وسلم بالنصر على كل من يعاديني ولو كان الثقلين، وبأن من يقصدني بعداوه يخذله الله في الدارين وقلدني بسيف النصر وأيدني بقذف الرعب في قلوب أعدائي يسعي أمامي أربعين ميلاً، وأخبرني بأني أملك جميع الأرض، وبأن من شك في مهديتي فقد كفر بالله ورسوله ونفسه وماله غنيمه للمسلمين، وبأن الله قد أيدني بالملايكه الكرام وبالجن والأولياء أحياء وأمواتاً. وهكذا من البشارات والعجايب التي يطول شرحها، وكل ذلك بحضرة الملايكة المقربين والخلفا الأربعه والخضر عليه والسلام. وما كنت اترقب هذا الامر لنفسي ولا سألت الله إياه، بل كنت اسأله أن يجعلني معينا لمن يقوم به.

فلما أراد الله ما كان وحتم الأمر عليَّ من سيد الأكوان قمت باعباء هذا الحمالة واعتصمت بالله وتوكلت عليه وأخبرت الحكمدارية بأني المهدي المنتظر، وقد كان بها محمد رؤوف وما تركت لأهلها في إيضاح هذا الأمر شيئاً. وأنا في انتظار الاختبار وتسليم الأمر لله الواحد القهار، فما كان منهم إلا أن ضربوا عما أخبرتهم به [136] صفحاً وطووا عن قبوله كشحاً وبادروني بالمحاربه من غير روية ولا تثبت في هذا الأمر الديني الذي جئتهم به من خير البرية. فأيدني الله عليهم كما وعدني. وهكذا صارت جيوشك تأتين ثلة بعد ثلة، واقدم لهم الإنذارات ولم تنفعهم. والله يؤيدني وينصرني عليهم كما وعدني ويقطع دابرهم إلى أن قلت حيلتك وتلاشى أمرك فسلمت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم لاعداء الله الإنجليز واحللت لهم دماءهم وأموالهم واعراضهم، فجاءني

الإنجليز بكبرهم وخيلائهم واعتمادهم على غير الله. فما سوَّل الشيطان لهم أدرك غوردونهم بالخرطوم وآيست من هداية أهله، وعلمت أن تكرر الانذارات لا ينفعهم، وحقت عليهم كلمة العذاب وصاروا مثل من قال الله تعالى في شأنهم: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾[1]، عجل الله بفتحه واهلاك من فيه واحرقت النار أجسامهم عياناً كالذين من قبلهم اظهاراً للحقيقه وتعجيلاً للعقوبة وصدق عليهم قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾[2]. ثم أنذرت الإنجليز فلووا رؤسهم فوجهت إليهم طائفة من الانصار فقذف الله في قلوبهم الرعب فولوا هاربين بعد أن اهلك الله فيهم من اهلك وشتت شملهم. وهذا كله ليس خاف عليك. ولازال حزب الله مقتفياً أثر باقيهم، وعن قريب يحل بهم الدمار مايكون عبرة لمن اعتبر.

وهذا وإنَّ المؤمن المصدق بوعد الله لا يري لجميع مافي الحياة الدنيا من الفانيات قيمة ولا يأسف على ما فات من ملكها الذي مآله الى الزوال وعظيم النكال. وإنما يكون مطمح نظره إلى ما عند الله من النوال في دار الكرامه والافضال فان الدنيا لو بقيت للأول لم تنتقل للاخر. ومن هنا نعلم ان هذا الملك لم يصل اليك إلا بموت أو عزل من كان قبلك. وهو خارج من يدك بمثل ما صار اليك وحيث كان الأمر كذلك فلا ينبغي لك إنَّ كنت ترجو من الله نعيم دار الأبد إنَّ تأسف على ما فاتك من الدنيا ولو كان الدنيا بحذافيرها. فدقق النظر واجمع عليك فكرك وتدارك نفسك واسعى فيما ينجيك عند ربك اذا تمثلت بين يديه وسألك عما جرى منك. وسلم الأمر إليه تسلم. وما كان يحسن منك ان تتخذ الكافرين أولياء من دون الله وتستعين بهم على سفك دماء امة محمد صلى الله عليه وسلم. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا [137] يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

(1) سورة البقرة, آيه 6.
(2) سورة الأنعام, آية 44.
(3) سورة المائدة, آية 51.

الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾[3]. وما هذه الطاعه لاعداء الله والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾[4] وكيف تكفرون وانتم تتلى آيات الله ... إلى أن قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾[5]. فاذا كنت ممن ينظر بعين بصيرته ولا يؤثر متاع الدنيا الخسيس على نعيم اخرته فاعتبر بذلك وبادر إلى النجاة والسلامه المعتبره وهي سلامة الإيمان، ونزه نفسك عن أن تكون في أسر اعداء الله دائماً، ولا تهلك من كان معك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، واغسل ما جرى منك بدموع الندم، ولا تكترث بجاه الدنيا الفاني ولا بملكها الزايل، فإن لله دار خيراً منها وقد أعدها لعباده المتواضعين لجلاله. قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[6]. وإياك والركون إلى اقوال علماء السوء الذين اسكرهم حب الجاه والمال حتى اشتروا الحياة الدنيا بالاخره فيهلكونك كما اهلكوا من قبلك. ففي الحديث القدسي: «لا تسأل عنى عالما اسكره حب الدنيا فيصدك عن طريق محبتي اوليك قطاع الطريق على عبادى». ولا تغتر بقوة حصن بلدك وكترة اسلحتك وعددك الظاهريه ومظاهرة دول أهل الكفر لك فانها لم تغن عنك من الله شيئاً. وكم أهلك قبلك من الملوك أهل الحصون المنيعه من هو أشد منك قوة وأكثر جمعاً لما بغو وعتو في الارض مفسدين.

(1) سورة المجادلة، آية 22.
(2) سورة الممتحنة، آية 1.
(3) سورة المائدة، آية 57.
(4) سورة آل عمران، آية 100.
(5) سورة آل عمران، آية 102.
(6) سورة القصص، آية 83.

وليكن في علمكم إن أمرنا هذا ديني مبني على هدي من الله ونور من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومويد من عند الله بجنود ظاهرية وباطينة. ما قصدنا فيه إلا إحياء الدين واظهار آثار الانبياء والمرسلين. ولا نريد مع ذلك ملكاً ولا جاهاً ولا مالاً فإن نوَّر الله بصيرتك وخالفت النفس الأمارة بالسوء وقبلت هدينا وأنبت إلى الله بنيه خالصة فعليك أمان الله ورسوله وأماننا وما بيننا وبينك إلا المحبه الخالصة لوجه الله تعالى [138] ونكون الجميع يداً واحده على إقامة الدين واخراج اعداء الله من بلاد المسلمين وقطع دابرهم واستئصالهم من عند آخرهم إن لم ينيبوا إلى الله ويسلموا. وقد حررت إليك هذا الكتاب وأنا بالخرطوم شفقة عليك وحرصاً على هدايتك. فأرجو الله أن يشرح صدرك لقبوله ويدلك على صلاحك ورشادك في الدارين. وها أنا قادم على جهتك بجنود الله عن قريب، إنَّ شاء الله تعالى. فإن أمر السودان قد انتهي. فإنَّ بادرتني بالتسليم لأمر المهدية والإنابه إلى الله رب البريه فقد حزت السعادة الأبدية وامنت على نفسك مالك وعرضك أنت وكافة من يجيب دعوتنا معك. وإنَّ أبيت بعد هذا إلا الإعراض عن طريق الفلاح والرشاد فإنما عليك اثمك واثم من معك ولا بد من وقوعك في قبضتنا ولو كنت في بروج مشيده. وهذا انذار مني إليك وفيه الكفايه لمن ادركته العنايه. والسلام على من اتبع الهدي. 30/ رمضان سنة 1302هـ[1]

(1) يوافق 71 يونيو 1885م

تمت مراجعة هذا المنشور مع أصله الوارد في: محمد إبراهيم أبوسليم، مج 5، 1992، ص 41-45.

الملحق رقم (3)

[خطاب الخليفة عبد الله إلى أهل المتمة]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم.

وبعد، فمن عبد ربه خليفة المهدي عليه السلام الخليفة عبد الله بن محمد خليفة الصديق إلى المكرمين كافة سكان حلة المتمة على وجه العموم فرداً فرداً.

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أيها الأعوان اعلمكم الله بالخير أنكم معدودون لدينا من الاصحاب الواقفين مع الاشارة أمراً ونهياً، وظننا بكم علو الهمة في انجاز المصالح الدينية، وعدم التهاون في وفاء العهد المأخوذ عليكم، وحيث فهمتم ذلك، وبعلمكم أن حلة المتمة التي انتم بها هي طريق للسرايا البحرية، ومركز إليها، وكل ما تعينت من طرفنا سرية لضرب الاعداء فلا بد من مرورها عليها وغشيانها لها، ولا يخفى عليكم ما في مرور السرايا عليكم من مشقة لكم والتعب أكثر من غيركم، لكون الجهة التي أنتم بها مركز للسرايا ومجمع للطرق.

ونظراً لذلك فقد اتفقت مشورة المسلمين، ومن الجملة عمال جهاتكم، على انتقالكم منها لجهة الشرق بقصادها من باب الشفقة عليكم، بما ذكر عملاً بما اقتضت المصلحة الدينية.

وبناءً على ذلك فقد حررنا لكم أمرنا هذا، فبوصوله إليكم وفهمكم لمضمونه،

فجميعكم بطيب نفس وانشراح صدر خذوا كافة امتعتكم وأموالكم وجميع متعلقاتكم ما عدا المساكن فقط، وانظروا المحل الموافق بمعرفة عمالكم بقصاد حلتكم في جهة الشرق، وانزلوا هناك على بركة الله بأكملكم، بحيث لا يتفرق منكم أحد كلية، بل السوق بحاله عامراً بحزاء الحله التي تنشؤها بالشرق على حالته السابقة، وعليكم الأمان التام في أنفسكم وأموالكم، وحيث أن هذا الأمر قد اتفقت عليه كلمة المسلمين، واقتضته مصلحة الدين، وفيه من الشفقة عليكم والرحمة بكم ما لا يخفى عليكم، فبادروا إلى تنفيذ الإشارة فيه بغاية الانشراح والقبول التام، لتنالوا مزيد الرضا وجزيل الثواب، ولترد لنا منكم الافادة عن هذا الاجراء العمل بموجبه.

بارك الله فيكم وقرن بالنجاح مساعيكم. والسلام[1]

(1) عثرت على هذا الخطاب من مكتبة ب.م. هولت الخاصة.

(الملحق رقم (4

Introduction to Yusuf Mikhail's Autobiography

I first met yusuf Mikhail and his brother Ishaq in January 1933 when I was serving as Assistant District Commissioner in El Obied (Central District، Kordofan) the two brothers ran flour mill. Yusuf، the older of the two، was slight، white haired and frail. Ishaq was dark and physically more robust.

I discovered that the two brothers had been born in El Obied before the Mahdia and that Yusuf had been there during the siege. Being interested in the history of El Obied before the reconquest، I had several talks with the two brothers during 1933 and early 1934.

On August 20th 1934، having returning from a short trek in the night before، I arrived at the office to find a very subdued Yusuf Mikhail، together with his wife Victoria، on a charge of making araki، against which the police were having one of their periodical drives.

Victoria had been caught red-handed and since her defense was that she had heard that araki was a cure for asthma، from which Yusuf suffered، the latter، who was at home at the time، could hardly plead ignorance. There was therefore nothing to be done sentence both husband and wife to imprisonment with the option and they were removed to the Province Prison.

There was the inevitable plea by he heads of the Coptic and Syrian Communities for the substitution of a fine، but this، in the circumstances of the time، was impossible. Nevertheless، Yusuf was old and frail and clearly not fit for the usual chores that are the lot of those who are quests of the Government. Pondering his fate I had an idea. I arranged for Yusuf to be provided with a pencil and plenty of paper and suggested that he should turn his misfortune to good advantage by recording the events of his long and not uninteresting

life. He seemed delighted، the Prison Authorities agreed and the results this autobiography.

My only regret is that before I left El Obied in 1935 I had not met anyone with enthusiasm and ability of Mr. Holt to translate the manuscript so that its author could be cross-examined on its text.

Of the subsequent history of Yusuf and Ishaq I have no knowledge، but the former has left at least one memorial behind him. For there is in the Omdurman museum a bound volume of letters form and edicts of the Mahdi and Khalifa which Yusuf claims to have written in his capacity as scribe.

Khartoum.

November 1954 E.F. Aglen.

ثبت المصادر والمراجع

مصادر ومراجع عربية

○ إبراهيم، عبد الله علي، الصراع بين المهدي والعلماء، الخرطوم: دار الخرطوم للنشر، 1968م.

○ ابن خلدون، عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، 7 مج، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ن.

○ أبوسليم، محمد إبراهيم (تحقيق)، الآثار الكاملة للإمام المهدي، 7 مج، الخرطوم: جامعة دار الخرطوم للنشر، 1990–1994م.

○ أبوشوك، أحمد إبراهيم، «منهجية التشريع المهدوي في السودان، 1881–1885م»، كتابات سودانية: مركز الدراسات السودانية، العدد 7، مارس 1999م، ص 10–30.

○ بدري، بابكر، تاريخ حياتي، جـ 1، (تحقيق ومراجعة: بابكر علي بدري)، أم درمان، 1410هـ/1990م.

○ التجاني، محجوب محمود، العقاب ومعاملة الجانين في الدولة المهدية (1881–1898)، مخطوط، 1980م.

○ شبيكة، مكي، السودان عبر القرون، بيروت: دار الجيل، د.ن.

◌ شقير، نعوم، تاريخ السودان وجغرافيته، ط 2، بيروت: دار الثقافة، 1967م.

ــــــــــــــــــــ،، تاريخ السودان، (تحقيق أبوسليم، محمد إبراهيم)، بيروت: دار الجيل، 1981م.

◌ الطيب، حسن ابشر، إطلالة في عشق الوطن، أم درمان: مركز عبد الكريم ميرغني. القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2001م.

◌ عابدين، عبد المجيد، تاريخ الثقافة العربية في السودان، ط 1، القاهرة: مطبعة الشبكشي الأزهر، 1953م.

◌ عباس، إحسان، فن السيرة، ط 6، عَمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 1992م.

عبد الهادي، عوض، تاريخ كردفان السياسي في المهدية، 1881–1899، الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، 1973م.

◌ فوزي، إبراهيم، السودان بين يدي غردون وكتشنر، القاهرة: مطابع جريدة المؤيد، 1902م.

◌ قاسم، عون الشريف، قاموس اللهجة العامية في السودان، ط 2، القاهرة: المكتب المصري الحديث، 1985م.

ــــــــــــــــــــ، موسوعة القبائل والشخصيات السودانية، 6 مج، الخرطوم: دار أفرو قراق للطباعة والنشر، 1996م.

القدال، محمد سعيد، الانتماء والاغتراب: دراسات ومقالات في تاريخ السودان الحديث، بيروت: دار الجيل، 1992م.

ــــــــــــــــــــ، المهدية والحبشة، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1972م.

________________، لوحة لثائر سوداني: الإمام محمد أحمد المهدي، الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، 1986م.

○ الكردفاني، إسماعيل عبد القادر، الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الحبوش (تحقيق أبوسليم، محمد إبراهيم والقدال، محمد سعيد)، الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، 1972م.

________________، كتاب سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي (تحقيق أبوسليم، محمد إبراهيم)، الخرطوم: الدار السودانية للكتب. بيروت: دار الفكر، 1972.

○ مالك، محمد محجوب، المقاومة الداخلية لحركة المهدية (1881–1898م)، بيروت: دار الجيل، 1987م.

○ محمد عبد الرحيم، النداء في دفع الافتراء، القاهرة: مطبعة شارع البرلمان، د.ن.

○ مذكرات يوسف ميخائيل عن أواخر العهد أواخر العهد التركي والمهدية بالسودان، لندن: دار النصيري للنشر، د.ن.

○ المعاملي، شوقي محمد، السيرة الذاتية في التراث، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1988م.

○ المفتي، حسين سيدأحمد، تطور نظام القضاء في السودان، جـ 1، القاهرة 1959م.

○ المهدي، على، جهاد في سبيل الله (تحقيق عبد الله محمد أحمد)، الخرطوم: المطبعة الحكومية، 1965م.

مصادر ومراجع إنجليزية

Abushouk, Ahmed Ibrahim and Bjorkelo, Anders, (eds. & trans.), The Public Treasury of Muslims: Monthly Budgets of the Mahdist State in the Sudan, Leiden: E.J. Brill, 1996.

_________, “A Bibliography of the Mahdist State in the Sudan, 1881-1885, Sudanic Africa, vol. 10, 1999, pp. 133-168.

_________, Fiscal Administration of the Mahdist State in the Sudan, 1881-1898, M.Phil. thesis, University of Bergen, 1991.

Churchill, W., The River War: An Account of the Reconquest of the Sudan, 1st edn., London, 1899.

Deemer, J.D., Umm Durman during the Mahdiyya, Ph.D. thesis, Harvard University, 1987.

Hill, R.L, (ed.), The Sudan Memoirs of Carl Christian Giegler Pasha, 1873-1883, London, 1984.

_________, A Biographical Dictionary of the Sudan, 3rd edn. London, 1967.

Holt, P.M., “The Source Material of the Sudanese Mahdia, St. Antony’s Papers No.4, Middle Eastern Affairs, No. 1, London, 1967, 107-118.

_________, “The Sources Material of the Sudanese Mahdiyya”, St. Anthony’s Paper No. 4, Middle Eastern Affairs, No. 1, London, 1958, pp. 107-118.

_________, A Modern History of the Sudan, London, 1963.

_________, The Mahdist State in the Sudan: A Study of Its origins, Development, and its Overthrow, Oxford, 1958.

Hunwick, J., O’Fahey, R., & al-Aim Abu-Manga, “Between the Niger and Nile: New Light on the Fulani Mahdist Muhammad al-Dadari, Sudanic Africa, vol. 8, 1997, pp. 85-108.

Ibrahim, Abdalla Mahmoud, The History of Ismailiyya Tariqa in the Sudan, 1972-1914, Ph.D. Thesis, University of London, 1980.

Ibrahim, Hassan Ahmed, “The Policy of the Condominium Government

towards the Madhist Political Prisoners, 1898-1932", Sudan Notes and Records, vol. lv., 1974, pp. 33-45.

Kramer, R., The Holy City on the Nile: Omdurman, 1885-1898, Ph.D. thesis, Northwestern University, 1991.

McMichael, H. A., The Tribes of Northern and Central Kordofan, 2nd edn., London, 1967.

_________, A History of the Arabs in the Sudan, 2 vols. 2nd edn. London, 1967.

Neufeld, C., A Prisoner of the Khaleefa: Twelve Years' Captivity at Omdurman, London: Champer & Hall Ltd, 1899.

Nur, Salih Mohmed, A Critical Edition of the Memoirs of Yusif Mikha'il with an Introduction, translation, Note, and Commentary, Ph.D. thesis, London: University of London: School of Oriental and African Studies, 1962.

Ohrwalder, J., Ten Years' Captivity in the Mahdi's Camp, London, 1892.

Rosignoli, C., "Omurman during the Mahdiyya", (ed. & trans. F. Rehfisch, Sudan Notes and Records, xliii, 1967, 33-61.

Slatin, R.C., Fire and Sword in the Sudan, London, 1896.

Stiansen, Endre and Kevane, Michael, eds., Kordofan Invaded: Peripheral Incorporation and Social Transformation in Islamic Africa, Leiden: E.J. Brill, 1998.

Theobald, A.B., The Mahdiya: A History of the Sudan, 1881-1898, London, 1967.

Wingate, F.R., Mahdiism and the Egyptian Sudan, London, 1891.

الفهارس





فهرس الأعلام

(ن)

فهرس الأماكن

القبائل والكينونات السياسية والاجتماعية





